لجنة التأليف والترجمة والنشر

خريدة القصر وجريدة العصر

قسم
شعراء مصر

تأليف

العماد الأصفهانى الكاتب

نشره

أحمد أمين — شوقى ضيف

إحسان عباس

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

للأستاذ أحمد أمين بك

الحق أننى أعجبت بالعماد الأصفهانى حينما قرأت كتاب الخريدة إعجابا لا حد له من حيث استقصاؤه شعراء مصر ، وعرضه نماذجَ من شعرهم ، فوقفنا بذلك على أشياء كثيرة قيمة كانت مجهولة مما يفيد الباحث .

ولكن لم أعجب به من حيث التعريفُ بالشعراء وتحليل فنهم ، فهو يلتزم السجع غالباً ، ويعرض الشاعر فى شكل قد يصحُّ أن ينطبق على كل شاعر ، وهو رأسُ مدرسة تَبِعه تلاميذها فى منهجه من حيث السجع والتحليل . وكان يكون أفيَدَ لو تحرر من السجع وتعمق فى تحليل الشاعر وقيمة فنه ، فهو — فى نظرى — يُعْنَى بالتزويق أكثر مما يعنى بالمعانى . ولست ممن يذهبون هذا المذهب ، فإنى أفضل العناية بالمعنى على العناية بالتزويق ؛ ولهذا أفضل طريقة ابن خلدون ومدرسته على العماد ومدرسته ، كابن فضل الله العمرى والشهاب الخفاجى وأمثالهما .

وربما كان عُنْوَان طريقة العماد تسمية أحد كتبه « بالفيح القُسّى فى الفتح القدسى » وهى طريقة تعتمد على التجميل اللفظى ، ربما دعته إليها طبقته الأرستقراطية التى كان يعيش فيها ، وهى طبقة الخلفاء والوزراء وأضرابهم . ونحن لا نحب هذه الطريقة الأرستقراطية ، بل نفضل عليها الطريقة الديمقراطية التى

تعنى بالوضوح والقوة أكثر مما تعنى بالجمال والتزويق ، ولكلٍ وجهةٌ هو موليها . ولو وَجَّه كلٌ مجهوده الذى بذله فى البحث عن سجعة يلائم بينها و بين أختها إلى إجادة المعنى ودقته لكان أحسن .

و بعد استعراضى لما ذكره فى ترجمة شعراء مصر لا زلت على رأيى فى أن شخصية مصر غير واضحة فى شعرها إلا ما كان حَتْماً من تأثير البيئة المصرية واختلافها عن البيئة العراقية والشامية . أما طابع الشعر ومعانيه وأسلوبه فيشبه شعر باقى الأقطار ، لا يختلف عنه من حيث التقيد ببحور الشعر والقافية ، أو من حيث الموضوعات التى يتعرض لها الشاعر من مديح وغزل ورثاء ونحو ذلك . أما شخصيةٌ تختار موضوعات جديدة فى أسلوب جديد ونظم جديد وقواف جديدة فلم نلمسها فى كل ما قرأنا من شعر مصر . ولعل المستقبل ونَشْرَ كتب النصوص يعدّلان من رأيى .

وكان من حُسْن الحظ أن قام المجمع العلمى ببغداد بنشر القسم الخاص بالعراق ، وقد اطلعت منه على ثمانى ملازم . ولعل مصر أو العراق أو غيرهما يعنى بالقسم الأندلسى أو بقسم آخر من الخريدة . وبذلك يكمل نشر الكتاب . والله الموفق ؟

القاهرة فى ٢٨ من يوليه سنة ١٩٥١　　　　احمد أمين

مدخل

الدكتور شوقي ضيف

١

خطوات العمل فى هذا القسم المصرى من الخريدة

حين كان أستاذنا الجليل أحمد أمين بك أستاذا للأدب المصرى فى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بين سنتى ١٩٣٩ ، ١٩٤٦ م كان يعمل مع طلابه وزملائه جاهداً للتحقق من شخصية مصر الأدبية فى العصور الوسطى ، وبيان صفات هذه الشخصية وخصائصها . ودخل هذه الدراسة بطبيعة العالم الذى لايثبت صفة ولا خاصة دون أن يَشْفَع ذلك بكل ما يمكن من وثائق ومستندات .

ولذلك رأيناه يتشكك كثيراً ولا يترك أحدا يرى رأيا دون أن يشتقه اشتقاقا من نص . ولم يكن حينئذ محابيا لوطنه ولا متحزبا له أو متعصبا ، بل كان — كعادته — يتحرّى أن يكون منصفا فى أحكامه عليه . ومن استمعوا إلى محاضراته واتصلوا بأبحاثه حينئذ يعرفون أنه كان قليل الاعتراف بحظ هذا الوطن فى الشعر والشعراء ، فمصر لم تُخْرِج شاعراً كبيراً مثل البحترى وأبى تمام والمتنبى وابن الرومى وأبى العلاء . وأذاع ذلك فى مجلة الثقافة وفى بعض كتاباته . وأذكر أننى حاورته فيه واعتمدت فى حِوَارى على أن نصوص الشعر العربى فى مصر لما تُنْشَر ، وأن نشرها قد يُعدِّل فى أحكامنا الأدبية على شخصيتها وطبيعتها الفنية .

وامتد هذا الحِوَار فى نفسى ، ورجوت لو أننا نشرنا أكثر ما يمكن من شعرنا المصرى ، حتى نُصدر عليه أحكامنا وهو فى أيدى الباحثين وتحت أَعْيُنِهم . وفى أثناء لقاء لأستاذى عرضت عليه أن ننشر معا القسم المصرى من كتاب

« خريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الأصفهانى فرحب بالفكرة وتقبلها قبولا حسنا . فرجعت إلى بروكلمان فى « تاريخ الأدب العربى » فوجدته يشير إلى نسخ مختلفة تناثرت من الكتاب فى مكاتب العالم الغربية والشرقية . واتفق أنى اطلعت على النسخة المصوَّرَة بدار الكتب المصرية من نسخة المكتبة الأهلية بباريس ، ورأيتها صالحة لأن تكون أصلا يُنْشَر منه القسم المصرى . غير أننى سرعان ماعرفت أنها تنقص كثيراً من أولها ، وأيضا فإن أوراقها ضُمَّ بعضها إلى بعض فى غير نَسَقٍ ولا نظام .

وانصرفت عن هذا العمل إلى حين ، ظلَّ فيه الأمل يُراودنى ، وظللت أتعقب النسخ المختلفة للكتاب . حتى إذا قامت الجامعة العربية وأسَّسَ أستاذنا أحمد أمين بك مدير إدارة الثقافة بها معهد المخطوطات العربية يريد أن يجمع عن طريقه هذه المخطوطات من أنحاء المعمورة على أشرطة صغيرة تكبَّرُ فى المستقبل كان كتابُ الخريدة أحدَ الكتب المهمة التى عُنِى بها ، فكلف البعثة التى أرسلها إلى الآستانة فى صيف سنة ١٩٤٩ أن تجدَّ فى الحصول على نسخه المختلفة هناك .

وحينئذ أمكن لهذا الأمل ، أمل نشر القسم المصرى من الخريدة أن يتحقق ، فقد ظفرت البعثة بقطعة من القسم عثرت عليها فى مكتبة « نور عثمانية » وهى تحتوى على مجموعة كبيرة من التراجم الأولى منه .

وصَوَّرْتُ هذه القطعة وضممت إليها مُصَوَّرَة دار الكتب المصرية وبدأت أحاول إعداد القسم للنشر . وكان أول ماصنعت أنى وضعت مختصر الخريدة لعلى رضائى المسمى « عود الشباب » رَصَدًا على المصوَّرتين أريد أن أتبين منه صحة ترتيب التراجم فى النص وما يمكن أن يكون قد سقط منه . فرأيت أن مُصَوَّرَة «نور عثمانية» لا تلتحم مع مصورة دار الكتب المصرية ، إذ بينهما ثَغْرَة سقطت فيها تراجم الأمير أبى المهند حُسام بن مبارك بن قَضة العَقيلى ، وهبة الله

ابن كامل ، وابن الذَّرْوى ، ثم فاتحة ترجمة القاضى الجليس ، فمن بقية هذه الترجمة تبدأ مصورة الدار .

وقد نقلت الترجمة الأولى من مختصر الخريدة ، إذ لم أجدها فى سواه . أما الترجمة الثانية فقد وجدت كتاب « الرَّوْضَتين » لأبى شامة المقدسى يحتفظ بها نقلا عن الخريدة ، فآثرت أخذها منه ، لأنها فيه أتم وأكمل . وكذلك الشأن فى الترجمة الثالثة ، فقد نقلتها عن « المُغْرِب » لابن سعيد ، لأنه لا يوجز التراجم التى ينقلها عن العماد فى كتابه إيجازاً شديداً على نحو ما يصنع على رضائى فى المختصر . أما فاتحة ترجمة القاضى الجليس فقد رجعت فيها إلى الكتب الثلاثة جميعا ، لأن كلا منها احتفظ بها أو بأكثرها .

وبذلك التأم هذا القسم المصرى الذى ننشره من الخريدة ، ولم ننتظر حتى نجد نسخة كاملة منه ، لأننا يائسون من ذلك الآن ، وإذا أتاح لنا البحث نُسَخاً أخرى رجعنا إليها فى الطبعة الآتية إن شاء الله .

على أنه ينبغى أن أشير إشارة خاصة إلى ما ذكرته آنفا من أن مصوَّرة دار الكتب المصرية ورقٌ متناثر جُمِعَ بعضه إلى بعض فى اضطراب واختلاط شديدين ، وقد استطعت أن أعيد هذه الأوراق إلى مواضعها الأصلية من اتصال الكلام عن طريق المختصر من جهة وكتاب المغرب من جهة ثانية ، إذ احتفظ ابن سعيد فى الكتاب الأخير (جزأى الفسطاط والقاهرة) بأكثر مَنْ ترجم لهم العماد من المصريين فى الخريدة . وكنا إلى وقت قريب نظن أن ما فُقِدَ من كتاب المغرب لا أمل فى العثور عليه ، ولكن معهد المخطوطات عثر فى سوهاج على قطعة جديدة ، فيها بقية كتاب القاهرة . وسيرى القارئ فى تعليقاتنا على التراجم والأشعار أننا رجعنا كثيراً إلى هذه القطعة .

وعلى نحو ما نظَّمتُ أوراقَ مصوَّرةِ دارِ الكتب معتمداً على المختصر

والمغرب أكملت ما سقط منها مستمدا منهما ومن الكتب الأخرى التى احتفظت ببعض التراجم نقلا عن العماد ، كما يرى القارئ فى ترجمة الموفق بن الخلال إذ نقلت فاتحتها الساقطة من ترجمة ابن خلكان له فى كتابه «وفيات الأعيان» .

ولما تماثل النص بهذه الصورة وأصبح جديراً بالنشر عهدت إلى تلميذى وصديقى الأستاذ إحسان عباس أن ينقله من المصورتين المذكورتين لما أعهده فيه من حِسٍّ لغوى وذوق أدبى . فقبل ذلك مخلصا ، وأداه على خير وجه من الصحة والضبط والدقة .

وتناولت منه النص فرممت ثغراته ، كما بينت ، وعرضته على كتب اللغة وعلى كل ما أمكننى من كتب مخطوطة ومطبوعة ، وخاصة تلك التى استمدت منه مثل المغرب . ورجعت إلى مجموعة من المخطوطات المصوّرة فى دار الكتب المصرية ، وعلى رأسها « معجم » السِّلَفى و « المحمَّدون من الشعراء » للقِفْطى و « الوافى بالوفيات » و « أعيان العصر وأعوان النصر » للصَّفَدى و « مسالك الأبصار » لابن فضل الله العُمَرى . وأفدت منها جميعا فوائد جمة فى تحقيق النص . وإذا كان لشاعرٍ ديوانٌ مطبوع أو مخطوط قابلت عليه منتخبات العماد له ، على نحو ما يرى القارئ لهذا الجزء الأول فى ترجمة ابن سناء الملك ، إذ قابلت أشعاره على نسختين من ديوانه ، إحداهما مصوّرة والثانية مخطوطة ، وكذلك قابلت أشعار ابن قلاقس على ديوانه المطبوع .

ورجعت بجانب ذلك إلى كتب التراجم المطبوعة وفى مقدمتها « معجم الأدباء » لياقوت و « وفيات الأعيان » لابن خلكان و « إنباه الرواة بأنباه النحاة » للقفطى (الجزء الأول منه) و « الطالع السعيد » للإدفوى و « فوات الوفيات » لابن شاكر الكتبى و « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلى ، و « حسن المحاضرة » للسيوطى . ورجعت إلى كثير من الكتب التاريخية مثل

« الروضتين » و « النجوم الزاهرة » لابن تَغْرِى بَرْدِى ، و « خطط » المقريزى ، و « الكامل » لابن الأثير . ويجد القارئ فى هوامش هذا الجزء الأول أسماء الكتب المختلفة التى رجعت إليها فى تحقيق النص والتعليق عليه .

ولما أكملت هذا العمل قرأه الأستاذ أحمد أمين بك معى ، وراجعه مراجعة شاملة ، استعرض فيها التصحيحات والتعليقات . وبذلك أمكن لهذا العمل أن يخرج إلى الباحثين .

٢

وصف مصوَّرَى هذا القسم

أما المصوَّرة الأولى فقد أخذت عن مخطوطة محفوظة بمكتبة « نور عثمانية » تحت رقم ٣٧٧٤ . وهى تبدأ بأول النص وتستمر حتى تنتهى بترجمة طلائع ابن رزِّيك ، ونجد فى نهايتها هذه العبارة : « تم الجزء التاسع من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر ، ويتلوه فى الجزء العاشر منه إن شاء الله تعالى شعر الأمير أبى المهند حسام بن قضة بن مبارك العقيلى من المصريين » .

ويغلب على الظن أن تكون هذه النسخة كتبت فى القرن التاسع الهجرى ، وهى بخط نسخ صغير ما عدا عُنْوَاناتها فقد كتبت بخط ثلث . وإعجامها كامل ، وشكلها كثير ، وليس فيها حِلْيَات مميزة سوى شكل مخروطى ، تختم به أحياناً بعض التراجم ، أو بعض الأبيات ، وقد يوضع حول العُنْوان .

وعدد أوراق هذه النسخة التى أفدنا منها فى هذا القسم خمس وعشرون ورقة ، وهى تامة ، فليس بها خَرْم أو نقص يتخللها . وعدد سطور الصفحة فيها سبعة وعشرون سطراً وطولها ٢٦٫٥ س . م وعرضها ١٧٫٥ س . م .

وأما مصوّرة دار الكتب المصرية عن نسخة المكتبة الأهلية بباريس فمحفوظة بالدار تحت رقم (٤٢٥٥ أدب) . وهى تبدأ بمقطوعات شعرية نجد فى أثنائها: «وأنشدنى بعض فضلاء مصر لابن الحباب» وفى آخرها: «تمّ التأليف الحاوى لشعراء مصر وأدباء العصر بمنّ الله تعالى بتاريخ العشرين من رجب من سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، والحمد لله ، وصلى الله على محمد وآله وأصحابه» . وحول هذه العبارة مطالعات لبعض من نظَر فيه .

فهى نسخة قديمة كُتِبَت فى عصر قريب من عصر العماد ، وربما نُقلت من نفس نسخته . وهى تبدأ ببقية ترجمة القاضى الجليس بن الحباب وتستمر حتى نهاية هذا النص المصرى . وهى ورق مختلط ضُم بعضه إلى بعض على غير نَسَق ، ويستطيع القارئ أن يطلع على ذلك بمقارنة أرقام النسخة على تعاقب النص فى هذا الجزء الأوّل ، كما فى ترجمة الجليس مثلا ، وابن قادوس ، ومحمد بن هانئ .

وقد كُتِبَت هذه النسخة بخط نسخ حسن ، وكتبت عنواناتها كالنسخة السابقة بخط الثلث ، وإعجامها تام ، وشكلها كامل ودقيق . وقد وضع ناسخها هذه الحلية التى أشرنا إليها فى النسخة السابقة ، فمن حين إلى آخر يقابلنا شكل مخروطى مع بعض العنوانات ، أو فى نهاية بعض المقطوعات .

وعدد أوراق هذه النسخة ٢٠١ غير أنه ينبغى أن نلاحظ أن العماد أضاف إلى مصر ملحقا ذكر فيه شعراء عسقلان وهو يشغل أربع عشرة ورقة . ومعنى ذلك أن الأوراق الخاصة بمصر فى هذه النسخة مائة وسبع وثمانون ورقة . وعلى كل ورقة رقم أفرنجى إلى اليسار لا شك فى أنه من عمل المكتبة الأهلية الباريسية . وعدد سطور الصفحة فى الأكثر سبعة عشر سطراً ، وطولها ٢١ س . م ، وعرضها ١٣ س . م .

٣

العماد الأصفهانى وأسلوب تأليفه لهذا القسم

والعماد مؤلف هـذا القسم المصرى هو محمد[١] بن محمد بن حامد بن محمد ابن عبد الله بن على بن محمود بن هبة الله بن آله الـكاتب الأصفهانى المعروف بابن أخى العزيز[٢] . ولد بأصفهان سنة ٥١٩ هـ ، وقدم بغـداد وهو فى سن العشرين ، فانتظم فى سلك المدرسة النظامية ، ودرس على أساتذتها المختلفين الفقهَ والحديثَ والخلاف ، وبرع أثناء ذلك فى نظم الشعر وصوغه ، فحاول الصلة عن طريقه بالخليفة المقتفى لأمر الله (٥٣٠ — ٥٥٥ هـ) فأوصى به وزيره عون الله بن هبيرة (٥٤٤ — ٥٦٠ هـ) فولاه النظر بواسط والبصرة . وقد أرّخ العماد بدء هـذه الصلة فى ترجمة المقتفى بالقسم الأول من الخريدة ، إذ يقول : « وأول من مَدَحْتُه من الخلفاء المقتفى — رضى الله عنه — خدمتُه فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بقصيدة ، ووليت بعد ذلك الأعمال الجليلة ، وليت بواسط نيابة وزيره عون الله ابن هبيرة » . واستمر يخدم ابن هبيرة على واسط والبصرة حتى توفى سنة ٥٦٠ هـ فاعتُقِل مع من اعتقل من أنصاره ، يقول فى أوائل الخريدة : «ولما توفى الوزير ابن هبيرة اعتقلت فى الديوان ببغداد بسبب مَنَابتى عنه فى واسط والبصرة ، فمدحت الخليفة (المستنجد) بقصيدة ، أستعطفه بها فى شعبان سنة ستين منها :

أعيذكمُ أن تغفلوا لأمورهِ وأن تتركوه نُهْبَةً لمغيرهِ

وما زال يستعطفه حتى فك وَثاقه ، فولّى وجهه نحو الشام وألقى عصا التسيار

---

(١) انظر فى ترجمة العماد معجم ياقوت طبع مصر ١١/١٩ ووفيات الأعيان لابن خلكان طبع القاهرة سنة ١٢٧٥هـ ج ٢ ص ١٠٨ والوافى بالوفيات للصفدى طبع إستانبول ١٣٢/١ وحسن المحاضرة للسيوطى ٣٢٥/١ وشـذرات الذهب لابن العماد الحنبلى نشر مكتبة القدسى بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ ج ٤ ص ٣٣٢ والجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير لابن الساعى طبع المطبعة السريانية ببغداد ٦١/٩ وطبقات الشافعية للسبكى ٩٧/٤ .

(٢) ولى المناصب العلية للدولة السلجوقية ويقول العماد فى أول الخريدة : إن مدائحه مجلدات ، وإنه ألف الخريدة إحياء لذكرى مادحيه وشكراً على صنيعهم .

بدمشق سنة ٥٦٢ هـ ، واتصل بالقاضى كمال الدين الشهرزورى مدبر دولة نور الدين ، فوصله بنجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، وكان يعرف عمه العزيز ، فقرّبه منه ، ولم يلبث أن استخدمه نور الدين فى الإنشاء ، ورتبه فى أشرف الديوان . وكان ينشئ الرسائل الفارسية أيضا فيجد فيها إجادته بالعربية . وفوّض إليه نور الدين شئون المدرسة النورية ، التى سميت فيما بعد — نسبة إليه — بالعمادية .

ولما توفّى نور الدين وقام ابنه إسماعيل مقامه قُفِلت الأبواب فى وجه العماد ، فرحَل إلى العراق ، حتى إذا بلغه أَخْذ صلاح الدين لدمشق رجع إلى الشام وصلاح الدين على حلب سنة ٥٧٠ هـ ، فمدح وزيره القاضى الفاضل ، فأوصله إلى صلاح الدين ، وفَخَّمَ شأنه عنده ، وأشار عليه أن يستكتبه ، فلزم حضرته ، وأفاء عليه صلاح الدين من رعايته . وكان القاضى الفاضل يُنيبه عنه فى الكتابة عن صلاح الدين ، حين يضطر إلى الرجوع لمصر لبعض شئون الدولة والسياسة . ولم يزل العماد حَظِيًّا عند صلاح الدين حتى وافاه القدر سنة ٥٨٩ هـ فلزم بيته بدمشق ، كما لزم القاضى الفاضل بيته بالقاهرة ، واشتغل بالتأليف والتصنيف إلى أن توفى فى مستهلّ رمضان سنة ٥٩٧ هـ .

وللعماد مؤلفاتٌ كثيرة لم يُنْشَر منها إلا « الفَيْح القُسّى فى الفتح القُدْسى » . وله كتب أخرى فى التاريخ أشار إليها ياقوت وغيره ممن ترجموا له . وأشهَر كتبه وأنفَسُها « خريدة القصر وجريدة العصر » فى شعراء عصره والعصر الأقرب منه ، وتراه يقول فى مقدمتها : « قد ذكرت أهل عصرى وأهل عصر آبائى وأعمامى » . ومن يقرأ فى هذا القسم المصرى الذى ننشره من هذا الكتاب يستطيع أن يلاحظ فى يُسْرٍ أن العماد ذكر فيه الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة ٥٧٣ هـ إلا ما ترجم له عفواً مثل الشريف العقيلى الذى كان يعيش فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، ولعله لم يعرف عصره .

والخريدة تقع فى عشر مجلدات كبيرة ، وقد قسمها العماد أربعة أقسام ،

خصَّ القسم الأول منها بالعراق ، والثانى ببلاد العجم وفارس وخراسان ، والثالث بالجزيرة والموصل والشام والحجاز واليمن . أما الرابع فخصَّه بمصر وصقلية والمغرب والأندلس ، وافتتحه بمصر وشعرائها ، وعَلَّلَ ذلك بقوله فى أول هذا الجزء : « وأنا مبتدئ بالديار المصرية لامتزاجي بأهلها ، وابتهاجي بفضلها ، وحصول مَدارى فى فَلَكها ، ووصول مُرادى إلى ملكها » .

ويتضح لكل من يراجع هذا القسم المصرى أن العماد يُطيل فى التراجم أحياناً ، ويوجز إيجازاً شديداً أحياناً أخرى ، حسب المواد التى تتهيأ له ، والتى يصنع منها الترجمة . وقد بدأ بمقدمة طويلة أشاد فيها بصلاح الدين وأنشد طائفة من قصائده التى دبَّجها فيه وفى فتوحاته وانتصاراته . واستهلَّ التراجم بعد ذلك بترجمة القاضى الفاضل وقَصَر الترجمة ، أو كاد ، على التنويه به وما صاغه فيه من أشعار ، ثم ترجم بعده لمن كانوا يعاونونه فى دواوينه ، من مثل المؤتمَن بن كاسيبويه ، وابن رفاعة ، وابن سناء الملك ، والأسعد بن مَمَّاتى . واستطرد إلى بعض شعراء مصر الممتازين فى عصره مثل ابن قلاقس ، وطلائع بن رُزِّيك الوزير الفاطمى المشهور (٤٤٩ — ٥٥٥ هـ) وتلاه بمن كانوا يعاونونه فى دواوينه ومن خصّوه بمدائحهم مثل القاضى الجليس ، والمهذب بن الزبير ، وابن قادوس ، والموفَّق بن الخلال . ثم أفاض فى الحديث عن كل مَنْ عُرِف لمصر من شعراء فى القرن السادس سواء فى القاهرة ، أو فى الإسكندرية ، أو فى الصعيد ، أو حتى فى المحلة وسَخَا .

وفى العادة يبدأ الترجمة بقطعة مسجوعة ، أكثرها فى الثناء على الشاعر وشعره ، وقلما احتوت أخباره ووقائع حياته وأحداثها إلا قليلا وفى التراجم المهمة ، وخاصة تلك التى كانت فى عصره أو قريباً منه . وكأنما كانت غايته الأساسية أن يجمع أكثر ما يستطيع من نماذج الشاعر وشعره . فالكتاب أو هذا النص إلى أن يكون منتخباتٍ شعريةً أقرب منه إلى أن يكون تاريخاً دقيقا للشعراء ، ومع

ذلك فهو أهم مصدر تاريخى وأدبى وصل إلينا عن الشعر المصرى حتى القرن السادس الهجرى .

على أنه ينبغى أن أشير إلى أن العماد فى هذه المنتخبات نَحَّى عامداً كثيراً من الأشعار التى صاغها الشعراء فى مديح الخلفاء الفاطميين ، وخاصة تلك التى تبالغ فى مديحهم وتُضْفِى عليهم صفات إلٰهيـة . وقد ساق فى هذا الجزء عفواً قطعة لأبى الحسن الأخفش فى مديح الحافظ الخليفة الفاطمى ، وعلَّق عليها بقوله : « قد أفضى به الغلو إلى الكفر الصريح » . ولم يلبث بعد إنشاده لبعض أبياتها أن قال : « واقتصرت على هذه أنموذجا لشركه ، وأخرت الباقىَ من سلكه » . وكنا نأمل أن لا يقتصر ، وأن لا يؤخر ، حتى نعرف مدى تغلغل النحلة الفاطمية فى نفوس الشعراء ، وإلى أى حَدٍّ استجاب لها المصريون . ولعل نزعته السُّنِّيَّة كان لها أثر فى ذلك ، وأيضاً فإن صلاح الدين ، سيده ، قضى على الفاطميين فجرى فى ركابه ، وأجرى معه فى تأليفه إلى نفس الغاية .

وإذا تركنا أسلوب العماد فى تأليفه لهذا القسم إلى أسلوبه الكتابى الذى يبدو فى فواتح التراجم لاحظنا أن العماد يلتزم فيه السجع وفنونا مختلفة من البديع ، نوّه بها صراحة فى إحدى رسائله للقاضى الفاضل من هذا الجزء إذ يقول ص ٤٤ : « وهذه الرسالة قد وفَّيتها حقا من التجنيس والتَّطْبيق والتَّرْصيع والمقابلة والموازنة والتوشيع » . وربما كان التجنيس أهمَّ زخرف عُنِى بإشاعته فى نثره ، ومن يقرأ فى مستهل هذا الجزء الذى ننشره وفى ترجمة القاضى الفاضل خاصة يستطيع أن يلاحظ إلى أى حَدٍ كان العماد يُعَقِّد فى سجعه بواسطة الجناس ، وخاصة حين يعمد إلى رد العجز على الصدر ، كما يقولون ، حتى لتتحوّل بعض عباراته إلى ما يشبه الرُّقَى والتمائم .

٤

مصادر العماد فى هذا القسم

من يقرأ فى هذا القسم المصرى يستطيع أن يلاحظ فى سهولة أن العماد يعتمد فيه على مصدرين أساسيين هما : السماع أو الرواية الشفوية عن الشعراء أنفسهم أو عن راوٍ روى عنهم ، والصحف أو الكتابات التى قرأ فيها أشعارهم وهى إما دواوينهم أو مصنَّفات عُنِيَتْ بهم ، فترجمت لهم .

أما من حيث المصدر الأول ، فإنه يتنوَّع نوعين : نوع السماع أو الرواية عن الشعراء أنفسهم على نحو ما نرى فى ترجمة ابن سناء الملك والأسعد بن مماتى وأبيه الخطير . وفى الجزء الثانى من هذا النص طائفة من الشعراء عَنْوَنَ لهم العماد هكذا : « جماعة التقطتهم من الأفواه » وهم خمسة عشر شاعرا أ كثَرُهم لَقِيَه بنفسه ، واستنشده طائفة من شعره .

والنوع الثانى من هذا المصدر الأول هو نوع السماع أو الرواية عن راوٍ واحد بينه و بين الشاعر . وكثيرٌ هم الذين أتحفوه بهذه الدرر ، التى سلكها فى هذا القسم المصرى ، وعلى رأسهم القاضى الفاضل ، ونجم الدين بن مَصَال ، والقاضى حمزة بن عثمان ، ونصر الفزارى الإسكندرى ، وأحمد بن حيدرة الحسينى ، والشريف إدريس الإدريسى الحسنى ، وزين الحاج أبو القاسم ، وأبو الذكاء البعلبكى ، وزين الدين بن نجا الواعظ الدمشقى . فهؤلاء ، وغيرهم كثيرون ، يَرْوِى عنهم فى التراجم المختلفة .

وهذا هو المصدر الأول للعماد فى هذا القسم المصرى يتنوع على هذا النحو نوعين ، وكذلك الشأن فى المصدر الثانى ، فهو إما دواوين الشعراء ، و إما مصنفات ترجمت لهم أو عرَّفت بهم . أما الدواوين فإن العماد اطلع على طائفة طريفة منها ، وانتخب لهذا القسم فى خريدته ما أُعجِب به فيها من معنى غريب ، أو لفظ رائق ، أو صورة مبتكرة ، أو فكرة مخترعة . وليس من رأى كمن سمع .

ومن الدواوين التى رجع إليها فى هذا الجزء الأول ديوان الشريف ابن هبة الله العلوى ، وأبى الفتح بن قادوس ، ومحمد بن هانئ ، وابن الضيف . وسيراه القارئ فى الجزء الثانى يرجع إلى دواوين ابن الكيزانى ، وابن النضر الأديب ، وعلى بن عرّام ، وهبة الله بن عرام . وكل أولئك فُقِدَت دواوينهم ، وهو يُسرف فى الاختيار لهم . ولعل هذا يكشف — من بعض الوجوه — عن قيمة هذا النص .

ويلحق بهذا النوع من الدواوين كتابُ « الزهر الباسم من أوصاف أبى القاسم » لابن قلاقس ، وهو كتاب ألفه فى أبى القاسم بن حمود زعيم أهل صقلية من المسلمين فى عصره ، وضمنه كثيراً من مدائحه فيه ، وقد استقى منه العماد فى ترجمة ابن قلاقس نحو عشرين صحيفة . والكتاب مفقود الآن . ويمكن أيضاً أن يلحق بهذا النوع من الدواوين الرُّقَع الكثيرة التى ينوِّه بها العماد إذ كثيراً ما يقول : « وقع إلىَّ من شعر هذا الشاعر قصيدة بخطه » أو يقول : « أهدانى القاضى الفاضل أو غيره كابن مَمَّاتى مثلا قصيدة من خط فلان » ، أو يقول : « أهدانى فلان قطعة من شعره » ونحو ذلك .

وأما النوع الثانى من هذا المصدر الكتابى ، فهو المصنفات التى رجع فيها إلى التراجم ، وهو أحياناً يكتفى بالنقل عن هذا المصدر ، وأحياناً يُضيف إليه الأنواع المختلفة السابقة . ومن أهم المصنفات التى رجع إليها فى هذا القسم المصرى مُصَنَّفُ للقاضى الجليس فى شعراء ابن رُزِّيك الوزير الفاطمى وهو كثيراً ما ينقل منه فى هذا الجزء الأول .

وربما كان أهمَّ المصنفات المصرية التى رجع إليها فى هذا الجزء وفى بقية النص كتابُ «جِنان الجنان ورياض الأذهان» للرشيد بن الزبير المتوفى سنة ٥٦٣ هـ وقد ألفه ، كما يقول العماد ، سنة ٥٥٨ هـ . وهو أهم كتاب أُلفَ عن الشعر

المصرى فى العصر الفاطمى ، ومن يطلع على المغرب لابن سعيد (جزأى الفسطاط والقاهرة) يجده يحتفظ بكثير من تراجمه .

وبجانب الجِنان يستعين العماد بكتاب يسمى « المختار فى النظم والنثر لأفاضل أهل العصر » لابن بشرون المهدوى ، وهو عثمان بن عبد الرحيم بن عبد الرزاق بن جعفر بن بشرون بن شبيب الأزدى . وقد صنف هذا الكتاب ، كما يقول العماد فى الجزء الثانى من هذا القسم ، سنة ٥٦١ هـ .

وليس هذان المصنفان كل ما استعان به العماد فى تراجم هذا القسم المصرى ، فقد استعان أيضاً بالرسالة المصرية لأبى الصلت أميـة بن عبد العزيز المتوفى سنة ٥٢٨ هـ ، وبرسالة ثانية لابن جبر يحيى بن حسن الشاعر ، وهى فى مدائح بنى أُسامة سنة ٥٢٥ هـ . وأهمية هاتين الرسالتين أن العماد اطلع منهما على شعراء مصر المهمين فى الربع الأول من القرن السادس . وختَمَ العمادُ هذا النصَّ بجماعة كتبَ شعرهم قبل نزوله مصر سنة ٥٧٢ هـ . ومن أهم مصادره فيهم مُذَيَّل السمعانى المتوفى سنة ٥٦٢ هـ وهو ذيل على تاريخ بغداد لأبى بكر الخطيب .

ولعل فى هذا ما يدلُّ بعضَ الدلالة على العناية البالغة التى أنفقها العماد راضياً فى تصنيف هذا القسم المصرى . وإنه ليذكّرنا فى هذا الصنيع بعمل أهل الحديث فإنهم كانوا يَشُقُّون على أنفسهم بالسماع والرواية الشفوية ، فكانوا يطلبون لقاء مَنْ يحملون الحديث ومَن يروونه عنهم ، قبل أن يطلبوا الكتب والمؤلفات التى صُنِّفت فيه ، وكانوا يذهبون بأنفسهم إلى لقائهم فى البلدان والأمصار المختلفة ، وارتحلوا فى سبيل هذا اللقـاء رحلاتهم المشهورة . وطَبَّقَ ذلك العماد فى الخريدة وفى هذا القسم المصرى تطبيقا واسعاً ، فكان يلقى الشعراء المصريين ويسألهم عن أخبارهم وأجودِ ما صاغوه من شعرهم ، فإن تعـذر عليه لقاهم بسبب وفاتهم روَى عمن لقيهم وتفقّد أخبارهم ، أو عاد إلى دواوينهم والرُّقَع التى خلَّفوها بخطهم وأحصَى أشعارهم . فإن لم تكن لهم دواوين ولا حُفِظَتْ بعضُ رُقَع شعرهم رجع

إلى المصنفات التى روَتْ بعضَ أحداثهم ووقائعهم ، وأنشـدت بعضَ قصائدهم ومقطوعاتهم . ويكفى أن يعود القارئ لترجمة مثل ترجمة المهذب ابن الزبير فسيجد مصادرها تتوالى على هذا النحو :

نجم الدين بن مَصَال — بعض الكتب — جزء من الأمير عز الدين حسام فيه قصيدة بخط المهذب — الشريف إدريس الحسنى — مُرْهَف بن أسامة — القاضى حمزة بن عثمان — بعض المصريين — كتاب جِنان الجَنَان .

وبهذه الصورة البديعة صاغ العماد هذا النص صياغة دقيقة تُعَدّ مضرب الأمثال فى إحكام التأليف الأدبى وضبطه وإتقانه .

٥

قيم هذا القسم المصرى

يتميز هذا القسم المصرى النفيس بمجموعتين من القِيَم ، أما أولاهما فقيم ذاتية تصوِّرها المنتخبات التى تنخَّلها العماد لكل شاعر، وما ادّخرت من جمال فنى ، فقد جَمَعَ بين دفّتى هذا القسم كل ما استطاع من عيون النماذج وفرائدها ، وغرائب الأساليب ونواصعها ، وبدائع الصور وعجائبها ، ولطائف المعانى ودقائقها . وأما ثانيتهما فقيَمٌ موضوعية ترجع إلى تمثيل هذا القسم لجوانب الحياتين السياسية والاجتماعية فى مصر أثناء القرن السادس ، وما اضطرب فيه الشعراء من ظروف مادية وروحية .

واللونان من القيم بالغا الخطر فى تاريخنا الأدبى وخاصة إذا عرفنا أن هذا النصّ أولُ نصٍّ قيِّمٍ يُنْشَر فى تاريخ الشعر المصرى ، وأنه يمثل عصراً زاهيا من عصوره . ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن القرن السادس الهجرى فى مصر هو ربيع الشعر بها ، وحَسْبُ القارئ أن يعرف أنه ظهر فى النصف الأول من هذا القرن ابنُ قلاقس ، بينما ظهر فى النصف الثانى ابنُ سناء الملك ، غير الأزهار النديّة

الكثيرة التى يفوح شذاها فى هذا القسم من مثل ظافر الحداد ، والمهذب بن الزبير ، وطلائع بن رزيك ، والقاضى الجليس ، وابن قادوس ، وابن الكيزانى صوفىّ العصر الفاطمى .

وأكبر الظن أننى لا أسرف حين أزعم أن هذا القسم المصرى لم يُستَغَلّ استغلالا كاملا فى البحث والدرس حتى الآن . قد تكون مصورة دار الكتب المصرية قُرِئَتْ ، ولكن قلما يتنبه من يقرأ فيها إلى أنه يقرأ نصا مختلطا مضطربا لا نسق فيه ولا نظام ، وأيضا فإنه ينقص كثيراً من أوله كما بَيَّنْت . ومن أجل ذلك كنت أذهب إلى أن هذا القسم من الخريدة يُتاح للباحثين فى صورة تامة لأول مرة .

ولا ريب فى أن نشر النصوص ودراستها أوّلُ خطوة ينبغى أن يبدأ بها من يتحدثون عن أدب أمة من الأمم . ولا ريب أيضاً فى أن هذا النص سيُهَيّئ للباحثين فرصة ذهبية للإجابة على الأسئلة الدائرة فى تاريخنا الأدبى ، وهى : هل وجدت شخصية حقيقية لمصر فى الشعر العربى ؟ وما مدى انطباع الحياة الخارجية فى نماذج شعرائها ؟ وإلى أى حَدٍّ قلَّدُوا ؟ وإلى أى حَدٍّ جدَّدُوا ؟ وهل غلب عليهم التقليد أو غلب عليهم التجديد ؟ .

والمجال لا يتسع الآن للإجابة على هذه الأسئلة ، وسأحاول ذلك فى بحث مستقل .

وأرى من واجبى قبل أن أختم هذا المدخل أن أشكر أستاذى أحمد أمين بك لمراجعته له ، وما تجشَّم فى ذلك من عَنَتٍ وعناء ، وكذلك أشكر الأستاذ إحسان عباس لجميل معاونته لى فيه .

وإنى لأعترف بأنى بذلتُ فيه كل ما استطعت غيرَ مُدَّخِرٍ وُسْعًا أو جُهْداً ، ومع ذلك فقد فاتنى بعضُ ما كنت أرجو . والله أسأل أن يرزقنى السداد فى القول والإخلاص فى الفكر والعمل ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

القاهرة فى ٢٧ من يوليه سنة ١٩٥١ — شوقى ضيف

فهرس المحتويات

مقدمة العماد الأصفهانى

القسم الرابع

مصـــر

[٣٣ ظ]

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الرابع

من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر فى ذكر محاسن فضلاء مصر وأعمالها وبلاد المغرب وإيراد ما لهم من النظم المطرب والنثر المعجب ، وهو منقسم :

الأول مصر

وأنا مبتدئ بالديار المصرية لامتزاجي بأهلها ، وابتهاجي بفَضلها ، وحصول مَدَارى فى فلكها ، ووصول مُرادى إلى مَلِكها ، واطلاعى على فضائلها ، واضطلاعى بفَواضلها ، ودخولى إليها فى خِدْمَة سلطانها ، وخروجي منها بشكر إحسانها ، ومُقامى فيها أترَفرف على محاسنها ، وأترشَّف من عَذْبها وآسِنِها ، وأتحلّى بعقود جواهرها ، وأتملَّى من سعود زواهرها ، نازلا من المولى الأجل الفاضل فى ظل إفضاله الوافر الوارِف ، واصِلاً من ذُرَى المحل الكامل فى ذيل إقباله الكافى إلى أبهج الرفارف ، حاصلاً من الملك الناصر فى المنى بالمُلْك والنصر ، حاملاً فى سلطانه الباهر على العِدَا بالهُلْك والقهر .

ومصر مَرْبَع الفضلاء ، ومَرْتَع النبلاء ، ومَطْلَع البدور ، ومَوْضِع الصدور ، وأهلها أذْكياء أزْكياء[1] ، يبعد من أقوالهم وأعمالهم العِيُّ والعَياء ، لا سيما فى هذا الزمان المذهَّب ، والوقت المهذَّب ، بدولة مولانا الملك الناصر ،

---

(١) أزكياء : جمع زكى وهو طاهر النفس .

جامع كلمة الإيمان ، قامع عَبَدة الصلبان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، أبى المظفر يوسف بن أيوب محيى دولة أمير المؤمنين[١] ، ففى أيامه الزاهرة ، ودولته القاهرة ، أشرقت الأرض بنور ربها ، وهَبَّت الأرياح من مهبّها ، ورُفِعَت معالم العدل والعلم ، وخَضَعَت دعائم الجهل والظلم ، وأُثبِتَت أمالى الآمال فى دفاتر النجاح ، وكُتِبَ أمان الأمانى بمهارق[٢] الفلاح ، واستدرّ جَوْدُ الجود[٣] ، واستقر طَوْدُ الوجود ، وزُفَّ هَدِىُّ[٤] الهُدَى على خاطبى النصر ، وحُفَّ نَدِىُّ النَّدَى بطالبى الوفر ، واتضح الحق ، واتضع الباطل ، وعَزَّ العالم وذلّ الجاهل ، وأفاض الأفاضل فى الشكر ، وراضَ الأماثل قُرَّح القرائح فى النظم والنثر ، وعاد الرجاء مفتوح الرِّتاج ، ممنوحَ النتاج ، حالىَ التاج بيواقيت الفوز ، علِىَّ السِّرَاج فى مواقيت العز ، أرِجَ الآفاق بذائع البدائع ، رائجَ الأسواق بضائع[٥] البضائع ، بوجود المولى الفاضل ، وجوده المولَى[٦] إلى الأفاضل ، وكفى مصر فخراً سُمُوُّ سناء فضله فى ذُرَاها ، ودنوّ جَنَى أفضاله لذَرَاها[٧] ، فإنه ذو السُّؤْدُد الظاهر ، والمَحْتِد الطاهر ، والسلف الكريم ، والشرف الصميم ، والعُرْف[٨] الزكى ، والعَرْف[٩] الذكى ، والفتوة الراجحة ، والمروّة الناجحة ،

---

(١) يشير إلى ما كان من محو صلاح الدين للدولة الفاطمية وجعل مصر فى ظل الدولة العباسية .

(٢) مهارق : جمع مهرق ، وهى الصحف ، ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتب عهود وأمان أو كتب دين (الحيوان للجاحظ طبع الحلبى ١/٧٠) وفى الأصل هكذا : بمرايق وهو تحريف .

(٣) استدر جود الجود : سال غيث الكرم .

(٤) الهدى : العروس .

(٥) الضائع : من ضاع المسك ، أى فاحت رائحته وانتشرت .

(٦) المولى : من أولاه الشىء ، أى أنعم عليه به .

(٧) الجنى : الثمرة ، والذرا : الظل والكنف .

(٨) العرف الزكى : المعروف أو الإحسان النامى .

(٩) العرف الذكى : أصله الشذى الساطع ويريد به هنا الشهرة الأرجة .

والظنّ المخمَّر(١) بالدين ، واليقين المؤزَّر بالصدق المبين ، والحق المتين ، والبلاغة التى لم يبلغ إلى شأوها قُسٌّ(٢) والرأى الذى لم يهتد إلى سَنَنه قَيْس(٣) ، والبراعة التى نسخت شريعتُها بالإعجاز شرائعَ الفصحاء ، وبَذَخت(٤) صنعتها بالإحراز لبدائع البلغاء .

وهو الذى رَاشَ نَبل(٥) نُبلى ، وأعاشَ شخص فَضْلى ، وأقام جاهَ أملى بعد الخمول ، وأنام عَيْنَ وَجَلى عند الذهول ، وثَبَّتَ عَرْشَ حفظى ، ونَبَّتَ غَرْسَ حظى ، ونَشَرنى وقد كاد يُطْوَى اسمى ، وأَنْشَرنى(٦) وقد كرب يَبْلَى رسمى ، ورغَّبنى فى قصد مصر عند توجه مولانا الملك الناصر من دمشق إليها عائداً ، وحقَّق عندى أنه يكون لى مُساعفاً مساعِداً ، فسرتُ فى أول شهر ربيع الأول من دمشق فى الخدمة الناصرية ، ووصلت آخر الشهر إلى القاهرة الصلاحية ، فقابل وفادتى(٧) بوافر رِفادته(٨) ، وموافاتى بوافى إفادته ، ونوَّه بذكرى ، ونَبَّه على قدرى ، ونظَمَ أمرى ، واغتنم شكرى ، وخَفَّفَ ثِقْلى ، وردف نَهَلِى وعَلِّى(٩) . وحين ملكت مادّة برّه ، سلكت جادّة شكره ، وصار حمدى الحرُّ له مُسْتَرَقّاً ، ونفسى المُسْتَعْبَدَة لآمالها بنُجْح آماله قد صادفت عِتْقاً .

---

(١) المخمر : المستور .

(٢) يريد قس بن ساعدة الإيادى خطيب عكاظ فى الجاهلية ، وهو يشتهر بالحكمة والبلاغة .

(٣) يريد أبا على قيس بن عاصم المنقرى التميمى ، وكان سيداً فى قبيلته ، ولحق الإسلام وصحب الرسول فى حياته وعاش بعده زمانا ، وكان يشتهر بالخطابة وحصافة الرأى ، ويروى عن الأحنف زعيم تميم فى البصرة أثناء العصر الأموى أنه قال : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم .

(٤) بذخت : سمت وشرفت ومنه بناء باذخ أى عال مغرق فى العلو .

(٥) راش النبل : ألصق به الريش ليدفعه فى الحرب .

(٦) أنشرنى : أحيانى . (٧) وفادتى : قدومى وورودى .

(٨) رفادته : أصل الرفادة أموال كانت تجمعها قريش فى الجاهلية تشترى بها للحجاج طعاما ، ويريد هنا العماد استكمال صورة الرفد للقاضى الفاضل ، وأنه خصص أموالا رفادة للأدباء من مثله .

(٩) النهل : الشرب الأول ، والعل بتشديد اللام : الشرب الثانى أو الشرب بعد الشرب .

ومما نظمته فى طريق مصر قصيدةٌ ذكرت فيها المنازل على ترتيبها / ، [٣٤ و] والشوقَ إلى دمشق وطيبِها ، ووصلتُها بمدح الملك الناصر ، وتولّى المولى الفاضل نَعْشَ جَدِّها العاثر ، وترويج حظِّها الكاسد ، وسعرِها القاصرِ ، أولها :

هجرتكمُ لا عن مَلالٍ ولا غَدْرِ ... ولكن لمقـدورٍ أُتيحَ من الأمْرِ
وما كنتُ أدرى أن يُتاحَ فراقكمْ ... ومن يعلمُ الأمرَ المقدَّرَ أو يدرى ؟
وأعـلمُ أنى مخطئٌ فى فراقكم ... وعذرىَ فى ذنبى وذنبىَ فى عذرِى
أرى نُوَباً للدهر تُحْصَى وما أرى ... أشـدَّ من الهجران فى نُوَبِ الدهر
بعينى إلى لُقْيا سـواكمْ غشَاوَةٌ ... وسمعى إلى (١) نجوى سواكمْ لَذُو وَقْرِ (٢)
وقلبى وصـدرى فارقانى لِبُعْدكمْ ... فلا صدرَ فى قلبى ولا قلبَ فى صدرى
وإنى على العهدِ الذى تعهـدونهُ ... وسرى لكم سرى ، وجهرى لكم جهرِى
تجرعتُ صِرْفَ الهمِّ من كأسِ شوقكمْ ... فها أنا فى صَحْوى نزيفُ من السكر
وإنَّ زماناً ليس يَعْمُرُ موطنِى ... بسكناكمُ فيـه فليس من العمر
وأُقْسِمُ لو لم يَقْسِمِ البينُ بيننا ... جوى الهمِّ ما أمسيتُ مُنْقَسِمَ الفكر
أسيرُ إلى مصرٍ وقلبى أسـيرُكُمْ ... ومن عجبٍ أسْرِى وقلبىَ فى أسْرِ
أخلاَّىَ قد شَطَّ المزارُ فأرْسِلُوا الـ ... ـخيالَ وزوروا فى الكرى وارْبَحُوا أجْرى
تذكرتُ أحبابى بجلَّقَ بعـد ما ... ترحلتُ والمشتاقُ يأنَسُ بالذكر
أخلاىَ فقرِى فى التنائى إليكمُ ... بحقِّ غِناكُمْ بالتدانى ارْحَمُوا فقرى

---

(١) رواية كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين لأبى شامة طبع مطبعة وادى النيل بمصر سنة ١٢٨٧ ﻫ ١ / ٢٦٥ : عن .

(٢) الوقر : الثقل فى الأذن أو الصمم .

ومنها فى وصف المنازل :

ولما قصدنا من دمشقَ غباغباً(١) … وبتنا من الشوق الممضّ على الجمر
نزلنا بصحراءِ الفقيع(٢) وغُودِرَتْ … فواقعُ من فيضِ المدامعِ فى الغُدْرِ
ونهنهتُ بالفُوّار(٣) فَوْرَ مدامعى … ففاضتْ وباحتْ بالمُكتَّمِ من سِرِّى
سرينا إلى الزرقاء(٤) منها ومن يُصِبْ … أُوَاماً(٥) يَسِرْ حتى يرى الوِرْدَ أوْ يَسْرِ
أعَادَتْكِ يا زرقاءُ حمراءَ أدمُعِى … فقد مَزَجَتْ زُرْقَ الموارِدِ بالخُمْرِ
وَسُودُ همومى سَوَّدَتْ بيضَ أزمُنى … فيومى بلا نُورٍ وليلى بلا فجر
أيا ليلُ زِدْ ماشئتَ طُولاً وظُلمةً … فقد أذْهَبَتْ منك السنا ظلمةُ الهَجْرِ
تذكرتُ حَمّامَ القُصيرِ(٦) وأهْلَهُ … وقد جُزْتُ بالحمّامِ فى البلدِ القفْرِ

ومنها :

وردنا من الزيتون(٧) حِسْمَى(٨) وأَيْلَةً(٩) … ولم نَسْتَرِحْ حتى صَدَرْنَا إلى صَدْرِ(١٠)
غَشِينَا الغَوَاشِى(١١) وهى يابسةُ الثّرَى … بعيدةُ عَهْدِ القُطرِ بالعَهْدِ والقَطرِ
وَضَنَّ علينا بالندى ثَمَدُ(١٢) الحصى … ومن يرتجى رِيّاً من الثمد النَّزْرِ

---

(١) غباغب : قرية فى نواحى دمشق بينهما ستة فراسخ .
(٢) لم نجد لهذه الصحراء ذكراً فيما بين أيدينا من مراجع وواضح من الشعر أنها فى الطريق إلى شرق الأردن .
(٣) الفوار : اسم ماء .
(٤) الزرقاء : نهير بشرق الأردن . (٥) الأوام : العطش .
(٦) حمام القصير : القصير غيضة بالقرب من دمشق .
(٧) الزيتون : جبل بالقدس .
(٨) حسمى : موضع بين منازل عذرة والعقبة .
(٩) أيلة : العقبة الآن .
(١٠) صدر : قلعة فى الطريق من العقبة إلى مصر .
(١١) الغواشى : بعض منازل لعذرة .
(١٢) الثمد : أرض قريبة من مدائن صالح .

فقلت اشرحي بالخِمْسِ صدراً مطيتي — بصَدْرٍ وإلا جادكِ النيلُ للعِشْرِ
رأينا بها عينَ المواســـاة أنَّنا — إلى عين موسى (١) نبذلُ الزادَ للسَّفْرِ
وما جسرتْ عيني على فيضِ عبرةٍ — أكفكفها حتى عبَرْنا على الجسرِ (٢)
وملتُ إلى أرضِ السَّديرِ (٣) وجنَّةٍ — هنالك من طلحٍ نضيدٍ ومن سِدْرِ (٤)
وجُبْنا الفلاَ حتى أتينا (٥) مباركاً — على بركة (٦) الجبِّ المُبشِّرِ بالقصرِ (٧)
ولما بدا الفسطاطُ بشَّرتْ ناقتي (٨) — بمن يتلقَّى الوفدَ بالوفْرِ والبِشْرِ
ولم أنسَ يومَ البينِ بالمرْجِ (٩) نشرَنا — مطاوىَ سِرٍّ في الهوى أرِجِ النَّشْرِ
وقد أقبلت نُعْمٌ وأترابُها كما — تطلَّعَ بدرُ التمِّ في الأنجمِ الزُّهْرِ
وقفنـــا وحادينا يحثُّ وناقتي — ترُمُّ (١٠) ولاَحِينا لِمُغرَمِنا مُغْرِ
وكلٌّ بنانٍ فوق سِـــنٍّ لنادمٍ — وكلٌّ يدٍ فوق التريبةِ والنحر
وبيعَ فؤادي في مناداةِ شوقهم — فسُمْتُهمُ أنْ يأخذوا الرُّوحَ بالسِّعْرِ
بكت أمُّ عمروٍ من وشيكِ ترحُّلي — فيا خجلتا من أمِّ عمروٍ ومن عمرو
تقولُ إلى مصرٍ تسيرُ ! تعجباً — وما الذي تبغي ومَنْ لكَ في مصر ؟
تُبدِّدُ في سهْلٍ من العيش شملَنا — وتنظمُ سِلكَ العيشِ في المَسْلَكِ الوعْرِ ؟
فقل أيما عُرْفٍ حداكَ على النوى ؟ — ومن ضَلَّةٍ أنْ تطلب العُرْفَ بالنُّكْرِ

(١) عين موسى : عين بواد كثير الزيتون بالقرب من بتراء .
(٢) الجسر : مدينة القلزم وكانت تقع بالقرب من السويس الآن .
(٣) السدير : أول ما يلقى القادم من الشام إلى مصر من جنات وزروع .
(٤) الطلح : شجر الموز . والسدر : شجر النبق .
(٥) رواية الروضتين : أصبنا .
(٦) بركة الجب : هي الآن قرية في مديرية القليوبية تسمى البركة ، وهي شرق المرج .
(٧) القصر : قصر السلطان صلاح الدين وكان قصر الفاطميين قبله .
(٨) رواية الروضتين : رفقتي .
(٩) المرج : يريد أحد مروج دمشق وهي الغياض حولها .
(١٠) ترم : ترفع رأسها لتهم بالسير .

ومن فارقَ الأحبابَ مستبدلاً بهم   سواهمْ فقد باعَ المرابحَ بالخُسْرِ
فقلتُ ملاذى الناصرُ الملكُ الذى   حصلتُ بجدواه على المُلْكِ والنَّصر
فقالت أقِمْ لا تَعْدَمِ الخير عندنا   فقلت وهل تُغْنِى السواقى عن البحر
فقالتْ صلاحُ الدين ؟ قلت هو الذى   به صارَ فضلى عالىَ الحظِّ والقَدْر
ثِقِى برجوعٍ يَضْمَنُ اللهُ نُجْحَهُ   ولا تَقْنَطِى أن نُبْدِلَ العُسْرَ باليُسْرِ
وإنَّ صلاحَ الدينِ إنْ راحَ مُعْدِمٌ   إليه غدا من فَيْضِ نائِلِهِ مُثْرِى
نَعِزُّ بأفضال العزيزِ وفَضْلِهِ   ونَحْسِبُ نفعاً كلَّ ما مَسَّ من ضُرِّ
عطيته قد ضاعَفَتْ مُنَّةَ الرَّجا   ومِنَّتُهُ(١) قد أَضْعَفَتْ مُنَّةَ الشكر
[وماذا يحد المدح منه(٢)] فإنما   مناقِبُهُ جَلَّتْ عن الحدِّ والحَصْرِ

ولى فى الملك الناصر بعد مملكته مصر قصائد موسومة على اسمه ونعته ، [٣٤ ظ] فمن جملة الموسومات على اسمه قصيدة نظمتها(٣) فى سنة خمس / وستين أنفذتها إليه بمصر ، وهى هذه :

يَرُوقُنِى فى المها(٤) مُهَفْهَفُهَا   ومن قُدُودِ الحِسانِ أَهْيَفُهَا
ومن عيونِ الظباءِ أَفْتَرُهَا   ومن خُصورِ المِلاحِ أَنْحَفُهَا
ما سَقَمِى غَيْرُ سُقْمِ أَعْيُنِهَا   ثُمَّ شِفائى الشفاهُ أَرْشُفُهَا
يُسْكِرُنى قَرْقَفٌ(٥) يُشَعْشِعُهَا   لحظُ الطَّلَا لا الطِّلَا(٦) وقرقفها
يا ضَعْفَ قلبى من أعْيُنٍ نُجُلٍ   أَقْتَلُهَا بالقلوب أَضْعَفُهَا

(١) المنة بضم الميم : القوة . والمنة بكسر الميم : النعمة ، ورواية الروضتين : ونعمته .
(٢) فى الأصل بياض ، وأكملنا الشطر بما يلائم السياق .
(٣) فى الأصل : أولها .
(٤) المها : البقر الوحشى ، ويريد النساء على سبيل الاستعارة .
(٥) القرقف : الخمر .
(٦) الطلا : بكسر الطاء الخمر ، وبفتحها ولد الظبية .

ومن عِذارٍ كأنّهُ حَلَقٌ أحْكَمَ فى سَرْدِهِ[١] مُضَعِّفُها
ومن خدودٍ حُمْرٍ مُوَرَّدةٍ أدْوَمُها للحياء أطْرَفُها
فى سَلْبِ لُبّى تلطّفَتْ فأتى نحوى بِخطِّ الصِّبا[٢] مُلطِّفُها
يا مُنكراً مِنْ هوًى بُليتُ به علاقةٌ ما يكادُ يَعرِفُها
دَعْ سِرَّ وجدى فما أبوحُ به وخلِّ حالى فلستُ أكشفها
واصرف كؤوسَ الملام عن فِئةٍ عن شرعةِ الحب لستَ تصرفها
مِنْ شَرَفِ[٣] الحب حلَّ فى مُهَجٍ أقبلُها للغرام أشْرَفُها
لا يستطيبُ السلوَّ مُغرَمُها ولا يَلَذُّ الشفاء مُدْنَفُها
فالقلبُ فى لوعةٍ أُعالِجُها والعينُ فى عَبْرةٍ أُكفْكِفُها
كأنَّ قلبى وَحُبَّ مالكه مِصْرٌ وفيها المليكُ يُوسُفُها
هذا بسَلْبِ الفؤاد يظلمنى وهو بقتل الأعداء يُنْصِفُها
الملكُ الناصرُ الذى أبدًا بعزِّ سلطانه يُشرِّفُها
بعدله والصَّلاحِ يعمُرُها وبالندى والجميلِ يكنفها
وإنَّ مصراً بِمُلْكِ يوسفِها جنةُ خُلْدٍ يَرُوقُ زُخْرُفُها
وإنَّهُ فى السَّماح حاتِمُها[٤] وإنَّهُ فى الوقارِ أحْنَفُها[٥]
كم آملٍ بالندى يُحقِّقُهُ ومُنْيةٍ بالنجاح يُسْعِفُها
وليس يُوليك وَعْدَ عارفةٍ[٦] إلاَّ وعندَ النجازِ يُضعِفُها

(١) السرد : الحرز فى الأديم وهو هنا يشبه العذار بحلق الدرع أحكم خرزها .
(٢) الصبا : الصبوة إلى الحبيب والغرام .
(٣) شرف البناء : أعاليه . وقد عاد يتحدث عن هواه .
(٤) حاتمها : إشارة إلى حاتم طيء جواد العرب المشهور .
(٥) أحنفها : هو الأحنف بن قيس زعيم تميم فى الإسلام وأحلمها وأحكمها .
(٦) العارفة : الصنيعة والمعروف .

حَكَّمَ في مالِهِ العفاةَ(١) فما ... يَنْفُذُ فيه إلا تَصَرُّفُها
وإن شَمَلَ اللُّها(٢) يُفرِّقُهُ ... لِمَكْرُماتٍ له يُؤَلِّفُها
ذو شرفٍ مكرماتُهُ سَرَفٌ ... ويستحقُّ الثناءَ مُسْرِفُها
وعزمةٍ بالهدى تَكَفَّلَها ... وهمةٍ للعُلَى تَكَلَّفُها
يوسفُ مصرَ التي مَلاحِمُها ... جاءتْ بأوصافِهِ تُعَرِّفُها
كُتْبُ التواريخِ لا يُزَيِّنُها ... إلَّا بأَوْصافِهِ(٣) مُصَنِّفُها
ومن يَميرُ(٤) العفاةَ في سَنَةٍ ... أَسْمَنُهَا للجدوبِ أَعْجَفُها
آياتُ دينِ الإلهِ ظاهرةٌ ... فيكَ ويُثْني عليكَ مُصْحَفُها

ومنها أصف اجتهاده وجهاده للفرنج عند نزولهم على دمياط :

كم جحفلٍ بالعراءِ ذي لَجَبٍ ... بالصفِّ منه يضيق صَفْصَفُها(٥)
كالبحرِ طامِي العُبابِ لاعبةٌ ... بموجه للرياح أَعْصَفُها
كتيبةٌ مُنْتَضًى مُهَنَّدُها ... إلى الردى مُشْرَعٌ مُثَقَّفُها
غادَرْتَها للنسورِ مَأْكَلَةً ... حيث بأشلائها تَضَيُّفُها
منتصفاً من رءوسِ طاعنةٍ ... بيأتراتِ الظُّبا تُنَصِّفُها
وحُطْتَ دمياطَ(٦) إذ أحاطَ بها ... مَنْ بِرُجُومِ البلاءِ يَقْذِفُها
لاقَتْ غواةُ الفرنجِ خَيْبَتَها ... فزادَ مِنْ حسرةٍ تأسُّفُها

---

(١) العفاة : طلاب النوال وهى جمع عاف .
(٢) اللها : جمع لهوة وهى العطية .
(٣) رواية الروضتين ١/١٨٢ : بأيامه .
(٤) يمير : يأتى بالميرة وهى الطعام .
(٥) الصفصف : المستوى من الأرض .
(٦) يشير إلى نزول الفرنج دمياط سنة خمس وستين وخمسمائة ومقاومة صلاح الدين لهم حتى رحلوا عنها بعد خمسين يوما ، انظر الروضتين ١/١٨٠ .

فرَّ فريقُها وأزعجها ... نداءُ داويِّها تلهُّفُها(1)
يُمطرُ مُطرانَها العذابَ كما ... يُرْدَى بهدِّ السقوفِ أُسقفُها
تكسيرُ صُلبانِها وتنكيسُها ... لقصمِ أصلابِها وتقصيفُها
أوردتَ(2) قُلُبَ القلوبِ أرشيةً ... من القنا للدماءِ تنزفُها
وليتَها سفكَها فعاملُها ... عاملُها(3) والسنانُ مُشرفُها(4)
تعسَّفتْ نحوكَ الطريقَ فما ... أجدى سوى هُلكِها تعسُّفُها
وحسبُها فى العمى تهافتُها ... بل لسهامِ الرَّدى تهدُّفُها
يُمضى لك اللهُ فى قتالهمُ ... عزيمةً للجهادِ ترهفُها
إنْ أظلمتْ سُدْفةٌ(5) أنرتَ لها؛ ... أبهى ليالى البدورِ مُسْدفُها
بشائرُ الدينِ فى إزالته ... مواعدُ اللهِ ليسَ يُخلفُها

ومنها:

أدركتَ ما أعجزَ الملوكَ وقد ... باتَ إلى بعضِه تشوُّفُها(6)
جاوزتَ غاياتِ كلِّ منقبةٍ ... يعزُّ إلَّا عليك موقفُها
وإنَّ طُرقَ العلاءِ واضحةٌ ... آمنُها فى السلوكِ أخوفُها

(١) الداوية: فرقة من فرسان الصليبيين، وتسمى أيضاً باسم الهيكليين templars وهى جمعية تأسست سنة ١١١٨ م من بضعة أشراف من الفرنسيين الذين صحبوا جودفرى إلى القدس، وكانت جمعية أخوية رهبانية عسكرية. وكذلك الفررية جمعية أخوية رهبانية من جمعيات الصليبيين، وهى تطلق على فرق كثيرة.

(٢) القلب: جمع قليب، وهو البئر. والأرشية: الحبال، جمع رشاء.

(٣) عامل الرمح: صدره، والعامل: الوالى.

(٤) مشرف الشيء: الذى يعلوه. والمشرف أيضاً: القائم على الأمر.

(٥) السدفة: الظلمة.

(٦) التشوف: التطاول والتطلع.

صلاحَ دينِ الهدى لقد سَعِدَتْ ... مملكةٌ بالصلاحِ تُتحِفُها
عندى بشكر النُّعمى ثمارُ يدٍ ... زاكيةُ الغرسِ أنت تقطفها
فاقبلْ نقوداً من الفضائلِ لا ... يُصَابُ إلا لديكَ مصرَفُها
أصدافُ دُرِّى إليكَ أحملها ... وعن جميع الملوك أصدِفُها(١)
إن لم تُصِخْ لى فهذه دُرَرِى ... لأىِّ مَلْكٍ سِواكَ أَرْصُفُها
وهل لآمالنا سوى مَلِكٍ ... يَنقُدُها بِرُّهُ ويُسْلِفُها(٢)
دنيا من الفضلِ قد خلَتْ وبدا ... للنَّقْصِ فى أهله تعَيُّفُها(٣)
وكلُّ سوقٍ للفضلِ كاسدةٍ ... بانَ لأعدائه تَحَيُّفُها(٤)
وهل يروج الرجاء فى نفرٍ ... كُلُّهُمُ فى العُلا مُزَيِّفُها
قد عطفَتْ لى فضائلى ووفَتْ ... لكنْ حظوظى أعيا تعطُّفُها
وفضلَ الشمسُ فى مطالعها ... لكنَّ جهلَ الزمانِ يَكْسِفُها
قد أعربَتْ(٥) فيكَ بالثنا كَلِمى ... وحاسدى ضَلَّةً(٦) يُحرِّفُها
أسْدَى لنا شِيرَكوه(٧) عارفةً ... يوسفُ من بعدها سيخلفها
أنت قمينٌ بكلِّ تالدةٍ ... إنكَ يا ابنَ الكرامِ تُطرِفُها

---

(١) أصدفها : أصرفها ، يريد أنه يخص صلاح الدين بها .
(٢) يسلفها : يعطيها سلفاً وهى عكس ينقدها أى يعطيها تواً .
(٣) تعيفها : من عافت الإبل الماء أى لم تشربه .
(٤) تحيفها : تنقصها من حِيَفها أى نواحيها .
(٥) أعربت : أفصحت .
(٦) ضلة : من ضل عن الطريق وعن القصد .
(٧) هو أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الذى أرسله نورالدين صاحب الشام إلى مصر حين استنجد به شاور سنة تسع وخمسين وكذلك سنة اثنتين وستين . ولما استغاث العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بنور الدين ضد الصليبيين أرسله إليه واستمر بمصر وقتل شاور وولى الوزارة للعاضد من بعده سنة أربع وستين ولم تطل مدته فقد توفى بعد شهرين ، وخلفه ابن أخيه صلاح الدين ولم يلبث أن أزال الخلافة الفاطمية .

/ ومنها قصيدة أخرى موسومة باسمه أنفذتها إليه من دمشق إلى مصرَ فى [٣٥ و]
شهر صفر سنة سبع وستين ، أوّلها :

مُتَثَنِّى العِطْفِ أهيفُهُ كيفَ لا يُرْجَى تَعَطُّفُهُ
زادَ فى قَتْلى تَسَرُّعُهُ ثم فى وصلى توقُّفُه
يا ضنى جسمى لقد خطفَ القلبَ مُضْنَى الخصرِ مُخْطَفُهُ(١)
وبنفسى من أراقَ دمى منه جَفْنٌ سُلَّ مُرْهَفُه
وبلائى من مُقَبَّلِهِ وشفائى حين أَرْشُفُه
ولقلبى مالكٌ أبداً يتلافاهُ ويُتْلِفُه
من لمهجورٍ يدومُ على وصلِ من يهوى تأَسُّفُهُ
ومن البلوى تَلَهُّبُهُ ومن الشكوى تَلَهُّفُه
وسقيمُ الطرف يُسْقِمه ونحيفُ الخصرِ يُنْحِفُه
يتناهى فى تَظَلُّمِهِ من حَبيبٍ ليسَ يُنْصِفُه
حبَّذا ليلُ الشبابِ وقد طاب للسمَّارِ مُسْدَفُهُ(٢)
وزمانٌ بالعراقِ لنا رقَّ لما راقَ زُخْرُفُه
حين يُصبينى مُقَرْطَقُه(٣) ويُصَافِينى مُهَفْهَفُه
ويُنَاجينى مُقَرَّطُهُ(٤) ويُنَاغينى مُشَنَّفُهُ(٥)
ويعاطينى المُدامَ وقد(٦) لانَ عند الوصل مَعْطَفُه

---

(١) مخطف الخصر : ضامره .
(٢) مسدفه : مظلمه .
(٣) المقرطق : من يلبس القرطق ، وهو قباء ذو طاق واحد .
(٤) المقرط : من يتخذ القرط أو ذو القرط .
(٥) المشنف : ذو الشنف وهو القرط .
(٦) فى الأصل : « ويعاطينى المدام به » ، وهو تحريف .

كاد يُرْدينى (١) تَشَدُّدُه … ثم أحيانى تَلَطُّفُه
ونجىٍّ باتَ يُتحِفُنى … بشكاويه وأُتحِفُه
قال إنَّ الدهرَ ليس على … وفقِ ما نهوى تَصَرُّفُه
وكسادُ الفضلِ فى زمنٍ … رائجٍ فيه مُزَيَّفُه
أترى فى الناس كلِّهمُ … من لمعروفٍ تَشَوُّفُه ؟
قلتُ ما فى الدهرِ غيرُ فتًى … كلُّ ما قد فاتَ يُخْلِفُه
إنْ يَسُدْ فى الدهرِ ذو كرمٍ … فصلاحُ الدين يُوسُفُه

ومنها قصيدة مدحته بها فى سنة اثنتين وسبعين بمصر وأنا فى خدمته ، أوّلها :

فديتكَ من ظالمٍ مُنْصِفِ … وناهيكَ من باخلٍ مُسْعِفِ (٢)
بلقياكَ يُشْفَى سقامى الممضُّ … ولكن بسفكِ دمى تَشْتَفى
وتُخْلِفُ وعدكَ لى بالوصالِ … حنانيكَ من واعدٍ مُخْلِفِ
وتستحسنُ الغدر طبعًا ومَنْ … وَفَى مِنْ ذوى الحسنِ حتى تَفِى !
أمِثْلَكَ كلُّ حبيبٍ جفَا … ومِثْلِىَ كلُّ حبيبٍ جُفِى
أيا لَيِّنَ العطفِ قاسى الفؤادِ … بعيشك [بالله (٣)] لِنْ واعْطِفِ
فما تركَ الوجدُ لى مُسْكَةً (٤) … ولا مُنَّةً لىَ لَمْ تَضْعُفِ
تلافَ فصدُّكَ لى مُتْلِفٌ … فؤادى من الأسفِ المُتْلِفِ
وإن كنتَ لا بدَّ لى قاتلاً … بما صنعَ الوجدُ بى فاكتفِ
تناهيتَ فى قَتْلَتِى عامداً … فحيثُ انتهيتَ بقتلى قِفِ

(١) يردينى : من الردى وهو الهلاك .
(٢) فى الروضتين ١/٢٦٩ : مسرف .
(٣) فى الأصل : بعيشك لن واعطف ، والشطر بهذا تنقصه كلمة ، وقد وضعناها بين حاصرتين للدلالة على أنها مزيدة .
(٤) المسكة : ما يتمسك به .

ثناياكَ بُرْئِيَ فى رَشْـفِها ... وقد طالَ سُقْمى ولم أَرْشُفِ
أأنجو ومن قدِّكَ السمهرىُّ[1] ... لِحَيْنِي وفى جَفْنِكَ المَشْرَفى[2]
أيا مُسْرِفاً فى عذابى اقتصدْ ... أُعيذكَ من شَطَطِ المُسْرِفِ
نُحُولىَ من خصركَ الناحلِ السَّـ ... ـقيم كعاشـقِكَ المُدْنَفِ[3]
ومن سُقْمِ لحظكَ ذاكَ المريضِ ... شفائى وأُشْفِى[4] أنا لو شُفِى
على خَطْفِ قلبى يحل الشباكَ ... عقدُ وشاحك[5] فى مُخْطَفِ[6]
أنا المستهامُ بذاكَ القوامِ ... وذاكَ المُوَشَّحِ والمِعْطَفِ
وذاكَ المقبَّلِ والمبسمِ الـ ... ـمفدَّى المفدَّمِ[7] والقَرْقَفِ
بخدِّكَ من وَهَجٍ شُـعْلَةٌ ... أحاطتْ بقلبى فما تَنْطَفى
فإن تُخْفِ ألحاظُكَ القاتلاتُ ... دمى فبخـديك ما يَخْتَفى
غدا عاذلى عاذراً مُذْ رَأَى ... عِذارَكَ كالقمرِ الأَكْلَفِ
وقال أَرَى خَدَّهُ مُرْهَفاً ... ولا عيبَ فى خَصْرِهِ المُرْهَفِ
أقاحٍ وآسٌ ووَرْدٌ لها ... اجتماعٌ على غُصُنٍ أَهْيَفِ
تَرَفَّقْ رفيقى فليتَ الذى ... يُعَنِّفُ فى الحب لم يَعْنُفِ
غرامٌ عَرَا وزمانٌ عَدَا ... فهلْ ظالمٌ منهما مُنْصِفِ
زمانٌ خلا من جميلٍ فليسَ ... لغير ذوى نَقْصِهِ يَصْطَفِى

---

(١) السمهرى : الرمح الصلب منسوب إلى سمهر زوج ردينة ، وكانا مثقفين للرماح ، ويقال بل سمهر بلدة بالحبشة .

(٢) المشرفى : السيف ينسب إلى مشارف الشام وهى القرى الواقعة على حدود الصحراء هناك .

(٣) المدنف : السقيم من الحب .

(٤) أشفى : من أشفى على الهلاك إذا أشرف عليه .

(٥) الوشاح : أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وخصريها .

(٦) مخطف : صفة لموصوف أى خصر مخطف وهو الخصر الضامر .

(٧) المفدم : الأحمر المشبع حمرة .

جَنَى ظُلْمَـةَ الفضلِ حظى المنيرُ ... ولولا سنا الشمس لم تُكْسَف
ويا ليت دهرى إذا لم يكن ... بسُؤلىَ يُسْعِفُ لم يَعْسُفِ (١)
أيبلغُ دهرىَ قصـدى وقد ... قصدت بمصرَ ذُرَى (٢) يُوسُفِ

وهى قصيدة طويلة تبلغ مائة بيت (٣) ، والموسومات بنعته كثيرة ، فمنها قصيدة أوَّلها :

لو أن عُذْرِىَ لكَ يا لاحِ لاحْ ... ما كنتُ عن سكرىَ ياصاحِ صاحْ

ومنها قصيدة فى التهنئة ، بكسر عسكر حلب والموصل ، بتل (٤) السلطان يوم الخميس عاشر شوَّال سنة إحدى وسبعين ، أوَّلها :

يومٌ أهبَّ صَبَا (٥) الهِبَاتِ صَبَاحُهُ ... وروى حديثَ النصر عنكَ رَوَاحُهُ (٦)
فالسَّـعْدُ مُشْرِقَةٌ لنا آفاقهُ ... والنصرُ باديةٌ لنا أَوْضَاحُه (٧)
أوفى على عُودِ الثناء خطيبُهُ ... وشَدَا على غُصْنِ المُنَى صَدَّاحُه (٨)
فالشامُ مُبْتَلٌّ الثَّرَى ميمونهُ ... والعامُ مُنْهَلُّ الحَيَا (٩) سَحَّاحُه

---

(١) يعسف : يظلم .
(٢) يقال أنا فى ذرى فلان أى فى ظله وفى نعمه .
(٣) احتفظ كتاب الروضتين بثلاثة أبيات بعد البيت الأخير من هذه الأبيات وهى :

فسر وافتح القدس واسفك به ... دماء متى تجرها تنطف
وأهـد إلى الإسبتار البتار ... وهد السقوف على الأسقف
وخلص من الكفر تلك البلاد ... يخلصـك الله فى الموقف

وتنطف فى البيت الأول : تسيل ، والبتار فى البيت الثانى ، كغراب ، هو السيف القاطع مثل البتار بتشديد التاء والباتر .
(٤) تل السلطان : من أعمال حلب وبينهما خمسة فراسخ .
(٥) الصبا : ريح لينة يذكرها المحبون كثيراً .
(٦) الرواح : العشى أو من الزوال إلى الليل .
(٧) الأوضاح : جمع وضح وهو بياض الصبح .
(٨) الصداح : المغنى .
(٩) الحيا : الغيث .

والمحلُ[١] زالَ كبارقٍ مُتَهلّلٍ لمَ الشعوبَ بومْضِهِ لمَاحُه[٢]
فالحمدُ لله الذى إفضَـــالُه حُلْوُ الجنا عالِى[٣] السَّنا وَضَّاحُه
عاد العدوُّ بظُلمَةٍ من ظُلْمِهِ/ فى ليلِ ويلٍ قد خَبا مِصْبَاحُه [٣٥ظ]
رَكَدتْ قبولُ[٤] قبُولِهِ من بعْدِ أنْ هَبَّتْ غُروراً بالرياء رِياحُه

ومنها :

أوفى يريدُ له بحرِّ جُنودِهِ رِبحًا فخِرَتْ خَسْرَةً أرْباحُه
حملَ السلاحَ إلى القتالِ وما درى أنَّ الذى يَجْنى عليــه سِلاحُه
وَلَّى بكسرٍ لا يُرجَّى جَبْرُه وبِقرْحِ قَلْبٍ لا تبِلُّ[٥] جِراحُه
ونجا إلى حلبٍ[٦] ومِنْ حَلْبِ[٧] الردى دَرٌّ وفيـــه نجاتُه وفلاحُه

ومنها :

إن أفسَدَ الدينَ العصاةُ[٨] بِجِنْثِهِم فالناصرُ المَلِكُ الصلاحُ صَلاحُه

ومنها :

فَرِحَ العـــدوُّ بجمعه وَلقيتَهُ فتحوّلَتْ أحـــزانُهُ أفراحُه
صَحَّتْ على ضربِ الكُماةِ[٩] كُسُورُهُ وَتكسَّرتْ عند الطِّعانِ صِحاحُه

---

(١) المحل : الجدب .
(٢) لماحه : لماعه : من لمح النجم إذا لمع .
(٣) هكذا فى الروضتين ١/٢٥٥ وفى الأصل : على وهو خطأ .
(٤) القبول : بفتح القاف ريح الصبا ، وهى تقابل الدبور يريد العماد أن ريح إقبال العدو ركدت .
(٥) تبل : من البل بكسر الباء وتشديد اللام وهو الشفاء .
(٦) حلب : مدينة مشهورة فى شمال الشام على حدود تركيا .
(٧) الحلب : استخراج ما فى الضرع من اللبن والدر .
(٨) فى الروضتين : الفلاة .
(٩) الكمى : الشجاع وشاكى السلاح .

وافى بسَرْحٍ للنِّقادِ (١) فكانَ فى ... لُقيا الأُسودِ الضارياتِ سَراحُه
مَجْرٍ (٢) كبحرٍ دارِعُو فرسانِهِ ... حيتانُهُ وزعيمُهُمْ تِمساحُه
شَحْناؤُهُ شَحَنَتْ جوارىَ فُلْكِهِ ... جَوْرًا ومالَ بِهُلْكِهِ مَلّاحُه
عَدِمُوا الفلاحَ من الرجالِ فجاءهم ... من كلِّ صوبٍ مُكْرَها فَلّاحُه
فهمُ لحرثٍ لا لحربٍ حِزْبُهمْ ... أيُثيرُ قُرْحًا من يُثار قَراحُه (٣) ؟
قد فاظَ (٤) لما فاضَ جيشُكَ جأشُهُ ... غيظًا وغاضَ لبحركم ضَحْضاحُه
كم سابقٍ بِرداه يُرْدى سابحٍ ... فى بحْرِ هُلْكٍ ما نجا سَبَّاحُه

ومنها :

كم عَيْنِ عَيْنٍ غَوَّرَتْ غُوّارُهُ (٥) ... وقليبِ قَلْبٍ عَوَّرَتْ مُتّاحُهُ (٦)
إن آذنَتْ بالنتن ريحُ قتيلهم ... فالنصرُ نفّاحُ الشَّذا فوّاحُه
كم مارقٍ من مأزقٍ دمُهُ على ... مَسْحِ (٧) الحسام مُراقُهُ (٨) مسّاحُهُ
يُصْبيكَ نَهْدٌ إن سباهُ ناهدٌ (٩) ... ولديك جِدٌّ إن أباهُ مِزاحُه
ولكَ الكعوبُ (١٠) مُقوّماتٌ للردى ... وله الغداةَ كَعابُهُ ورَداحُهُ (١١)

(١) السرح : المال المسرح أو المرسل من غنم ونحوه ، والنقاد : جمع نقّاد وهو راعى جنس من الغنم قبيح الشكل ، والاستعارة واضحة .
(٢) المجر : الجيش العظيم .
(٣) القرح : العض بالسلاح ، والقراح : الأرض المخلصة للزرع والغرس .
(٤) فاظ : هلك .
(٥) العين الأولى بمعنى الينبوع والثانية الباصرة ، وغورت : من غار يغور أى ذهبوا بها ، والغوار من الإغارة فى الحرب .
(٦) القليب : البئر ، وعورت : من العوار وهو العيب والخرق فى الثوب . والمتاح : جمع ماتح ، وهو الذى يستق من القليب .
(٧) مسح : مساحة .
(٨) مراقه مساحه : يريد سائله يمسح السيف ويذرعه ، أو لعله يريد أنه يسيل عليه ويلطخه .
(٩) النهد : النهوض للعدو والصمود له ، يقول إنك تصمد للعدو على حين تسبيه المرأة الناهد أو الكاعب .
(١٠) يريد كعوب السيف ، ومقومات : مشهرات .
(١١) المرأة الرداح : السمينة .

رَاحُ النجيعِ (١) بها صحافُ صِفَاحِكُمْ … مَلْأَى وتَمْلأُ كلَّ كاس رَاحَهُ
وتجولُ فى صَهَوَاتِها فُرْسَانُكُمْ … وتدورُ فى خَلَوَاتِهِ أقداحُهُ
ويروقُهُ الخمرُ الحرامُ وعندَكُمْ … مما يُرَاقُ من الدِّماءِ مُبَاحُهُ
ضَرْبُ الطُّلَى (٢) بالمشرفىِّ طِلَابُكُمْ … وبراحِ مَنْ شَرِبَ الطِّلَا طُلَّاحُهُ (٣)
مُحْمَرُّ خدِّ صقيلةٍ (٤) تفَّاحُكُمْ … وأسيلُ خدِّ عقيلةٍ تفَّاحُهُ

ومنها :

للهِ جَيْشٌ بالمُرُوجِ عَرَضْتَهُ … أُسْدُ العرينِ رجالُه ورماحُه
ومن الحديدِ سوابغاً أبدانُهُ … ومن المضاءِ عزائماً أرْوَاحُه
وله فوارسُ بالنفوس سَمَاحُها … أتُعَادُ بالعِرْضِ المصونِ شحَاحُهُ
روضٌ من الصُّفْرِ البنودُ (٥) وحُمْرِها … والبيضِ ، يَزْهى وردُهُ وأقاحُهُ
من كل ماضى الحدِّ طَلَّقَ غِمْدَهُ … فَتْكاً لأغمادِ الرقابِ نِكَاحُهُ
قد كان عزمُكَ للالهِ مُصَمِّماً … فيهمْ فلاحَ كما رأيتَ فَلَاحُهُ

ومنها :

وكأننى بالساحل الأقصى وقد … ساحَتْ ببحرٍ (٦) دمِ الفرنجةِ ساحَهُ
فاعْبُرْ إلى القوم الفراتَ ليشربوا الـ … ـموتَ الأُجَاجَ (٧) فقد طما طفَّاحُهُ
لِتَفُكَّ من أيديهمُ رَهْنَ الرُّها (٨) … عَجِلاً ويدركَ ليلَها إصباحُهُ

---

(١) النجيع : الدم .
(٢) الطلى : جمع طلية وهى أصل العنق .
(٣) الطلاح : ضد الصلاح .
(٤) يريد السيوف والرماح .
(٥) البنود : الأعلام .
(٦) رواية الروضتين : بنحر .
(٧) الأجاج : المر .
(٨) الرها : مدينة بالجزيرة كانت أحد مواطن الثقافة الهيلينية قبل الإسلام . واليها يرجع فضل كبير فى نشر هذه الثقافة ببلاد الفرس قديماً ثم بين المسلمين حين امتلكوا الجزيرة .

وابغوا الحرَّانَ[١] الخلاصَ فكم بها … حرَّانُ قلبٍ نحوكم مُلْتاحُهُ[٢]
نَجُّوا البلادَ من البلاءِ بِعَدْلكم … فالظلمُ بادٍ فى الجميع صُراحُهُ[٣]
وَاسْتَفْتِحُوا ما كانَ من مُسْتَغْلِقٍ … فيها فربُّكمُ لكمْ فتّاحُهُ
قُولوا لأهلِ الدينِ قَرُّوا أعينا … فلقدْ أقام عَمُودَهُ سَفَّاحُهُ[٤]
بشرايَ فالإسلامُ من سلطانِهِ … جَذِلُ الفؤادِ بنصره مُرْتاحُهُ
مَلِكٌ لِيُمْنِ المعتفينَ[٥] يمينُهُ … ولراحةِ الرَّاجينَ تُبْسَطُ راحُهُ
لما اجتداهُ[٦] من الرَّجاء رجالُهُ … أَوْفَى على قَطْرِ السَّماء سَماحُهُ
فاقصدْ بِبَرْحِ[٧] الفقرِ رَحْبَ جَنابِهِ … فبراحِهِ يومَ النَّوالِ بَراحُهُ[٨]
مَلِكٌ تَمَلَّكَ[٩] جَدُّهُ من جَدِّهِ … فالمجدُ مَجْدٌ والمَراحُ مِراحُهُ[١٠]
ملكٌ يُحِبُّ الصفحَ عن أعدائِهِ … فلذاكَ تَصْفَحُ عن عِداهُ صِفاحُهُ

ومنها:

لك بيتُ مجدٍ ليس يُدْرَكُ حَدُّهُ … يعيا بذرع عُرُوضِهِ مَسّاحُهُ
المُلْكُ غابٌ أنتمُ أَشْبالُهُ … والدين رُوحٌ أنتمُ أَشْباحُهُ
ما شَرْحُ صَدْرِ الشَّرْعِ إلَّا منكمُ … ولذاكَ مِنْكُمْ للهدى إيضاحُهُ

(١) حران : هى المدينة الثانية فى الجزيرة التى نشرت منها الثقافة الهيلينية ، إذ كانت هى وأختها الرها مركزين مهمين للسريان . وكانت تغلب المسيحية على الرها بينما تغلب الوثنية على حران وأهلها المعروفين باسم الصابئة .

(٢) ملتاحه : من لاحه العطش : غيره .

(٣) الصراح : الخالص من كل شىء .

(٤) السفاح : السفاك للدماء .

(٥) المعتفون : طلاب النوال .

(٦) اجتدى : طلب الجدوى وهى العطاء .

(٧) برح الفقر : شدته .

(٨) البراح : المتسع من الأرض .

(٩) الجد : الحظ .

(١٠) المراح الأولى : مكان الرواح وزمانه ، والثانية : من المرح .

فخراً بنى أيوبَ إنَّ محلَّكم ضاقتْ على كلِّ الملوكِ فِساحهُ

لولا اتساعُ جَنابكم لعَدَدْتُه خَصْراً ، وفودُ المُعتفين وِشاحهُ

أنتمْ ملوكُ زمانِنا وسَرَاتُه(١) وكِرامُه وعِظامُه وفِصاحهُ

/ عظماؤهُ كبراؤهُ فضلاؤهُ ورزانُه(٢) ورِصانُه وصِباحهُ [٣٦ و]

أقمارُهُ وشموسُهُ ونجومُه وبحارُه وجبالُه وبطاحهُ(٣)

أنتمْ رجالُ الدهرِ بل فرسانُه ولذى الحلوم الطائشاتِ رِجاحهُ

فُتَّاكُهُ نُسَّاكُهُ ضُرَّارُهُ نفَّاعُهُ مُنَّاعُهُ مُنَّاحهُ

وأبو المظفرِ يوسفٌ مِطعامُهُ مِطعانُه مِقدامُه جَحْجَاحهُ(٤)

وإذا انتدى فى محفلٍ فَحَيِيُّهُ وإذا غدا فى جَحْفلٍ فوَقّاحهُ(٥)

أسْجَحْتَ(٦) حين ملكتَ عفواً عنهمُ إنَّ الكريمَ مُؤمَّلٌ إسْجاحهُ

ومنها قصيدة أخرى أنفذتها إليه من دمشق إلى مصر قبل مملكة الشام ، أوّلها :

سكرانُ باللحظِ صاحِ نشوانُ من غيرِ راحِ

بوجنةِ الورد يَفترُّ عن ثنايا الأقاحِ

وقامةِ الغصنِ يهتز فى مَراحِ المِراحِ(٧)

وعارضٍ(٨) المسك مثل الـمساء فوق الصباح

نمَّ العذارُ عليهِ فتمَّ فيه افتضاحى

---

(١) السراة : جمع سرى وهو الرئيس ، وهو جمع نادر لأن فعيلا لا يجمع على فعلة .

(٢) رزان : جمع رزين ، ومثلها رصان : جمع رصين .

(٣) البطاح : جمع أبطح ، وهو كل مكان متسع .

(٤) الجحجاح : السيد .

(٥) الوقاح : الجرىء .

(٦) فى الأصل : أسمحت ، والإسجاح : حسن العفو .

(٧) مراح المراح : مكان السرور .

(٨) العارض : صفحة الخد .

وردُ الحياء جَنِيٌّ[١]   فى ذلك التفــاح
والريقُ كالراحِ شُجَّتْ   بعــذبِ ماء قَرَاح[٢]
من كأسٍ فيه اغتباق   مُنَعَّمًا واصــطباحى[٣]
وفى الأمورِ اختتامى   على اسمه وافتتاحى
أهوى طلوعَ صَبَاحى   على وُجُوهٍ صِبَاح
ولثمَ أحورَ أحْوَى[٤]   وضمَّ رُودٍ[٥] رَدَاح
ورِيَّ قلبى الصدى من   عناقِ ظامى[٦] الوشاح
وفتنتى من عيونٍ   حورٍ مِرَاضٍ صحاح
يا صاحِ إنى نزيفٌ   سُكْرًا وإنك صاحِ
وبرحُ وجدى مقيمٌ   فما لَهُ من بَرَاح
دَعنى فما أنتَ يومًا   مؤاخــذٌ بجُنَاح
وما أطعتُ غَرامى   حتى عصيتُ اللَّوَاحى[٧]
وَفَى الحبيب وَتَمَّتْ   بوصــلِهِ أفراحى
وزادَ قِدْحى[٨] ودارت   بمُنْيَــتِى أقْدَاحى
أُعطى الكؤوسَ مِلاءً   على أكُفِّ الملاح
ورضتُ بالصبر دهرى   وكان صعبَ الجماح
قد استقرّت أمورى   فيه بحَسْبِ اقتراحى

(١) الجنى : على وزن فعيل الناضج .
(٢) المـاء القراح : الماء الصافى الخالى من كل شائبة .
(٣) الاغتباق : الشرب بالعشى . والاصطباح : الشرب فى الصباح .
(٤) الأحوى : ذو الشفة الحمراء إلى السواد ، والأحوى أيضا : الأسود .
(٥) الرود : الشابة الحسنة .
(٦) ظامى الوشاح : ناحل الوشاح .
(٧) اللواحى : جمع لاحٍ وهو اللائم .
(٨) القدح : السهم .

كما استقرَّ صلاحُ الدنـيا بملكِ الصَّـلاَح
تنيرُ شمسُ مساعيـه من سماء الصَّبَاح[1]
وأمرُهُ مسـتفادٌ من القضَاء المُتَاح
ذو المفخرِ المتَعَالى والنائلِ المُسْتَمَاح[2]
وللحقيقـةِ حامٍ وللدنيـةِ ماحِ
غيثُ السماحة طَوْدُ الْـوقار لَيْثُ الكفاح
صدرٌ بجدواه صدْرى مُذْ لم يزل فى انشراح
من قَدْحِ زندِ الأمانى به وُقُودُ القـداح
أمَّلْتُـهُ لِمُلِمٍّ فلاحَ وجهُ فَلاَحى
آمالُنا بلُهاهُ[3] الْـ أَجْسَامُ بالأرْوَاح
نَدَى كريمٍ حيىٍّ وبأسُ ذِمْرٍ[4] وَقَاح
يَفديكَ أهلُ اجتراه على رُكُوبِ اجْتِرَاح[5]
بالمالِ غيرُ كرامٍ بالعِرْضِ غيرُ شِحَاحِ
رأيتَ صونَ المعالى فى بذلِ مالٍ مباح
إن طالَ ليلُ مُلِمٍّ وافيتَ بالإصْبَاح

---

(١) رواية هذا البيت فى الروضتين ١٨٢/١ هكذا :

تنير شمس أياديه فى سماء السماح

ويلاحظ أن كتاب الروضتين ينقل هذا الشعر من كتاب البرق الشامى للعماد ، وهو مما ألفه فى أخريات حياته . فيمكن أن يكون قد أصلح هو نفسه هذا البيت حين رواه فى البرق كما أصلح غيره مما سبق .

(٢) المستماح : من استمحته إذا سألته العطاء .

(٣) اللهى : جمع لهوة وهى العطاء .

(٤) الذمر : الشجاع .

(٥) الاجتراح : الاكتساب .

ومنهـا :

مُلِّيتَ[١] يوسفُ مِصْرًا[٢] جِدًّا بغــير مزاح
مُلْكًا بغــير انتزاعٍ عزًّا بغــير انتزاح
يا من أياديه تُبْـدى بالحَصْر عِىَّ الفِصَاحِ
ومَنْ مُرَجَّى نَدَاهُ مُبَشِّرٌ بالنجــاحِ
عدوه فى اتِّضَـــاعٍ ومَجْدُه فى اتِّضَـــاح

ومنهـا :

صريحُ مدحى لِعَلْيَا كَ عن وَلاَء صُرَاح
بقَيْدِ شُكْرى عطايا كَ مُطْلَقَاتُ السَّرَاحِ

ولى فيه قصيدة طائية عند وصـوله إلى الشام واتصالى بخدمته[٣] أحببت إثباتها فى الخريدة ، وإيداعها فى الجريدةِ ، لأجلِ ذكرِ أخَواتها من نظم شعراء العصر فى الأقاليم[٤] ، وهى هذه :

عفَا الله عنكم مالكم أيها الرهطُ قسطتم[٥] ومن قلب المحبِّ لكم قِسْطُ
شرَطتمْ له حفظَ الوداد وخُنْتمُ حنانيكم[٦] ما هكذا الوُدُّ والشَّرْطُ

(١) مليت : متعت .
(٢) فى الأصل : مصر .
(٣) نقل صاحب كتاب الروضتين عن البرق الشامى أن العماد قال : إنه نظم هذه القصيدة بتاريخ السلاخ شعبان سنة سبعين وخمسمائة وصلاح الدين على بعلبك يحاول فتحها . انظر الروضتين ٢٤٧/١ .
(٤) ذكر صاحب الروضتين ما يفسر هذه الجملة إذ يروى عن العماد فى برقه الشامى أنه كان ملازما حينئذ لصلاح الدين . وكان مع صلاح الدين ديوان أسامة بن منقذ لايفارقه ، وكان معجبا خاصة بقصيدة طائية له من هـذا الوزن والروى . ويقول العماد إن كثيرا من الشعراء المحدثين نظموا على هذا المثال منهم المعرى وابن أبى حصينة والأرجانى وطلائع بن رزيك ثم يقول : وقد أوردت جميعها فى كتاب الخريدة . وهـذا معنى قوله هنا إنه أودع قصيدته فى الجريدة لأجل ذكر أخواتها . والصلة واضحة بين طائيته وطائية المعرى فى سقطه .
(٥) قسطتم : ظلمتم . (٦) فى الروضتين : خيانتكم .

جعلتمْ فؤادَ المستهامِ بكم لكُمْ … مَحطاً فعنه ثِقْلَ همّكمُ حطّوا
إذا كنتمُ فى القلبِ والدارُ قد نأتْ … فسيّانِ مِنْ أحبابه القربُ والشَّحْطُ
ثوى همُّهُ لما ثوى الوجدُ عنده … مقيماً وشطَّ الصبرُ فى جيرةٍ شَطُّوا
وأرّقهُ طيفٌ طوى(١) نحوه الدُّجى … وقد كاد(٢) جيبُ الليل بالصبح ينعطُّ(٣)
تشاغلتمُ عنه وثوقاً بوده … كأنَّ رضاكم عن محبكمُ سُخْط
جزعت غداةَ الجزْع(٤) لما رحلتمُ … وأسقطنى من بينكمْ ذلك السِّقْطُ(٥)
ملكتمْ فأنكرتمْ قديمَ مودّتى … كأنْ لم يكن فى البين معرفةٌ قطُّ
فَدَتْ مهجتى مَنْ لا يذمُّ لمهجتى … إذا حاكمتْهُ وهو فى الحُكْمِ مُشتطُّ
يريكَ ابتساماً عن شتيتٍ(٦) مُقبَّلٍ … كأنَّ نظيمَ الدرِّ ألّفهُ السِّمْطُ
وما كنت أدرى قبل سطوةِ طرفه … بأنَّ ضعيفاً فاتراً مِثْلَهُ يَسْطو
/ وهبْ أن بالقُرْطَيْنِ منه مُعلَّقٌ … لذنبِ الهوى قلبى فلِمْ عُلِّقَ القُرْط [٣٦ ظ]
وأهيفَ للاشفاقِ من ضعفِ خصره … محلُّ نطاقٍ(٧) للقلوبِ به رَبْط
على قُرْبِهِ فى الحالتين مُحسَّدٌ … من الثَّغْرِ والشَّعْرِ الأراكةُ والمشْط
بوجنتهِ نورُ المُدامةِ مُشْرِقٌ … ومقلته نَشْوى وفى فيه إسْفِنْطُ(٨)
تزينُ عِذارَيْهِ كتابةُ حُسْنِهِ … ومِنْ خالِهِ فى وجنتيه لها نَقْط
فؤادكَ خالٍ يا خليلى فلا تَلُمْ … فؤادًا سباه الخالُ والخدُّ والخطُّ
يلازمُ قلبى فى الهوى القبضُ مثلما … يلازم كفَّ الناصرِ الملكِ البسطُ
مليكٌ حوى الملكَ العقيمَ(٩) بضبطه … كريمٌ وما للمالِ فى يده ضَبْط

---

(١) فى الاصل : قرى .
(٢) فى الأصل : كان .
(٣) ينعط : يغشق .
(٤) الجزع . منعطف الوادى .
(٥) السقط : حيث ينقطع معظم الرمل .
(٦) شتيت مقبل : الثغر المفلج .
(٧) رواية الروضتين : يحل نطاقها .
(٨) الإسفنط : اسم من أسماء الخمر .
(٩) الملك العقيم : الملك الفذ الذى ليس له مثال .

ومولىً سريرُ الملكِ حفَّ بشخصه ... كما حفَّ بالإنسان من ناظرٍ وَسْط
مليكٌ لنجم النجح من أُفْقِ عِزِّهِ ... سَنًا ولطيرِ السَّعْدِ[١] فى وكره قَمْط[٢]
إذا لُثِمَتْ أيدى الملوك فعنده ... مدى الدهرِ إجلالاً له تُلْثَمُ البُسْط
لنوم الرعايا وادعين سهادُهُ ... إذا وادَعُوا الأَملاكُ فى نومهم غَطُّوا[٣]
أكفُّ ملوكِ العصرِ لا وَكْفَ[٤] عندها ... وكفُّ المليكِ الناصرِ البحرُ لا الوَقْطُ[٥]
عطايا نقودٌ لا نَسايا[٦] فكلُّها[٧] ... تُعَجَّلُ لا وعدٌ هناك ولا قَسْط[٨]
أغرُّ لكفِّ الكفرِ كفٌّ ببأسِهِ ... كما لفقارِ[٩] الفقر من جُوده وَهْط[١٠]
أياديه غرٌّ وهى غيرَ مُغبَّةٍ ... وإحسانه غَمْرٌ وليس له غَمْطُ
يحبُّ ضجيجَ الشاكرين إذا دعَوْا ... ويهوى سؤال المعتفين إذا أَطُّوا[١١]
ويَعْبَقُ عَرْفُ العُرْفِ والقِسْطِ[١٢] عنده ... ونَدُّ[١٣] النَّدَى لا البانُ[١٤] والرَّنْدُ[١٥] والقُسْطُ[١٦]
إلى طَوْلِهِ[١٧] المعروف طُولُ يدِ الرجا ... وفى بحر جدواه لآمالنا غَطُّ
صنائعُهُ رُبْطُ[١٨] الكرامِ وإنها ... لوفد أياديه المصانعُ والرُّبْط[١٩]

---

(١) فى الأصل : من .
(٢) القمط : ما يشد به وكر الطائر من أعشاب وما يلف حول الطفل من ثياب ، وسيأتى فى هذه القصيدة .
(٣) غط فى النوم : غلب عليه وأغرق فيه .
(٤) الوكف : الغيث والمطر .
(٥) الوقط : الحفرة فى الجبال أو فى الصخر تجتمع فيها المياه .
(٦) نسايا : جمع نسيئة وهى البيع المؤجل .
(٧) فى الأصل : وكلها .
(٨) القسط : الظلم .
(٩) الفقار : جمع فقرة وهى ما انتضد من عظام الظهر .
(١٠) الوهط : الكسر والوطء .
(١١) أط : صاح .
(١٢) القسط هنا : الرزق والنصيب .
(١٣) ند الندى : مسك ، أوطيب ، الكرم .
(١٤) البان : شجر .
(١٥) فى الأصل : الرنط وهو خطأ ، والرند : شجر طيب الرائحة .
(١٦) القسط : عود هندى .
(١٧) الطول : الفضل .
(١٨) ربط : جمع رباط وهو ما يربط به .
(١٩) المصانع : المبانى من الحصون ، والربط هنا : جمع رباط وهو الثغر الذى يرابط فيه الجيش .

يَمرُّ ويحلو حالةَ السخط والرضا فنعمته دأْبٌ ونقمته فَرْط[١]
من القوم تلقاهم عن النكر إن دُعُوا بطاءً وإن يُدْعَوْا إلى العُرْفِ لا يُبْطوا
همُ رَضَعُوا دَرَّ الحجى في مُهودِهِمْ أَماجدُ وانضمتْ على السؤددِ القُمْطُ
يصيبونَ فيما يقصدون فكم رَمَوْا بسهم الثراء المملقين فلم يُخْطوا
متى يَقْدِروا يَعْفوا وإن يَعِدُوا يَفُوا وإن يَبْذُلوا يُغْنُوا وإن يُسْأَلوا يُعْطُوا
يصيبُ الذي يصبو[٢] إلى قصدِ بابهم وفي غيرِ هذا القصدِ يُخطِي الذي يَخْطُو
وما أَسْعَدَ المَلْكَ الذي نَحْوَ بابه مطايا بأبناء الرجاء غدت تَمْطو[٣]
وماروضــةٌ غناء حُسْنًا كأنَّما لوارِفِها[٤] من نَسْجِ نُوّارِها مِرْط[٥]
إذا قادني للنرجس النضرِ ناظرٌ تلاه عــــذارٌ للبنفسج مُخْتَطٌّ
وللوردِ خـــدٌّ للحياء مُوَرَّدٌ وللبانِ قَدٌّ جيــدُهُ أبدًا يَعْطو[٦]
تلوحُ به الأشجارُ صَفًّا كأنَّها سطورُ كتابٍ والغديرُ لها كَشْط
تُغَنِّي على أعوادها الوُرْقُ مِثْلَمَا يرتِّل للتوراةِ ألحانَها سِبْط[٧]
كأنَّ سقيطَ[٨] الطلِّ عبرةُ مُغرَمٍ وبارِقَهُ من نارِ لوعته سِــقْطُ[٩]
ترى لِمُحَيَّا الشمسِ من هامرِ الحيا لثامَ حيـــاءٍ دونه ليسَ يَنْحَطُّ
بأزكى وأذكى منك حُسْنًا وإنما بحسناكَ لا بالروضِ للعائذِ الغَبْط
لك الصدرُ والباعُ الرحيبان في العلا وذاكَ المحيا الطلقُ والأَنملُ السُّبْطُ[١٠]

---

(١) فرط : إفراط . (٢) يصبو : يميل .
(٣) تمطو : من المطو وهو المد في السير .
(٤) في الأصل : نوازلها .
(٥) المرط : إزار من خز خاص بالنساء .
(٦) يعطو : يريد أنه قريب يتناول (٧) السبط : القبيلة من اليهود .
(٨) السقيط . الساقط .
(٩) السقط : الشرار الذي يسقط من الزندين عند إيرائهما .
(١٠) السبط : ضد الجعد ، والأنمل السبط كناية عن السخاء .

لراجيكمُ ماءُ البشاشةِ والنَّـــدَى جميعاً وحظُّ الحاسد النارُ والنَّفْط
عَنَا لكَ طوعًا نيلُ مصرٍ ودجلةُ الـــعراق ودان العُرْبُ والعُجْمُ والقِبْطُ
وللنيـــل شطٌّ ينتهى سيبُهُ به ونَيْلُكَ(١) للراجينَ نيلٌ ولا شَطُّ
وعفوكَ وَرْدٌ والجنـــاةُ جُناتُهُ وبيضُكَ(٢) شوكٌ فى العداةِ لها خَرْط(٣)
فِداؤكَ ممتدُّ المِطـــالِ مُحَجَّبٌ وحاجِبُهُ للكبرِ والعُجْبِ مُمْتَطُّ(٤)
فداؤكَ قومٌ فى الندىِّ وفى النَّدَى وجوههُمُ سُهْمٌ(٥) وأسْهُمُهُمْ مُرْطُ(٦)
لتبكِ دمًا عين العدو فقـد جرى على الأرضِ من أوْداجِهِ دمُهُ العَبْط(٧)

ومنها :

منعتَ حمى الإسلام للنصر معطياً غداةَ عوت من دونه الأذْؤُبُ المُعْط(٨)
وصُلْتَ وكم فرَّجْتَ عَنَّا مُلِمَّةً بسهم الرزايا فى الكرامِ لها لَهْط(٩)
بعَوْدِكَ عادَ الحقُّ واتَّضَحَ الهدى وهبَّ نسيمُ النصرِ وانفرجَ الضَّغْط
وأنت أجَرْتَ الشامَ من شُؤْمِ جارِه ولم يكفِ رهطُ الكفرِ حتى بغى رهطُ(١٠)
أجَرْتَ وقد جارُوا ودِنْتَ وقد عَدَوا(١١) وصُلْتَ وقد خارُوا ولِنْتَ وقد لَطُّوا(١٢)
فلا يعبأِ المولى بمن مِلْءُ جأشِهِ هوًى وبقومٍ حَشْوُ جيشِهِمُ زُطُّ(١٣)
كثيرٌ تعدِّيهِمْ قليـــلٌ غَناؤُهُمْ وهمْ –لا أصابوا رشدهم– هملٌ رَهْط

(١) النيل : العطاء . (٢) البيض : السيوف .
(٣) خرط : نزع وضرب . (٤) ممتط . ممتد .
(٥) سهم : عابسة . (٦) المرط من السهام : ما لا ريش له .
(٧) الدم العبط : الذى لا يزال سائلا .
(٨) المعط : الجرد التى لا شعر لها . (٩) لهط : رمى وضرب .
(١٠) يريد الخارجين على صلاح الدين فى الشام وبلاد الموصل والجزيرة .
(١١) عدوا : من العدوان وفى الأصل عدا . (١٢) لطوا . جحدوا .
(١٣) الزط : قبيل من الهند .

عدلت فلا ظلم وطلت(١) فلا مدى(٢) وقلت فلا مين وجدت فلا قحط
فميز مكان المخلصين فإنما الـ أعادى أناس فى رءوسهم خلط
وقرب وليا صح فيك ضميره ولا يأمن التمساح من دأبه السرط(٣)
/ نبا بى مقام الجاهلين فعفته وقد نضنضت(٤) للنهش حياته الرقط [٣٧ و]
هم منعوا رفدى قبول ونائل وذا وشل برض(٥) وذا أكل خمط(٦)
وكم مطمع فى خيره بشر وجهه ومشتمل منه على شره الإبط(٧)
لأبدى بلا عذر حظوظ فضائلى نفار العذارى من عذار به وخط(٨)
وجئتك ألقى العز عندك ملقيا قلائد للأسماع من درها لقط
أعزنى جميلا واصطنعنى وأصف لى جميلك حتى يشمت الحاسد الملط(٩)
أعنى فعين(١٠) الفضل عان(١١) مقيد بعقلة حرمان نداك لها نشط
وأوعز بتشريفى ورسمى فإنه لحمدى جزاء قد تقدمه الشرط
إلام زمانى لايزال مسلطا على نابه من أهله نابه السلط(١٢)
سعت نحوكم منى مطايا مطالب لأنسعها(١٣) فى النجح عندكم مغط(١٤)

---

(١) طلت : تفضلت وأنعمت .

(٢) يريد أنه ليس له مدى فى تفضله يقف عنده ، وربما كانت محرفة عن كلمة أذى .

(٣) السرط : البلع .

(٤) نضنضت الحيات : حركت ألسنتها .

(٥) الوشل البرض : الماء القليل .

(٦) الأكل الخمط : الذى فيه طعم من مرارة .

(٧) الإبط : باطن المنكب ، يريد العماد أنه يبطن الشر ، وقد استخدم هذه الكناية من قصة تأبط شرا الشاعر الجاهلى ، وهى قصة مشهورة .

(٨) الوخط : الشيب .

(٩) الملط : الخبيث .

(١٠) عين : ذات .

(١١) عان : أسير .

(١٢) السلط : الشديد .

(١٣) الأنسع : جمع نسع وهو سير عريض تشد به الرحال .

(١٤) المغط : الإغراق والجرى والامتداد أيضا .

فدُمْ ظافراً أبا المظفر بالعِـــدَى … حليفَ قبولٍ لا يكون لها حَبْط[١]

بقيتَ ولا زالتْ عداكَ مُفِيـــدَةً … سعودًا ولا تُخْسِنْ صعودًا ولا هبط

ولو كنتَ جارًا للمعرىّ لم يَقُـــلْ … لمن جيرةٌ سيموا النوالَ فلم يُنْطُوا[٢]

ومدائحه كثيرة ، ومنائحه[٣] غزيرة ، وليس شرطُ هذا الـكتاب ، بسطَ هذا الباب ؛ فاقتصرت على ما أوردته ، وحصرت ما أفردته ؛ فإن مللته أو اُسْتَطَلْتَهُ ، فاستملِ ما استطبتَه ، واستحلِ ما أحببتَه ؛ واستجلِ سناه ، وتخلَّ عما سواه ؛ فلعـل غيركَ يَسْتَمْرِئُ ما تستمرُّه ، ويعرف بفهمه الثاقب وفـكره الصائب ما تنكره ؛ فقف حيث ينتهى إليه فـكرك ، وطُفْ حول ما يشتمل عليه زَكَنُكَ[٤] ، نبهُ ذكرك وَوَجُهَ قدْرُكَ .

وأنا الآن موفٍ حق هذا القسم الرابع ، بذكر ما أُثبته من البدائع ، ومورد كلَّ ما يهتز له عِطْف السامع ، ويتنزه فيه طَرْف الراتع . فانظم من دُرٍّ ما شيت ولا تُلِمَّ ببحره إن خشيت ؛ فإن دُرَّ البحر يجلبه من يلازم الغَوْصَ ، ودَرَّ الفكر يجلبه من يداومُ الفَحْصَ .

---

(١) الحبط : الإحباط والإبطال .

(٢) يشير هنا إلى قصيدة المعرى الطائية التى عارضها ، وقد استشهد بأول شطر فيها ، ختم به طائيته . والمعرى فى شطره يستفهم عن قوم طلب إليهم النوال والعطاء فلم ينطوا ، والإنطاء : العطاء بلغة أهل اليمن .

(٣) المنائح : جمع منيحة وهى المنحة أو العطية .

(٤) الزكن : الفهم وفى الأصل : ذكرك .

شعراء مصر

[illegible]

[شعراء مصر]

وقبل شروعى فى ذكر أعيانِ مصر وأحاسنها ، ومزايا فضائلها ومزاينها ، أُقدِّمُ ذكرَ مَنْ جميعُ أفاضلِ الدهر ، وأماثل العصر ، كالقطرة [فى(١)] تيار بحره ، بل كالذَّرَّةِ فى أنوار فجره ، وهو :

١ — المولى الأجل القاضى الفاضل* الأسعد

أبو على عبد الرحيم بن القاضى الأشرف أبى المجد على بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن البيسانى

صاحب القران ، العديم الأقران ، وواحد الزمان ، العظيم الشان ، رب القلم والبيان ، واللَّسَنِ واللسان ، والقريحة الوقادة ، والبصيرة النقادة ، والبديهة المعجزة ، والبديعة المطرَّزة ، والفضل الذى ما سُمِعَ فى الأوائل بمن لو عاش فى زمانه

---

(١) ساقطة من الأصل .

(*) أشهر كتاب مصر فى العصور الوسطى . ولد فى عسقلان وكان أبوه يلى قضاء بيسان فى فلسطين فنسب إليها ، وقد أرسله إلى ديوان الإنشاء فى القاهرة أواخر العصر الفاطمى ، فتخرج فيه لعهد الحافظ (٥٢٤ — ٥٤٤ هـ) وكانت رئاسته حينئذ إلى الموفق بن الخلال وابن قادوس . ولما ظهر نبوغه اتخذه ابن حديد قاضى الإسكندرية كاتبا له ، ثم تركه إلى ديوان مصر فى عهد الظافر (٥٤٤ — ٥٤٩) فما زال يعمل به حتى وفد إلى مصر أسد الدين شيركوه ، فاختاره كاتبا له ، ولما توفى لحق بصلاح الدين وأصبح وزيره ومستشاره ، وما زال يرعاه صلاح الدين حتى آخر حياته ، وقد لزم بعده بيته وتوفى سنة ٥٩٦ هـ . وله ديوان رسائل كبير وديوان شعر لما يطبعا . انظر ترجمته فى ابن خلكان طبعة ديسلان ١/٣٩٧ وشذرات الذهب ٤/٣٢٥ ومسالك الأبصار (مصورة دار الكتب المصرية) المجلد الثانى من الجزء السابع الورقة ٢٧٨ وطبقات الشافعية للسبكى ٤/٢٥٣ والوشى المرقوم فى حل المنظوم لابن الأثير طبع مطبعة الفنون ص ٩ .

لتعلق بغباره ، أو جرى فى مضماره . فهو كالشريعة المحمدية التى نسخت الشرائع ورسخت بها الصنائع ، يخترع الأفكار ، ويفترع الأبكار ، ويُطْلِعُ الأنوار ، ويبدع الأزهار . وهو ضابط الملك بآرائه ، ورابط السلك بآلائه ، إن شاء أنشأ فى يوم واحدٍ بل فى ساعةٍ واحدة مالو دُوِّنَ لكان لأهْلِ الصناعة خيرَ بضاعة . أين قسٌّ عند فصاحته وأين قيسٌ فى مقام حصافته ، ومن حاتمٌ وعمرو فى سماحته وحماسته . فضله بالإفضال حالٍ(١) ، ونجم قبوله فى أُفُقِ الإقبال عالٍ ، لا مَنَّ فى فعله ، ولا مَيْنَ فى قوله ، ولا خُلْفَ فى وعده ولا بُطْءَ(٢) فى رِفْده . الصادق الشِّيَم ، السابق بالكرم ، ذو الوفاء والمروّة ، والصفاء والفتوّة ، والتقى والصلاح والنّدَى والسماح . مُنْشِرُ(٣) رُفَاتَ العلم وناشرُ راياته ، وجالى غَيَاباتِ(٤) الفضل وتالى آياته . وهو من أولياء الله الذين خُصّوا بكرامته ، وأخلصوا لولايته ، قد وفقه الله للخير كله . وفضّل هذا العصر على الأعصار السالفة بفضله ونبله ؛ فهو مع مايتولاه من أشغال المملكة الشاغلة ، ومهامه المستغرقة فى العاجلة ، لايغفل عن الآجلة ، ولا يفتر عن المواظبة على نوافل صلاته ، وحفظ أوراده ووظائفه ، وبث أصفاده(٥) وعوارفه ، ويختم كلَّ يوم ختمةً من القرآن المجيد ، ويضيف إليه ما شاء من المزيد . / وأنا أوثر أن أفْرِدَ(٦) بنظمه ونثره كتاباً فإننى أغار [٣٧ ظ] من ذكره مع الذين هم كالسُّها(٧) فى فلك شمسه وذُكائه ، وكالثرى عند ثُرَيّا علمه وذكائه ؛ فإنما تبدو النجوم إذا لم تَبْدِ الشمسُ حاجبها ، ولا حَجَب نورُ الغزالة عند إشراقها كواكبها ؛ ولأنه لا يُؤْثِرُ أيضاً إثبات ذلك ، فأنا متمثلٌ لأمره المطاع ملتزم له قانون الاتباع ؛ واضعٌ أُذُنى لإذْنِهِ ، قابضٌ يمينى على

---

(١) حال : من الحلى وهو ما تتزين به المرأة .

(٢) فى الأصل : بطو .

(٣) منشر : محي وباعث .

(٤) غيابات كل شيء : ماستترك منه .

(٥) الأصفاد : جمع صفد وهو العطاء .

(٦) فى الأصل : أفرط .

(٧) السها : نجم خفى من بنات نعش الصغرى .

يُمْنه ، راكنٌ بأملى إلى ركنه ، قاطنٌ برجائى فى ظلِّ مَنِّه[١] ، أَقْتَرِضُ رضاه ، ولا أحكم على ما يحكم به ويراه ، ولا أقومُ إلا حيث يُقيمنى ، ولا أسوم[٢] إلا ما يَسُومنى ، ولا أعرف يداً ملكتنى غيرَ يده ، ولا أتَصَدَّى إلا ما جعلنى بصَدَدِه ، واسألُ الله التوفيقَ للثبات على هذا السَّنَنِ وانتهاجِ جَدَدِه .

وهو أحق ممدوحىٍّ بمدحى ، وأقضاهم لحقه ، وأسماهم فى أفقه ، وأولاهم بصدقه ، وأهداهم إلى طرُقه ، ولى فيه مدائحُ منظومةٌ ومنثورة ، ومقاصدُ معاهدها بفضله معمورة ، وقصائد قلائدها على مجده موفورة . فمن ذلك من قصيدة كتبتُ بها إليه عند وصوله إلى الشام فى الخدمة الملكية الناصرية سنة سبعين واتصالى به :

قد أَهْدَىَ الإثراء فى الإيفاضِ[٣] لى مذ فاضَ لى بالرَّحْب[٤] بحرُ الفاضل
قد عاضَ لى مَلْقاهُ من فقرى غنًى ما زالَ صَرْفُ الدهر منه عاضِلى[٥]
كم من مُنًى ضَلَّتْ وعاودتِ الهدى بلقائه حتى غَلَبْتُ مناضلى
عاينتُ طَوْدَ سكينةٍ ورأيتُ شمسَ فضيلةٍ ووردت بَحْرَ فواضل
ولقيتُ[٦] سَحْبانَ[٧] البلاغةِ ساحبًا ببيانه ثوبَ الفخارِ لوائل
أبصرتُ قُسًّا فى الفصاحةِ معجزًا فعرفتُ أنى فى فهاهةِ باقل[٨]
حلفُ الفصاحةِ والحصافةِ والسما حةِ والحماسةِ والتقى والنائل

(١) المن هنا : من من عليه إذا أنعم .
(٢) أسوم : أصلها من المساومة فى البيع ، وهو يريد أنه لا يمضى إلا عن إرادته .
(٣) الإيفاض : من أوفض له : بسط له بساطا وأكرمه .
(٤) بالرحب : يريد بالترحيب . (٥) عاضلى : ما نعى .
(٦) رواية الروضتين ٢٥١/١ : ورأيت .
(٧) سحبان : بليغ عربى من وائل يضرب به المثل .
(٨) باقل : رجل يضرب به المثل فى العى .

بحرٌ من الفضلِ الغزيرِ خِضَمُّهُ   طامى العُبابِ وما لهُ من ساحلِ

ومنها :

فى كفهِ قلمٌ يُعجِّلُ جَرْيُهُ   ما كان من أجلٍ ورزقٍ آجل
يجرى ولاجَرْيَ الحسام إذا مَضَى (١)   حَدَّاه بل جَرْيَ القضاء النازل
نابتْ كتابتُهُ مَنابَ كتيبةٍ   كُفِلَتْ بهزمِ كتائبٍ وجحافل
كم جادَ إسعافاً لعافيهِ وكم   أمْلَى النجاحَ على رجاىَ الآمل
بيراعهِ أبداً يُراعى عالمٌ   فى سِرْبه ويُراعُ سِرْبُ الجاهل
فعَدُوُّهُ فى عَدْوِهِ ، ووَلِيُّهُ   فى عَدْلِهِ ، يا حُسْنَ عادٍ عادل
ريَّانُ من ماء التقى ، صادٍ إلى   كَسْبِ المحامدِ ، وهْى (٢) خيرُ مناهل
غَطَّتْ فضيلتُهُ نقيصةَ دهرنا   عَنَّا وأذهبَ حَقُّهُ بالباطل
كفلتْ كفايتُه بكلِّ فضيلةٍ   أَكْرِمْ بكافٍ للفضائلِ كافل
أَكْرِمْ به من خِدْنِ إفضالٍ وذى   فَضْلٍ لأهل الشام شافٍ شامل
ما حلَّ فى بلدٍ فكان مَحَلُّهُ   إلا محلَّ حَيًا بروضٍ (٣) ماحل
ففداءُ حزمِكَ كلُّ غاشٍ (٤) غاشمٍ   وفداءُ فضلكَ كلُّ غافٍ غافلِ
يا أوحدَ العصرِ الذى بَزَّ (٥) الورى   فضلاً بغير مُشاكهٍ (٦) ومُشاكلِ
يا أفضلَ الفصحاء بل يا أفصحَ الـ   ـبلغاء منفرداً بغيرِ مُساجل
يا حالياً بالفضل حَلَّ تفضلاً   منى بجَدِّكَ جيدَ حظٍّ عاطل

---

(١) فى الروضتين : جرى .
(٢) هكذا فى الروضتين ، وفى الأصل : هو .
(٣) فى الأصل : مروض .
(٤) الغاشى : من غشيه إذا أتاه أو ورد عليه .
(٥) هكذا فى الروضتين ، وفى الأصل : مد ، وهو تحريف .
(٦) فى الروضتين : مشابه ، والمعنى واحد .

كم ناقصٍ إدبارُه قد ردَّنى   لـكنَّما إقبالُ فضلِكَ قابلى
قد كان هـذا الشامُ لولا أنتمُ   روعَ المقيم به ورَوحَ الراحـل
كيف السبيلُ إلى نجاح مقاصدى   ومحاسنى — وهى العيوبُ — وسائلى
مالى وجاهَ الجاهلين فأغْنِنى   عنهمْ كُفيتَهُمُ وجُدْ بالجاهِ لى
جُدْ لى بمِنَّتِكَ الضعيفةُ مُنَّتى   عنها وأثقِـلْ من جميلك كاهلى
أرجوكَ معتنياً لدى السلطانِ بى   كَرَمًا فمثلُكَ يَعْتَـنِى بأمَاثِلِى
تُوفِى وليَّكَ دَيْنَ مجْـدٍ عاقَهُ   لىُّ الوعودِ من الزمانِ الماطل
قرِّرْ لىَ الشغلَ المنخَّلَ مُخْلِيًا   بالى من الهمِّ المقيمِ الشاغل
لا زلتَ غيثَ مكارمٍ وبقيتَ غَوْ   ثَ أكارمٍ وسلمتَ كهفَ أفاضل

ومدحته بمصر وذلك فى شهر رمضان من سنة اثنتين وسبعين بقصيدة أولها :

بحياتِكمْ ما عنـدكمْ بَعْدى   فسِوَى الأسَى ما بعْدكُمْ عندى
جُودُوا بِرِفْدٍ من خيالـكُمُ   فخيالـكمْ لى غايةُ الرفـد
أسْدُوا إلَىَّ يداً لأشْكُرَهَا   فالشكرُ لا يعدو يدَ المُسْدِى
[٣٨ و] / مالِى مجـيرٌ غيرُ طيْفِكُمُ   يُهدى إلىَّ القـربَ فى البعد
والعينُ قد دَمِيَتْ وليس لهـا   إلا معـينُ الدمعِ مِنْ وِرْد
والسمعُ فى وَقْرٍ لعـاذلِهِ   فيكمْ ونارُ الشوقِ فى وَقْد
مَنْ غيرُكم للوصلِ أسْـتَدْعى   أو مَنْ على الهِجْرانِ أسْتَعْدِى
ما كنتُ أعلمُ قبـلَ فرقتنا   أنَّ الهوى يومَ النوى يُرْدِى
سَقَمِى شفائى فى مودَّتـكُمْ   وضلالتى فى حبِّكُمْ رُشْدِى
بالروح يفـديكم مُحِبُّكُمُ   والروحُ أكرمُ ما به يَفْدى

يا مالكِي رِقّي أَمَا لَكُمُ   من رِقَّةٍ يا حافظى وُدِّى
يا جاحدى حقَّ الودادِ وهل   حقُّ الودادِ يضيعُ بالجحْد
يا دمعُ لا تتركْ مساعدتى   فقد استقالَ الصبرُ من وجدى
طلبَ التصبرَ جاهداً فأَبى   قلبٌ من الأشواقِ فى جَهْد
وتكحّلَتْ ليلاً بإثمدِهِ(١)   عينٌ له مَرِهَتْ(٢) من السُّهْد
مُتفرِّدٌ بتجرُّعِ الأَسفِ الـ   ـمُظْمِى لشوقِ الأجرعِ(٣) الفَرْد
شَهِدَ الوداعَ فزاده أَلمـا   لَمَّا أصابَ الصابَ(٤) فى الشَّهدِ
إنْ أنتَ لم تَهْدِ الشفاء له   وهواكَ مُمْرِضُهُ فمن يَهْدِى
أَمَّلْتُ نجحكَ لا تَخِبْ أَمَلِى   وقصدتُ حِفْظَكَ لا تُضِعْ قَصْدِى
رَحَلُوا وقلبى فى رحالِهِمُ   يشكو صدىً ويُشاكُ(٥) من صَدِّ
أُلقيتُ عند مَثارِ عِيسِهِمُ   نفسى ، وقلتُ خِدِى(٦) على خَدِّى
ناديتُ حاديهمْ بعيشكَ قِفْ   للبين من حَدْوٍ(٧) على حَدِّ
رفقاً بعيشهمُ أَمَا لَهُمُ   مِمَّا بدَا للبينِ من بُدِّ
فاهدأْ ـ هُدِيتَ ـ فمذ حدوتَ رَمَوْا   جَلَدى الضعيفَ الأُسِّ بالهَدِّ
وَجْدى بمصرَ يَهِيجُ ساكنَهُ   شَغَفِى بذكرى ساكنى نجد
والوجدُ فى الأحزان كامنةٌ   عندى خلافُ النارِ فى الزَّنْدِ
ما للأحبّةِ — لا عَدِمْتُهُمُ —   رَغِبُوا عن الإسعادِ(٨) فى الزُّهْد

(١) الإثمد : حجر للكحل .
(٢) مرهت العين : خلت من الكحل أو تقرحت بسبب تركه .
(٣) الأجرع : الكثيب .   (٤) الصاب : المر .
(٥) يشاك : دخلته الشوكة .
(٦) خدى : من الوخد ، وهو ضرب من السير للإبل .
(٧) الحدو : الحداء .
(٨) الإسعاد : المشاركة فى الدموع .

أوَليسَ أحبابى بنو زمنى   لا غَرْوَ إنْ لم يحفظوا عهدى
إنْ لم يَفُوا فلقد وفى كرماً   عبدُ الرحيم بذمَّةِ المجد
الفاضلُ المفضالُ والنَّدِسُ[(١)]   المُسْدِى الندى والماجدُ المُجْدِى
ما إنْ يضلُّ بقاصدٍ أمَلٌ   إلا ويضمنُ أنه يَهْدى
يُسْدِى إلىَّ منيرَ أنْعُمِهِ   وأُنيرُ[(٢)] مِدْحَتَهُ كما أُسْدِى[(٣)]
العُرْفُ معتادٌ له خلقٌ   وبه تراه غيرَ مُعْتَقِدٍ
بجنابه يدنو جَنَى أملِ النائى   وراحةُ حظِّىَ المُكْدِى[(٤)]
أبداً توالَى مِنْ عوارفِهِ   طُرفٌ تضافُ لنا إلى تُلُدِ
ويرى رجائى من مكارمه   فى النجح طَرْفٌ غيرُ مُرْتَدِّ[(٥)]
زاكى النِّجارِ أخُو الفخارِ وذو الـ   ـمجد الأثيرِ الطاهرِ البُرْدِ
ذو الرتبةِ الشمَّاء والشرفِ الـ   ـعالى السَّنَا والسؤدُدِ العِدِّ[(٦)]
الناسُ كلهمُ له تَبَعٌ   فى فضلهِ والدهرُ كالعَبْدِ
والبحرُ ذو جَزْرٍ[(٧)] وراحتُهُ   بحرٌ — مدى الأيامِ — فى مَدِّ

ومنها فى وصف القلم :

وله اليَرَاعُ وَلِيُّهُ أبداً   يُرْعَى به ويُراعُ ذو الحِقْدِ
كم غاض بحرُ بنَانِهِ فغدا   دُرُّ البيانِ يُساق فى العِقْدِ

---

(١) الندس : الفطن الذكى .
(٢) أنير : من أنار إذا غرز الإبرة فمعناها أخيط .
(٣) يسدى : هنا من السدى وهو ما مد من الثوب .
(٤) المكدى : السيء أو البائس من أكدى إذا قل خيره أو قل عطاؤه .
(٥) يشير إلى الآية الكريمة فى قصة سليمان وهى قوله تعالى « أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » يريد أن نجح رجائه سريع فهو يتحقق قبل أن يرتد إليه طرفه .
(٦) العد : الكثير ، وأصله الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع .
(٧) فى الأصل : زجر ، وهو تحريف واضح .

إن سوَّد البيضاء[١] بيَّضَ مِنْ ... ثوبِ الليالى كلَّ مُسْوَدِّ
قَلَمٌ أقاليمُ البلادِ به ... وثغورُها فى الضَّبْطِ والشَّدِّ
بُهزالِهِ سِمَنُ العُلاَ وكذا ... فى الهَزْلِ منه حقيقةُ الجِدِّ
لِلِسانِهِ حُجَجٌ يَرُدُّ بها ... جزمًا قضايا الألْسُنِ اللُّدِّ[٢]
ظمآنُ يُرْوِى كلَّ ذى ظمإٍ ... فاعجبْ لذى وِرْدٍ بلا وِرْدِ
مَلِكٌ كتيبتُهُ كِتابتُهُ ... فَرْدٌ بجيشِ النصرِ فى جُنْدِ
الأسمرُ[٣] الخَطِّىُّ تابِعُهُ ... فى حُكْمِهِ والأبيَضُ الهندى[٤]
والنائباتُ بحدِّهِ أبدًا ... مثلومةٌ مفلولةُ الحَدِّ
كم مأزقٍ تَقَى الغرارُ[٥] به ... للرعب من جَفْنٍ ومن غِمْدِ
نَفَذَتْ به اللاماتُ طاعنةً ... ألفاتِ خُرْصانِ[٦] القنا المُلْدِ[٧]
والسُّمْرُ داميةٌ مطاعِنُها ... كمراوِدٍ فى أعْيُنٍ رُمْدِ
فرَّجْتَهُ بِشَبًا[٨] مُلَطَّفةٍ ... وَرَدَتْ بِقَسْرِ القَسْوَرِ الوَرْدِ[٩]
بلطيفِ تدبيرٍ يَرِقُّ له ... لصفائهِ قلبُ الصَّفا الصَّلْدِ
عُرْفٌ يُبَدِّلُ بالرجاء لنا ... فى الأزْمِ[١٠] نُكْرَ الأزْمُنِ النُّكْدِ
ناديكَ من نَدِّ النَّدَى عَطِرٌ ... يا مَنْ يَجِلُّ نداهُ عن نِدِّ
من سَيْبِ سَيْبِكَ[١١] كلُّ مَحْمَدَةٍ ... فَلأنتَ حقًّا مالكُ الحمدِ

---

(١) يريد الصحيفة .
(٢) اللد : جمع ألد وهو الشديد الجدال الذى لا يرتد إلى الحق .
(٣) الأسمر الخطى : الرمح ، ينسب إلى مرفأ سفن بالبحرين يسمى الخط .
(٤) الأبيض الهندى : السيف . (٥) الغرار : حد القلم .
(٦) الخرصان : جمع خرص ، وهو القناة والسنان .
(٧) الملد : جمع أملد ، وهو الناعم اللين ، ويؤثر ذلك فى القنا .
(٨) الشبا : الحد . (٩) قسر القسور الورد : قهر البطل الشجاع .
(١٠) الأزم : الأزمة والشدة . (١١) السيب : العطاء .

وتُعيدُ ما تُبدى وتُضْعِفُهُ … ومَنِ المعيدُ سواكَ والمُبْدى ؟
يا مَنْ وجدتُ بلاغتى حصَرًا … فى حَصْرِ ما يُوليهِ والعَدِّ
من كلِّ مَنْ عقدَ النوائبَ عن … حَظِّى عُرًى مُوثَّقةَ الشَّدِّ
فرَّقْتَ أعدائى غداةَ هُمُ … للشرِّ فى حَشْرٍ وفى حَشْدِ
ورفعتَنى فوقَ اليَفاعِ ولو … لم تُسْمِنى(١) لمكثتُ فى الوَهْدِ
فَضْلِى ، طرادُ(٢) الدهرِ غادره … وحظوظُهُ كَلَّتْ من الطَّرْدِ
غدرَ الزمانُ بكلِّ ذى حَسَبٍ … يأْبَى الوفاءَ بعَيْشِهِ الرَّغْدِ

ومنها :

زِدْ غَرْسَ رِيِّكَ(٣) رِيَّهُ فلقد … أضحى بعيدَ العَهْدِ بالعَهْدِ(٤)
عَدْوُ العدوِّ يهونُ أصْعَبُهُ … مادمتَ ـ دمتَ ـ عليه لى مُعْدِى(٥)
والشوكُ لايشكو جِنَايَتَهُ … من كانَ مطلبُهُ جَنَى الورد
أخفى بنو زمنى محاسنَهُ … وعتابُ أيامى معى وَحْدِى

ومنها :

هذا أوانُ نِجازِ وعدِكَ لى … إنَّ الكريمَ لَمُنْجِزُ الوعد
[٣٨ ظ] / من شدَّ ظهرَ رجائِهِ بِكَ هل … يبقى بأمرٍ غيرِ مشتد ؟
أيكونُ زبدةُ ما أُؤَمِّلُهُ … عدمَ التَّمَخُّضِ(٦) فيه عن زُبْد
أرْغِمْ بفضلك ضِدَّ مَنْقَبَتِى … لا زالَ فَضْلُكَ مُرْغِمَ الضد
ساعدْ بِجَدِّكَ لِى بقيتَ على … رغم الأعادى صاعدَ الجَدِّ

---

(١) أسماه : سما به . (٢) طراد الدهر : مطاردته له .
(٣) الرى : الارتواء . (٤) العهد الثانية : المطر .
(٥) معدى : من أعداه عليه ، إذا استعداه ونصره .
(٦) التمخض : استخراج الزبد من اللبن .

والقصيدةُ أكثرُ مما أوردته . وحيث أوردت من نظمى فى مدحِه ، وحققت به عجزى عن شكر منَحِه ، فلا بدَّ من إيراد بعض رسائلِى التى خدمتُهُ بها ، وتعلقت عنده بسببها .

وأنا موردٌ رسالةً جامعةً مانعةً[1] ناصعةً ، كتبتها فى جواب مكاتبة له إلىَّ وقد أهدى لى تسع مجلدات من الكتب النفيسة ، تشتمل على أشعار أهل العصر المغربيين وآدابهم وهو يُثْنِى فيها على إعرابهم ، عن المعانى المبتكرة وإغرابهم فيها وإيجازهم وإعجابهم ، فكتبت جواباً . وهذه الرسالةُ قد وفَّيتُها حقَّها من التجنيسِ والتطبيق والترصيع ، والمقابلةِ والموازنةِ والتوشيع[2] ، وقد ذكرتُ الجماعةَ الذين أهْدَى إلىَّ من شعرهم ومصنفاتهم ، وهى :

ما ظَفَرُ مُدَجَّجِ[3] الإظلام بالسَّنَا ، ومُحْوَجِ الإعدام بالغنى ، ومُزْعَجِ الغرام من وصل حبيبه المفارقِ بنُجْحِ المنى ، ومُحْرَجِ السَّقَامِ من وصف طبيبه الحاذق ببُرْء الضَّنا ، والمعوزِ المعْوِرِ[4] بتبْرِ الجِدَه[5] بعد الإملاقِ ، والمُنْهَجِ[6] المُبْهَجِ[7] بعزِّ الجِدَّةِ غِبَّ الإخْلاق ، بل ما فوزُ الآملِ المشفى على مَرَضِ اليأسِ بالشفاء

(١) فى الأصل : صانعة .

(٢) هذه ألوان بديع ، وقد دل بها العماد هنا صراحة على ما يستخدمه فى أدبه : شعره ونثره من هذه الفنون . أما الجناس فهو المجانسة والمماثلة بين الكلمات فى حروفها بواسطة الاشتقاق وما يندرج فيه من مثل صانعه وناصعه وما إلى ذلك . وأما الطباق أو التطبيق فهو الجمع بين الضدين . وأما المقابلة فالجمع بين مجموعة من الأضداد . والترصيع هو المقابلة بين ألفاظ الشطر الأول والثانى ، أو السجعة الأولى والثانية فى الوزن والروى . والموازنة هى نوع من ذلك أيضاً . أما التوشيع فهو أن يأتى الأديب باسم مثنى ثم يشرحه بلفظتين تاليتين مثل : « المسعدان : الصبر والجلد » .

(٣) المدجج : شديد الإظلام ، وفى الأصل : مدبج .

(٤) المعور : الذى يحتاج ولا تقضى حاجته .

(٥) الجده : المال ، وفى الأصل : الجذه .

(٦) المنهج : الثوب الخلق . (٧) فى الأصل : المزهج .

فى النجاح ، والخامل المستعفى من مَضَضِ الإفلاس بالإثراء والفلاح ، والماحلِ الثّرَى بما حلَّ فى رَبْعِ تُربه من ثرّةِ الحيا الربعى[١] فأحياه ، والناحلِ المُضْنَى بما نُحِلَ من صُنْع ربه فى الإبلال من الجوى الذى أبلاه ، والناهلِ المُظْمَى فى عذابِ الهاجرة الخشناء بِعذَاب المناهل من مجاورة[٢] مَوْردِ السَّلْسَال ، والذاهل المعنَّى فى عذاب الهاجرة الحسناء برحاب المنازل من نِجازِ موعد الوصال ، كَظَفَرِ الخادم وفوزه ، بشرفه وعزه ، وسعادة جَدِّه وجِدِّ سَعْده ، وحياة رُوحِهِ ، ورَوْحِ حياته ، وحُسْنَى حالِهِ ، وحليةِ حسناته ، ونور حدقة فخره الناظرة ، ونَوْر[٣] حديقةِ ذُخْره الناضرة ، وسنا سنائه المشرق فى أرجاء رجائه من سماء السَّماحِ السامية ، ولألاء آلائهِ المتألقِ بَرْقُ وَدْقِهِ[٤] لإرواء الأرواح الظامية ، عند إسفار صُبْحِ أملِهِ ، وسفورِ وَجْهِ جَذَلِهِ ، واجتلاء أنوار جلالة الكمال ، واجتناء ثمار دلالة الإقبال ، بورود المثالِ المُمَثّلِ ، المقبلِ المُقَبَّلِ ، المُفْضِلِ المفضَّل ، عن المجلس العالى ، الأَجَلِّيِّ ، الفاضليِّ الأَسْعَدِيِّ الأَشْرَفِيِّ ، لازال شمسُ جلاله ، وبدر فضله وإفضاله ، فى أوجِ السعادة ، وبُرْجِ الزيادة ، من مَشْرِقَى الشرفِ والسيادةِ مُشْرِقَيْنِ ، وعَلَمُ العِلْمِ بكتائبِ كُتُبِهِ ومَقَانبِ[٥] مناقبه وقلبُ الشانئ[٦] بعلوِّ شانِهِ وسموِّ سلطانه فى الخافقَيْنِ[٧] خافقَيْنِ ، ولا فتِئَ حُكْمُ الشرعِ فى شِرعَةِ الحكم بفُتْياه فتيًّا ، وروضُ الولىِّ بولىِّ رضاهُ وجودِهِ مجودًا مَوْلِيًا[٨] ، وفضاء الفضائل بأنوار جَدْوَاهُ وأضواء عَلْياهُ مُستهِلاً مُتهلِّلاً ، وجاه الجاهل بتأرُّجِ نبإِ نباهته الفائحِ النشرِ وتبلجِ وجهِ وجاهته اللائحِ البِشْرِ مُتبطِّلا مُتعطِّلاً ، ولا بَرِحَ

(١) الثرة من العيون : الغزيرة ، والحيا : المطر ، والربعى : نسبة إلى الربيع .
(٢) فى الأصل : محاور . (٣) النور : الزهر .
(٤) الودق : المطر .
(٥) مقانب : جماعة الخيالة فى الجيش . (٦) الشانئ : الحاسد المبغض .
(٧) الخافقان : المشرق والمغرب .
(٨) مجوداً : من الجود وهو المطر . ومولياً من الولىّ ، وهو المطر أيضاً .

كاشِحُهُ يَطْوِى الكَشْحَ [و](١) بَرْحُ جوى جَوّه بالغمّ مُغيم ، ومُناصحه تحوى المنى صحةُ عقيدتهِ وَعَقدُ صحّته مُبْرَمٌ قويم ؛ مارنٌ مارنٌ(٢) المُعادِى العَادِى بنَغَمِ الرَّغَم(٣) ، وطنٌ وَطَنُ المُوالى الوالِى بنِعَمِ النَّعَم(٤) ، وسارَ ظَعْنُ أولى الضِّغْنِ إلى لَقَمِ(٥) النِّقَم ، وحارَ رَكْبُ المُضِلِّ الضالِّ من ليلِ الويل فى ظُلَلِ الظُّلَمِ . فإنَّ الخادمَ ما اكتحلَ بالتشريفِ حتى احتل ذُرى السَّعدِ المُنيفِ ، وحلَّ حِبَى الحُبِّ لاجتباء حِبائِهِ(٦) ، وأحلَّهُ من العَيْن فى سَوَادِهِ ومن القلب فى سُوَيْدائِهِ ، وشرَعَ من مَشْرَعِهِ فى تَرَشُّفِ شفاهِ التشرفِ بسقائِهِ(٧) ، وأطفأ أُوارَ أُوَامِهِ(٨) بامتثالِ مَرَاسِمِهِ ، واستشرفَ فى مَرَادِ(٩) المُرادِ معالمَ معاليه من مغانى مغانمِهِ ، وختمَ بالشكر عليه وشكر على خَاتِمِهِ ، لمَّا أمِنَ حوادِثَ المكارِهِ ببواعِثِ مكارِمِهِ ، واستملى مِنْ أمالِى آمالِهِ سُورَةَ النجاح بمطالع بيانه ، واستجلى من حوالى أحواله(١٠) صورةَ / الصلاح بطلعة إحسانه ، وقام إجلالاً بعظمته ، وسجدَ إقبالا على قِبْلَتِهِ ، ومَرَى(١١) ضِرْعَ الضَّرَاعَةِ لمرْآهُ ، وجلا مُحيا المُحَيَّا لمُجْتَلاهُ ، وعلا أُفُقَ التوفيقِ لدنياهُ ودينهِ ، وتلا (فأمَّا من أُوتِىَ كتابَهُ بيمينه) وفازَ من حبل العصمة بمتينِهِ ، ومن دُرِّ الحكمةِ بثمينه ، ووفاء إلى تأمُّلِ ضِمنه فألفى بتأميلِ آلاءِ مَنِّه وَفاءَ ضمينه ، ورأى نَفْسَهُ بمنزلةِ الذرَّةِ ذَرَّتْ(١٢) عليها الشمسُ من أعلى [٣٩ و]

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) المارن : الرمح الصلب .
(٣) الرغم : من الرغام وهو التراب . والراغم : الذليل .
(٤) النم : المال الراعى . (٥) لقم : معظم الطريق أو وسطه .
(٦) الحِبى : بكسر الحاء جمع حبوة من الاحتباء ، وهو جمع الظهر والساقين بثوب ، والحباء : العطاء .
(٧) السقاء : ما يسقى فيه ، وفى الأصل : بشفائه .
(٨) أوار الأوام : شدة العطش .
(٩) المراد : بفتح الميم الطلب ومكان الارتياد الذى فيه الكلأ وما يشبهه .
(١٠) فى الأصل : أحوالى . (١١) مرى الضرع : مسح عليه ليدر .
(١٢) ذرت : طلعت .

مكان . وما قدر خامةٍ[١] لخامل أو باقةٍ لباقلٍ ، فى مساحب ذيولِ سيولِ سحبان ؟ وما قيمةُ قطرةٍ عند الديمة المدرارِ ؟ وهل يبدو سُهًا[٢] السُّهى ، لدى قمر النهى[٣] للبصير[٤] ذى الأبصار ؟ وما أثر مَدَرَةِ الفلاة فى مَدارِ الفَلَكِ الأثِيرِ ؟ وما خطَرُ خَطَلِ أَلْـكَنِ العَجَمِ لخاطرِ خطيبِ العَرَبِ الأَلْسَنِ الخطير ؟ وهل يَسَعُ ذا حَصَرٍ قياسُ أيادٍ يضيقُ عن خَصْرِ خَصْرِهَا نِطاقُ نُطْقِ قسٍّ إياد ؟ وهل يَسْعَى ذو قِصَرٍ لمطاولةِ الأطوادِ ؟ ولا غَزْوَ أَنْ غاضَ وَشَلُ الناقصِ إذا فاضَ بحرُ الفاضل ! وأين الثريا من يد المتناول ؟ وكيف بلاغُ حَمْدِ العبدِ إلى بلاغةِ عبد الحميد عبدِ حَمْدِهَا ، والصابئان[٥] صاديان إلى ورِدْها ، والطائِيَّان[٦] مطَّأطِئان خَجَلاً بل وَجَلاً من نَقْدِهَا ورَدِّهَا ، وهل هُمْ إِلَّا نجومُ ذَكاء غَيَّبَها طلوعُ ذَكائه ، ورسومُ مَضَاه غَيَّرَهَا سطوعُ ضيائه ، وجداولُ جَدْلٍ غَيَّضَهَا عُبابُ فُيوضِه ، ونوافلُ عَمَلٍ أَغْمَضَهَا لُبابُ فُروضِه .

ما أَقبلَ الخادمَ وهو مخدومُ الإقبالِ ، بإقبالِ المولى الفاضل عليه لخلوصِ موالاته بخصوص موالاة[٧] الإفضال ! وما أحرى العبدَ بمباهاةِ الأَحرارِ وأَبرِّه بمضاهاةِ الأبرار ! . لقد أَرْبَى بفواضلِ مولاه على أربابِ الفضائل ، ورُبَّما[٨] بفوائد جَدْواه قدَّ قَدْرِه المتضائل ، ورفعَ حظوظَه من حضيض الخمول والخمودِ ،

(١) الخامة : ما ينبت على ساق ، والطاقة الغضة منه مثل طاقة الريحان .
(٢) السها : نجم صغير ، والسهى الثانية جمع سهوة ، وهى الساعة من الليل .
(٣) قمر النهى : يريد القمر فى غايته .
(٤) فى الأصل : وللبصير لذوى الإبصار .
(٥) الصابئان : هما أبو إسحق الصابئ الكاتب المشهور وحفيده هلال بن المحسن ، وكلاهما اشتهر بالبلاغة والبراعة ، وفى الأصل : والصادان ، وهو تحريف .
(٦) الطائيان : أبو تمام والبحترى .
(٨) الموالاة : الأولى من الولاء ، والثانية من التوالى أى التتابع .
(٨) ربا : نما .

إلى يَفاعِ الارتفاع بالسُّعودِ والصُّعُودِ ، وَأَوْضَعَ[1] به إذ[2] وَضَعَ له ميزانَ مُزَايَنَةٍ فى جَدَدِ الجُدُودِ . وما أَشْكَرَهُ للمجلسِ العالى الصدرىِّ وقد صدَّرَهُ فى مجالسِ العَلاءِ كاتبًا ، ولمَعَاطِسِ[3] الأعداء كَابِتًا ! وأَقْدَرَهُ بمنائحه ، وأَعْجَزَهُ عن مدائحه ! فأصبحَ ناطقًا صامتًا قانطًا[4] قانتًا ، قائلاً ساكتًا . إن قال ، فَلِأَنَّ حُجَّةَ الحمد أَنطقَتْهُ ، [وإن[5]] استقال ، فَلِأَنَّ لُجَّةَ الرِّفْدِ أَغرقته — وقد خاف الغرقَ مَنْ أَمَّهُ[6] السيلُ ، وضافَ الفَرَقَ[7] من ضَمَّهُ الليلُ — فإنْ عَجَزَ بيانًا ، فلإعجازه بإيراء[8] ذلك البيان ؛ وإن أَحْرَزَ رِهَانًا ، فلإعزازه بالإجراء فى هذا الميدان .

ووصلتِ الكُتُبُ ، كأنها الشُّهُبُ ، يُهدِيها شمسُ نهارِ الفضلِ إلى سارى ليلِ طَلَبِهِ ، ليَهدِيَهُ بنورها فى غَيهبه ، ويُقيمه بسَناها على سَنَنِ مَذهَبه . وهى تسعُ مجلَّدات ، بل تسعُ آياتٍ بيّنات ، آتاها عبدَه كليمُ الفصاحة المتوحِّدُ باختراع الكلامِ الحرِّ ، وكريمُ السماحةِ المتفردُ باختراع الإنعام البِكْر ، وطِرْفُ[9] الفصاحةِ المزيّنُ عِلمَه بالحِلْم ، وإلفُ الحماسةِ المبيِّنُ عزْمَه بالحزم . وكيف يُوصَلُ بوسائط المُرَكَّباتِ الأربعِ[10] من العناصرِ إلى البسائطِ التسع ؟! وهل يُقطَعُ إلى النجمِ الطارقِ الطريقُ الشاسعُ بطِراقِ[11] الشِّسْع ؟! ولكنها صُحُفُ الفُصُحِ الأَوْلَيْنَ[12] الأَوَّلين ، وكِرامُ الكُتُبِ الكرامِ الكاتبين ، وخرائدُ فوائدِ

---

(١) أوضع : أسرع .

(٢) فى الأصل : إذا .

(٣) المعاطس : الأنوف

(٤) القانط : اليائس .

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

(٦) أمه : قصده .

(٧) الفرق . الخوف .

(٨) الإيراء : إخراج النار من الزند ، وفى الأصل : بإقراء وهو تحريف .

(٩) الطرف : هنا معناها الأصيل الذى ليس له مثيل .

(١٠) هى : الماء والهواء والنار والتراب .

(١١) طراق الشسع : جلد النعل .

(١٢) الأولين : جمع أولى وهو المفضل .

لمحدثين المُحْدَثين (١) وأبكارُ أفكارِ القدماء المُقَدَّمين . بَيْدَ أنَّ منزلتها من الألفاظِ الفاضليَّةِ منزلةُ الكتبِ المُنَزَّله من الذِّكْرِ المُبين . وكم بينها وبين الفرقان من فُرْقان ، وما هى وإن جلَتْ وجاَتْ للقرآن بأقران . كذلك ما لغرائب المَغرِبيِّين (٢) ، وأحاديث المُحْدَثين طلاوةٌ ، ولا حلاوةٌ ، ولا إطراءٌ ولا طراوةٌ ، ولا رونق ولا رُواء ، ولا بهجة ولا بهاء ، مع فيض شروق صنائعه البديعة ، ووَمض بروق بدائعه الصنيعة . ومَن ابنُ رشيقٍ (٣) عند رَشْقِ سهامه ومَشْقِه [٣٩ ظ] أقلامه ؟ / ولو امتدَّ عمره إلى مُدَّتِه ، لعمَدَ إلى إخفاء عُمْدَته (٤) ، وكان خاملاً فى حاشيته ، حاملاً لغاشيته (٥) . وإنّ أبا الصلتِ (٦) لو رأى رايةَ رَوِيِّهِ لأَبَى صَلْتَ (٧) صارمِ صرامته ، غاضًا حدقةَ حديقتهِ (٨) ، عاضًا على إبهامه لما أُبْهِمَ عليه مِن حقّه وحقيقته . وَدَعْ وَدْعَ (٩) قياسِ القيسىِّ (١٠) يمرثُه (١١) الطفلُ ، وقُلْبَ (١٢) القولِ القَسِىِّ (١٣) يَغرثُه (١٤) الحفل ، فقد قَلَى (١٥) يدَ الإحسان ، وفقد

(١) المحدثين بكسر الدال : المخترعين ، وبفتحها المستجدون أو المعاصرون .

(٢) فى الأصل : الغربيين ، ويتبين مما يأتى أنه سيعرض لأصحاب الكتب التسع وكلهم من المغرب .

(٣) هو أبو على الحسن بن رشيق أديب القيروان المشهور فى عهد ملكها المعز بن باديس ، توفى سنة ٤٥٦ هـ .

(٤) يريد كتابه العمدة المعروف فى صناعة الشعر ونقده ، وهو من أهم كتب النقد العربى .

(٥) الغاشية : الغطاء . والكلام كناية عن أن ابن رشيق كان يتوارى خجلا .

(٦) هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز عاش ستين سنة : عشرين فى إشبيلية بلده وعشرين فى المهدية بالمغرب وعشرين فى مصر . توفى سنة ٥٢٨ . وسينقل العماد فى هذا القسم المصرى من خريدته عن رسالة مشهورة له باسم الرسالة المصرية .

(٧) الصلت : الإشهار ، ومنه سيف مصلت .

(٨) الحديقة : كتاب مشهور لأبى الصلت على غرار يتيمة الدهر .

(٩) الودع : خرز بيض .

(١٠) يريد الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان القيسى الأندلسى المتوفى سنة ٥٣٥ هـ ، وينقل العماد عنه كثيرا فى حديثه عن شعراء الأندلس .

(١١) يمرثه : يمصه .

(١٢) القلب : السوار .

(١٣) القسى : القاسى الشديد .

(١٤) يغرثه : ينثره ويعرف ما فيه .

(١٥) قلا : أبغض .

قلائدَ العقيان[1] . وهل ابنُ خيران[2] إلا حيران فى ميدانِ هذا البيان ؟ ولقد شَخَبَ وريدُ ابن أبى الشخباء[3] وردَّ إلى خباء الاحتباء . ولو حَيِيَ ابنُ خفاجةَ[4] لجاء حيِيًّا إلى جهةِ الاختفاء . فهؤلاء الذين خصَّ المولى عَبْدَهُ بخصائصهم ، وأخلصَهُ للاطِّلاعِ على عِلْمِ مَطَالِعِهم ومَخَالِصِهم . وإنْ صاغتْ خواطِرُهُمْ من إبريزِ التبريز تيجاناً مرصعةً مَرْجَاناً ، وصَغَتْ زواهرهم[5] للمغاربِ بنواصعِ الدُّرَرِ ولوامعِ الغُرَرِ شِهْبانا[6] متجمعةً ووِحْدَانا ، وكانوا عيونَ الناس الأعيانِ ، وأناسيَّ عيونِ الزمانِ ، متممين بحسن الخواتم حسنَ الفواتحِ ، مُحْكِمِينَ سُودَ الصحائف فى بيضِ الصفائحِ ، فإنهم ناقصون إقصارًا لكماله ، شاخصون إبصارًا لجماله ، لم يكتحلوا بتراب قدمه ، ولم يَدْخلوا من باب حَرَمه ، وكلُّ الصيدِ فى جوف الفَرا[7] ، ومن قال غيرَ هذا قيلَ له أَطْرِقْ كَرا[8] .

فهذه الكتب المُهداة ، والسُّحُبُ المُنْشَاةُ ، فروعها المصنَّفَةُ ستَّةُ أصنافٍ وأَصْلُها كتابُهُ الكريم ، وأجزاؤُها المُؤَلَّفَةُ تِسْعةُ أصدافٍ وكلُّها دُرُّه اليتيم . تلك عَشْرَةٌ كاملةٌ فى المشايعة ، أَذْعنت عُونُها[9] لفضيلة بِكْرها كعشيرةِ الصحابةِ فى المبايعة ، أُغْضِيتْ عُيونُها لفضلِ أبى بَكْرِها[10] ، فهل كانت عُدَّةُ أَتمها بعشرٍ لإِكْمالها ، أو حَسَنَةٌ جزاؤُها بعَشْرة أمثالها ؟

---

(١) كتاب له مشهور فى شعراء بلاده وهو مطبوع .
(٢) من أكبر كتاب الدواوين فى مصر أثناء القرن الخامس ، توفى سنة ٤٣٢ هـ .
(٣) مثل سابقه ، كان من رؤساء الكتاب فى الدواوين المصرية أثناء القرن الخامس توفى سنة ٤٨٢ هـ .
(٤) شاعر أندلسى مشهور توفى سنة ٥٣٣ هـ .
(٥) صغت زواهرهم : مالت نجومهم . (٦) فى الأصل مرايا .
(٧) مثل يضرب لمن يتفوق على أقرانه ، والفرا : حمار الوحش .
(٨) مثل يضرب لمن يخدع بكلام يلطف له ويراد به الغائلة .
(٩) العون : التى أنتجت ، فهى ضد البكر ، ومفردها عوان .
(١٠) يشير إلى مبايعة أبى بكر الصديق .

ولما زفَّ المولى هَدِىَّ[1] هَدَاياهُ إلى كُفُوِّهَا الكافى عنده صفَّ إماءها[2] أمَامها على مِثالها، فيا له غرسًا ما تمَّ به إلا للمتحرِّشِ الحاسدِ مأتمٌ، وأُنْسًا ما تمَّ منه إلا للمستوحشِ الجاحدِ مأثمٌ. وقد غَنِىَ بالغانيةِ عن وصفِ وصائفها ولهًا ولَهَا[3]، وغُنِىَ بمعانيها الرائقةِ الرائعةِ ولم ينظرْ لنُضَارها شَبَهًا شَبَهًا، وإذ[4] أفردَها فضلُها على فرائدِ فضلاء المَشْرقَينِ والمَغْرِبَينِ أبصر[5] وسَمِعَ لِسانَىْ[6] العربِ والعجم بتفضيلِ جميلها على تفصيلِ جملتهما مُعْجِمَيْنِ مُغْرِبَيْن. وأمَّا المغاربةُ فعلى مشارعِ المشارقةِ مُغَارُ[7] حَبْلِها، ومِنْ مشاربها مُعارُ خَيْلها، ومن مَغَانِمها مغارمُها، ومن صرائمِها[8] صوارمُها، وحَسْبُها أنَّ الغزالةَ الراتعةَ فى رياضِ الفَلَكِ، الكارعةَ فى حياضِ المَلَكِ، إذا وصلتْ إلى وِردها توردتْ بالشَّفَقِ، واصفرَّتْ للفراقِ من الفَرَقِ، وأصابت عَيْنَها عَيْنُ العَيْنِ الحاميةِ[9]، وعانقتْها يد العنقاءِ المُغْرِبِ[10] العادية، ووقعتْ فى قبضةِ طِفْلِ الطَّفَلِ[11] كالمصفور، وقضتْ هنالك نَحْبَها ومَعادُها من المشرقِ غداة يومِ النُّشُور. إنَّ الله يأتى بالشمس من المشرق حُجَّةً بالغةً وَمَحَجَّةً واضحةً للمُحِقِّ المُحقَّقِ، فإن تعلَّقَ المغربيون بأذيالِ أسمالِ[12] الأنوارِ آخرًا، فالمشرقيون اجتابوا حُلَلَها القُشْبَ أوَّلاً، وإن تسلقوا على أسوار أسآرها[13]

(١) الهدى : العروس.
(٢) فى الأصل : آماءا.
(٣) الوله : الغرام، ولها من اللهو.
(٤) فى الأصل : وإذا.
(٥) فى الأصل : وأبصر.
(٦) لسانى العرب والعجم : لغتهما.
(٧) مغار الحبل : وثيقه ومحكمه.
(٨) الصرائم : جمع صريمة وهى العزيمة.
(٩) يشير إلى قوله عز وجل فى القرآن الكريم أثناء الحديث عن ذى القرنين «حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة».
(١٠) العنقاء المغرب أو عنقاء مغرب : طائر عظيم الجسم يرد ذكره فى القصص العربى، وهو طائر خرافى يقولون إنه يعدو، ويغرق فى العدو.
(١١) الطفل : آخر وقت العشى عند الغروب.
(١٢) الأسمال : الثياب البالية.
(١٣) الأسآر : جمع سؤر، وهو البقية من الماء وغيره.

فالعراقيون فتحوها مَغلِقاً مَقفلاً ، ولا لوم على العَرَّاق (١) العِرَاقِ إذا استلأم (٢) ليحمى بحميَّتِه حِماه ، ويَغار حين يُغارُ على علاه . أما مصرُ فهى الآن عراقيةُ الدولة ، عباسيةُ الدعوةِ ، يوسيفيةُ العزة ، فاضليةُ الحوزةِ ، ناصريةُ النصْرَة ، عادلية الُخطْوَةِ ، صلاحية السيرة ، سيفية الهزة . فالفضل لها فى عصرنا لا قبْلَهُ ، وفخرها فاضلها الذى ما رأى الزمان مثله ، وهو مُعْتِقُ عبدِه ، ومسترقُّ حمدِه ، وناعشه (٣) من عثار الجدِّ ، ورائشه بدثار (٤) المجد ، فالخادمُ عراقى المنشأ والمربى ، مصرى المنحى والملجا ، ناصرىّ (٥) العلاء فاضلىُّ الولاء . وأما الشام فلا يُذْكَرُ ولا يُشْكَرُ ، وكيف يُعْرَفُ ولا يُنْكَر ، ومعروفُ حَلْبَةِ حَلَبِهِ ذاتُ المنكر . وقد دلَّ نصُّ الكتابِ الكريم الواصلِ من المولى على أن سيآتها كثيرة ، ولكنها لحسنات سلطانها مغفورة / : [٤٠ و]

قد طال دَنِّى (٦) لكم فطولْ ... طَوْلاً بجاهى العريضِ كُمِّى

أصبحتُ فى مصرَ ذا رجاء ... إلى النَّدَى الجمِّ منك جَمِّ

أصابَ قَصْدى وتمَّ أسْرى ... وبانَ نُجْحى وفازَ أَمِّى

وإننى قد وجدتُ وَجْدى ... منك كما قد عَدِمْتُ عُدْمِى

نعشتنى من عثارِ دهرى ... فخِرْتَ (٧) حَمْدى وحازَ ذَمِّى

ومنها :

نتيجةُ النجح منك تقضى ... أنَّ المواعيدَ غيرُ عُقْمِ

(١) العراق : من أعرق فيه أهله وعرّقوا .

(٢) استلأم : لبس اللأمة وهى الدرع .

(٣) ناعش : من نعشه من العثار أى رفعه منه وجبره .

(٤) راشه : من الرياش وهو اللباس الفاخر ، والدثار : الثوب .

(٥) فى الأصل : ناصر .

(٦) الدن : من دن ودندن إذا طن وتم ، وفى الأصل : دينى وبعدها كلمة كشطت واخترنا أن تكون (لكم) . (٧) خرت : من خار ، أى انتق واستخلص .

ومنها :

قضاء دَيْنِى ونيلُ سُولى — وحفظُ جاهى وجرىُ رسمى
وضَيْعَةٌ لا يضيع فيها — عَزْمى كما لا يفوتُ غُنْمى
وحرمـــةٌ تستنيرُ منها — سعودُ قدرى فى أُفْقِ عُظْمِ
عممتُ يمًّا ولستُ أرضى — تيممًا فى جَنَابِ يَمِّ
لِمْ أملى لمْ يُزَنْ بنجح — لِمْ شَعَثِى لمْ يُعَنْ بِلَمِّ
رُمْ(١) رَمَّ أمرى وحلَّ حالى — ما كَرُمْ فى الورى كَرَمِّى
رُثَّ(٢) رجائى بكل طرز — وعُثَّ(٣) جاهى بغـير سُحْمِ
مضارعُ الفعل حظُّ فضلى — وعائقُ الصرفِ حرفُ جَزْمِ
ناشيكَ من مُخْوِلٍ مُعِمٍّ — يحنو على المُخول المُعِم
كل عدوٍّ شَنَاكَ(٤) يَلْقَى — فى الناسِ طَمْسَ اسمه كَطَسْمِ
شَمْلُ العِدَا(٥) والعروضُ(٦) منهم — ما بين شتٍّ وبين شَتْمِ
ونلتَ عزًّا بغير صَرْفٍ — ووصلَ مُلْكٍ بغير صَرْمِ
تَمَلَّهَا فهى بكرُ فكرى — شهيةٌ من نتـاجِ شَهْمْ
حدوت عِيسِى(٧) بها فجاءتْ — شقشقةً من هديرِ قَرْمْ(٨)

ومنها :

لى خاطرٌ مُجْبِلٌ(٩) ، لهمّى ، — فنحتُّه من صَفًا أصمِّ
أقْدَمَ رَغْبًا فجابَ رُغْبًا(١٠) — لقـدرِ فخرٍ لديك فَخْمْ

(١) رم : أصلح ، والرم : البالى والفاسد .
(٢) رث : من رث أى نهض ، وفى الأصل : رث رثائى .
(٣) عث : من عث أى نهض أيضاً .
(٤) فى الأصل : يشناك .
(٥) فى الأصل : الأعادى .
(٦) العروض : جمع عرض وهو الجيش .
(٧) العيس : الإبل .
(٨) القرم : الفحل والسيد .
(٩) مجبل : من أجبل الشاعر إذا أفحم .
(١٠) جاب رغباً : جاب أى قطع ورغباً أى أرضاً فلاة . كناية عن الطرق التى قطعها إليه .

إليكَ يا كعبةَ المعالى حَجّ حجاهُ بلُطْفِ حَجْم
أَجْرِ على الوهمِ عُظْمَ شانى واجبرْ على الوَهْنِ عظمَ نَظْمى
بصفحةِ الصفح منكَ يبدو جِرْمُ قصورى بغير جُرْم
باسمكَ للشكر باسماتٌ مِنّى مُنًى سُقْتُهنّ باسمى
أَقبِلْ وأَفضِلْ علىّ واَقبلْ عُرْبَ معانٍ لديك عُجْم
ما دمتَ عونى فليس يَغْدُو جميلُ وسمى قبيحَ رَسْم

٢ — القاضى المؤتمن* ابن كاسيبويه الكاتب

من صدور كُتّاب مصر الذين يُثْنَى عليهم الخنصر ، ويقوى باعتدال طبائع خواطرهم من البراعة(١) العنصر . ولم يزل فى الدولة المصرية مُقَدَّمًا مُصَدَّرًا ، وبِكْرُ فضله خلف حجاب الصدور مُخَدَّرًا . ما أحسن أثَرَ يراعته خطًّا ، وما أمكنَ خاطرَه المنيرَ فى سماء النظم لفلك المعالى(٢) قُطْبًا . ولما زال عن مصر ببشر الدولة العباسية عبوسُها ، وبدا كلّ يوم يُحَلّ خِمَارُها ويُقْلِعُ بُوسُها ، حار ابن كاسيبويه ، وكاد يخفى ولو أنه فى العلم سيبويه ، فآواه القاضى الفاضل وغمرته منه الفَواضل ، وناضلَ عنه حين دون المنى ضلّ المُناضل ، وصيّره الملك عز الدين(٣) فَرُخْشاه بن شاهِنْشاه بن أيوب وزيره ، وأسمعه من غَناء الغِنى بجاه

(*) ترجم له ابن سعيد فى المغرب . انظر القطعة المصورة بمعهد المخطوطات فى الجامعة العربية ، الورقة ١١٥ وتقل فى ترجمته عن الخريدة ، ثم ذكر أن العماد نوه به فى ذيل الخريدة ، وروى عنه قطعة وجهها المؤتمن إلى القاضى الفاضل يصور فيها ما كابده فى الشام من مصاعب ومتاعب أثناء مقامه به مع فرخشاه . وانظر ابن ميسر ص ٩٥ حيث يذكره مع الشعراء الذين وفدوا على الصالح بن رزيك لتهنئته حين ولى الوزارة سنة ٥٤٩ هـ .

(١) فى الأصل : الجراعة . (٢) فى الأصل : العالى .

(٣) هو ابن أخى صلاح الدين ، استنابه عنه بالشام ، وكان متواضعاً سخياً شجاعاً مقداماً وكان فصيحاً شاعراً ، توفى بدمشق سنة ٥٧٨ هـ .

خدمته بَمَّه وزيره(١) . وهو الآن ذو جاهٍ عريض ، وروض قشيب أريض ، سهل العبارة سلسها ، مبتدع الاستعارة مُختَلِسها ، كنايته حُلْوَة معسولة ، من تكلف الصنعة مَغْسولة .

وله نظم يناسب نثره سَلاسَةً ونَهْجًا ، ويلائم وَشْيَ رسائله سلامة ونَسْجًا ؛ فمن ذلك أنى ملت لحضرة الملك عز الدين فرُّخشاه فى داره بالقاهرة ليلة الثانى من رجب سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، والمؤتمن بن كاسيبويه حاضر ، وقد كتب له من شعره فى مدحه ورقة قد أودعت من لطائفه ، فأخذتها ناظراً فى ناضر زهرها ، ومنها قوله :

[وسَمَتْ محاسنَك الزمانُ فلم تَدَعْ ... وَقْتًا من الأوقات إلا مَوْسِمَا
أَزْرَتْ خلالُكَ بالحسام إذا مَضَى ... عند الضَّريبةِ والغمامِ إذا هَمَى
لا غرو أن جَرَّ الجيوش مُقَدَّمًا ... من كان مذ شَهِد الوقائع مُقْدِما(٢)]
/قسمًا لقد هجر الكرى جَفْنى فلا ... يعتاده حتى يَعُودَ مسلِّمًا [٤٠ ظ]

وله ، صدر كتاب :

لازلتَ منصورَ اللواء مظفرًا ... والسَّعْدُ يرحلُ إن رحلتَ وينزلُ
والنجح مقرونٌ بقصدك دائمًا ... والدهر يتبعُ ما تقولُ وتفعل
وإذا قفَلْتَ(٣) فواجهتْكَ ميامنٌ ... تبدو بشائرها وجَدٌّ مقبل
أنت الذى جاهدتَ عن دين الهدى ... فأعزَّ نصرَكَ ناصرٌ لا يُخْذَل
وأَزَرْتَ أرضَ الشركِ أطرافَ القنا ... حتى غدَتْ من خيفةٍ تتزلزل
وبألسُنِ الأغمادِ خاطبتَ العدا ... فأجابها فتحٌ أغرُّ محجَّل

---

(١) البم والزير : وتران من أوتار العود .

(٢) نقلنا هذه الأبيات عن قطعة المغرب السابقة لأن الأصل مطموس فيها ، وقد نقل ابن سعيد الأبيات عن الخريدة نفسها .

(٣) قفلت : رجعت .

تَزْجى(١) الجيادَ إلى الجهاد جحافلاً تَغْشَى البلادَ وأنت وحدك جحفل
فَلْيَهْنِكَ(٢) الفتح الذى سَبَقَتْ به الـبُشْرَى وأشرق بِشْرُهُ المتهلل(٣)
يامن يُجَلِّى كلَّ خطبٍ مُعْضِلٍ قولٌ له فَصْلٌ وسيف فَيْصَلُ
عَقَدَ الوقارُ عليك تاجَ سكينةٍ بالنور لا دُرَّ العقود يُكَلَّلُ
أحرزتَ من فضل الكمال خصائصًا عنها أحاديثُ المكارم تُنْقَلُ
فاسلمْ لملكٍ قد حفظتَ نظامَه وسما بعزمك مجدُهُ المتأثِّلُ
يحوى مقاليدَ البلادِ فسابقٌ أعطى القيادَ ولاحقٌ مُتَمَهِّلُ

عدة فى الديوان الفاضلى

٣ — السديد علم الرؤساء أبو القاسم

عبد الرحمن(*) بن هبة الله بن حسن بن رفاعة

من أهل مصر، المعروف بكاتب الأمير ناصر الدولة

دخلت على القاضى الأجل الفاضل مستهلَّ المحرم سنة إحدى وسبعين فى المخيَّم(٤) بمرج الصُّفَّر(٥) أهنِّيه بجديد العام العامِّ الجدْوَى، وأستهديه الفوائد التى بها أحيا وأقوى، فوجدت بيده كتابا لأبى القاسم المذكور إليه، والقاضى الفاضل يقضى بفضله ويثنى عليه، فوقفت على رسالته وطالبته بكلمته، فأرانى قصيدته، وأقرانى فقرته، وقال إنه أفضل من بمصر نظمًا ونثرًا. هذا وقد جمع من رسائله عشر مجلدات. فأما الرسالة فهى :

قد جعل الله المجلس العالى الفاضلىَّ الأسعدىَّ — زاده الله من اصطفائه أبكارَ

(١) تزجى : تدفع. (٢) فى الأصل : بالفتح.
(٣) المتهلل : المتلألئ، وفى الأصل : المتجلل.
(*) ترجم له ابن سعيد فى المغرب، القطعة السابقة الورقة ١١٧، وقال إنه توفى سنة ٥٩٣هـ
(٤) المخيم : المعسكر. (٥) مرج الصفر : على مقربة من دمشق، والمرج : الغيضة.

المناقب وعونها ، وواصلَ إلى جنابه حمولات المثوبات وظعونها ، واستجاب من أوليائه[١] فى طول بقائه وهلاك أعدائه صالح الدعوات التى يدعونها — خيرَ ما ينادَى قريبًا ويناجى بعيدًا ، وأفضلَ مُنْعِمٍ يحقق وعدًا ويُخلف وعيدًا ، وعمَّ[٢] الخلق جميعًا بنعمته ، وشرَّف القلب بصواب حُكْمه[٣] وصَوْب[٤] حكمته ، وألهجَ أقلامه بتوزيع إفضال المال والجاه ، وقسمته ، وخصه فى إهداء الهُدَى بهَدْيٍ أقربُه على الساعين أبعدُه ، وأثَّلَ له مجدًا لا يتناهى مصعَدُه ، أو يكون فوق النجم مقعده . ولم يزل إقباله على المملوك[٥] يريه وجهَ الإقبال وسيماً ، ويعيد عنده سُمُومَ[٦] اليأس بأرواح النجاح نسيما ، ولا يضيع جريه فى ميدان اعتناق تنفيذ مرامه عَنَقًا[٧] ورَسِيما . وقد كان أكبر مولاه عن مكاتبة تليق بالأكابر ، وتنحط أصاغرَ الخدام عن درجة المحافظ عليها المثابر ، وسأل ابن حيون إحسانًا إليـه بذكر هـذه الجملة فى كتبه وإجمالا[٨] ، وأن يقلده بالإعراب عنه مِنَّةً لا يسأم لها على مر الزمان احتمالا . وحين أكْدَتْ[٩] مطالبه ، وأحاطت بجوانبه دواعى الندم وجوالِبُهُ ، وصار الإجلال وجلا ، وعاد الإخلال خجلا ، ثابَ إليه من عِلْم شرف خلق المولى وكرم طبعه ، وتواضعه إقداراً للمعالى بحسن وضعه ، ما حمله على نظم قصيد خدم بها مجلسه الكريم ، مع تحقُّقِه أن لمدحه جادةَ جدٍّ تعجزجلة[١٠] الشعراء عن سلوكها ، وتيقُّنِهِ أن مناقبه لا تحتاج إلى المدائح إلا كحاجة عقود الجواهر إلى سلوكها ، وضراعته فى إجرائه فى تقبلها على مألوف عادة الإحسان ومعروفها ،

(١) فى الأصل : أولائه . (٢) معطوف على جمل فى أول الرسالة .
(٣) فى الأصل : حكمته . (٤) الصوب : المطر والغيث .
(٥) فى الأصل : الملوك . (٦) السموم : الريح الحارة .
(٧) فى الأصل : عنقا ، والعنق : سير سريع للإبل ، والرسيم : من رسمت الناقة إذا أثرت بحافرها فى الأرض أثناء سيرها .
(٨) إجمالا : إحساناً .
(٩) أكدت : أخفقت . (١٠) فى الأصل : حلبة .

واغتفار خطلها الذى كفَّارتُه ما يواصله هو وعائلته من أدعية صالحة للمولى بعدد حروفها . والمملوك مستمرٌ على عادته فى ملازمة الخدمة والمواظبة عليها ، و إدامة البكور إليها ، مع ما يلحقه من النزلات التى تُظْلِمُ مطالعَ مُحيَّاه(١) وغيرها من أمراض شاهدها اصفراراً مُحيَّاه . والله تعالى يزيد فى علو محلٍّ / المولى المؤسسِ [٤١ و] على التقى ، ويجمِّلُ الدنيا بمفاخره الموفية على ناصع الجوهر المنتقى ، ولا زال أفواجُ الرفاق لاقيةً إذا حطَّتْ بجنابه أفضلَ مُلْتَقَى .

وأما القصيدة فإنها تنيف على مائة بيت فأثبت منها ما عقـدت خنصر الاختيار عليه ، ومطلعها :

تالله ما عاشـــق الدُّمى عاقلْ ... كلاَّ ولا عاذلٌ له عادِلْ

ذا مُغْرَمٌ مُرْغَمٌ أخو حُرَقٍ ... وذا مطيلٌ ما عنده طائل

لم يخشَ من ناقدٍ وقد جاء بالنُّكْــسِ(٢) ... إلى ناقهِ الهوى ناقل

ومنها :

غانيةٌ عن(٣) حلىٍّ غانيةٍ ... بحسنِ عاطٍ(٤) من جيدها عاطل

وأسمرٍ غادرتْ لدونتُــهُ ... ماءً لها فيــه جاريًا جائل

سنانُهُ طَرْفُهُ ومن عَجَبٍ ... سيفٌ علا لهذماً(٥) على ذابل !

أهلَّه ضارباً وأعمـلَ للطــعن ... ســواهُ من نهده عامل(٦)

ومنها :

وحالةُ المستهانِ أنفعُ ما ... عاذَ به المستهامُ مِن عاذل

خبا سناهُ وخابَ مقصده ... أيَّةُ حالٍ لخامدٍ خامل

(١) المحي : الحياة . (٢) فى الأصل : بالنكس ، والنكس : عود المرض بعد النقه .
(٣) فى الأصل : من . (٤) العاطى : قريب التناول .
(٥) اللهذم : السنان القاطع . (٦) عامل الرمح : صدره .

ومنها فى ذم الدنيا :

وزاد حُبُّ الهوى عليه فما ينفكُّ فى(١) هُوَّة الهوى نازل
يريد منها خفضاً فيرفعه مِن نَصْبِه للعَنَا بها فاعل
أين من الدَّرِّ(٢) كف حالبها(٣) الـمكفوف منها بكُفَّةِ(٤) الحابل
يُظْهِرُ تكذيبُ سِلْمِ باطِنِها عنوانَ عدوانِ خاتِرٍ(٥) خاتل
أنصارُها عصبةُ التتابع فى الـجهلِ وأحزابُ طالبى الباطل
وما يَنِى مُذْ كِراً بخطبتها حُكْمُ التناسى لحكمها الحائل(٦)
يكونُ منها أمرُ الولاء وما ثَمَّ لها عاضلٌ سوى الفاضِل
عبد الرحيم الذى لرحمته ظلٌّ على الخلق وارفٌ شامل
القابلُ القصدَ والمعيذُ من المَـنِّ ألوفاً فى العامِ والقابل
وجاعل الرسمِ فى سماحته تحبيسَ مِلْكِ الغِنَى على السائل

ومنها :

وما الغنىُّ المعزُّ للوفْرِ بالـمنع ولكن مُذِلُّه الباذل
بديهةُ البِرِّ منه مُوفِيَةٌ أيدِ عوادى الردى [بها(٧)] زائل
لعروةِ الجهـل والقَضِيَّةِ إذْ تُعْيِى ذوى العلمِ فاصمٌ فاصل
إن يظهرِ المدحُ فيك مُنْتَقَصًا فمنه فى النفسِ كامنٌ كامل
لأنّه فى فَعالِ همته لغايةِ العجز قائدُ القائل

(١) فى الأصل : من .
(٢) الدرّ : استخراج اللبن من الضرع .
(٣) حالبها : يريد حالب الدنيا .
(٤) كفة الحابل : حبالة الصائد .
(٥) الختر والختل : الغدر .
(٦) فى الأصل : الهامل ، والحائل : المتغير .
(٧) ساقطة فى الأصل .

ومنها :

ومعجزُ السيفِ فضلُ جوهره   ومائِه لا عنايةُ الصاقل

ومنها :

وكم حبا[١] السامعين فائدةً   إذا احتبى[٢] من نديّهِ الحافل
وكم أقام القسطاسَ حتى رأى الإقساطَ[٣]   عادٍ عن عدله عادل
وكم له [من[٤]] وساطةٍ مَنَعَتْ   صائبَ سهمٍ من حادثٍ صائل
يشبُّ منه الوليدَ أو يُعجز الكهلَ   احتمالُه [منه[٥]] على الكاهل
وسادرٍ فى الضلال غادرَهُ   لثوبِ إيناس رشده سائل

ومنها فى وصف كتابته ومنطقه :

يعرب عن حكمة يظلُّ لها   يُعْرِبُ عن لُكْنَةٍ به باقل
ما حاقَ[٦] مذ حَقَّ كُلَّ منطقِهِ   حرامُ سحرٍ يُعْزَى إلى بابل
يرسلُ من نثره لآلئَهُ   نَبْلاً فأَعْظِمْ بناثرٍ نابل
فيقذف الدرَّ بحرُ حكمتهِ الـ   ـخضمُّ من طِرْسِهِ إلى الساحل
كم ظلَّ أعلى الكُتّابِ منزلةً   لديه عنها فى حالة النازل
يعجز عن نقلِهِ المثالُ مع الْـ   إعجاز ما دام عنده ماثل
والخاطرُ الأسديُّ يخطر فى   بلاغةٍ[٧] ذيلُ فضلها ذائل[٨]
يَحْصُرُ إنشاؤه غرائبَ   أقوالٍ بها ربعُ ذكره آهل

(١) حبا : أعطى .
(٢) احتبى : جلس ، وأصله من الاحتباء وهو الجمع بين الظهر والساقين بعمامة ونحوها .
(٣) الإقساط : العدل .
(٤) ساقطة فى الأصل .
(٥) ساقطة فى الأصل .
(٦) حاق : حاط .
(٧) فى الأصل : بلاغة فى ، وكلمة فى زائدة .
(٨) ذائل : طويل من الذيل .

أوجدهُ الدهرُ عالمًا فضلَ الـــعالِمَ فضلَ العالى [على[1]] السافل

ومنها :

صنعاً من الله للأجلِّ غدا بكفِّ عدْوَى أعدائِهِ كافِلْ
ما فاء[2] يوماً إلى استشارته الـ مَلْكُ فألفى من رأيه فائل[3]
[لـكن[4]] بلاَ منه خيرَ ذى قلمٍ مُؤَازِراً خيرَ مالكٍ دائل[5]
حتى توافَتْ منائحُ النصر للـــدولةِ تسرى فى منهجٍ سابل
لهنَّ من عدله ورحمتـــــه أمٌّ ولودٌ ووالدٌ ناجـــــل
وضوعفت للجنـــود قوة إضـ ـعافِ الأعادى فبأسُهُمْ باسل
أقْصَرُ سهمٍ حوت كنانتهم مزرٍ بطول المثقَّفِ العاسل[6]

ومنها :

يا سيداً قُيِّدَتْ عقائلُ نُعْـــمَاهُ بشكرٍ منـــــه لها عاقل
إذا أخو الحاجِ ضلَّ عن سَنَنِ الـــحجِّ [إليه[7]] ضلالةَ الذاهل
أرتْهُ أنْوارُهُ الطـــريقَ له كأنما مِيـــلُهُ[8] لها كاحِل

ومنها :

ينحلنا شهـــدَه بلا إبرٍ للنحل مِنْ مَنٍّ باجلٍ ناحل[9]

---

(١) ساقطة فى الأصل . (٢) فاء : رجع .
(٣) الرأى الفائل : الرأى الضعيف أو الخطأ . (٤) ساقطة فى الأصل .
(٥) فى الأصل ذائل ، والدائل : المشتهر ، ولعل الشاعر أراد الذى تدول له الدول .
(٦) المثقف العاسل : الرمح . (٧) ساقطة فى الأصل .
(٨) الميل : المكحال الذى تكتحل به العيون ، والمنار يبنى للمسافر ، وهو هنا يريد الثانى ويجعله كأنه كاحل أو مكحال .
(٩) الناحل : صاحب النحل ، والباجل : المبجل ، والمن : النحل .

والبُسْر(١) لولا [لونُ(٢)] يباشره الـسليلَ لما كان صِـبْغُهُ حائل

يا صادراً نحو صدرِ بغيتنا   مرآكَ من صوبِ أَيْلَةٍ آيل

وكلهمْ فيكَ لازمٌ شرعةَ الـ   قاف(٣) لآثارِ رجعة القافل

مَطَرْتَ جُوداً محلّ مَحْلِهِمُ   عهادَ رزقٍ ما عهدُهُ حائل

ومنها :

أقسمت أنّى ما لم أُمَجِّدْكَ تَغْـلُونى من الهمّ خبـلةُ الخابل

/ فأغتدى فى الدَّنِئِ من القولِ أخـ   تارُ كما اشتار أَرْيَهُ العاسل(٤) [٤١ ظ]

مجتنياً تافهاً من المدح جمُّ الـ   مَنْحِ فى وجهِ نقصه تافل

وذكر القاضى الفاضل أنّ له شعراً حسنا وأنشد منه أبياتاً من قصيدة طويلة فى وصف القلم ، هى قوله :

لعادة كفٍّ إنْ أَلَمّتْ بجلدِهِ   غدا مورقاً أو معشباً حلّهُ الخصبُ

عجبتُ له أنْ ظلّ جاراً لسُحْبها   وما فعلتْ فيه كما تفعل السحب

وأَخْسبهُ حيًّا الطروسَ بنَبْعه   وأصبحَ مسلوباً وأثمرتِ الـكُتْب

قال ابن كاسيبويه الـكاتب ، وكان حاضراً عند القاضى الفاضل : [وله(٥)] أبيات فى القطائف المقلوة وهى قوله :

أهلاً بشهرٍ غدا فيه لنا خَلَفٌ   أ كلُ القطائف عن شربِ ابنةِ العنب

من كل ملفوفةٍ بيضٍ إلى أُخَرِ(٦)   حُمْرٍ من القَلْيِ تَشْفِى جِنَّةَ(٧) السَّغَب

---

(١) البسر : التمر قبل إرطابه ، والواحدة بسرة .   (٢) زيادة لوزن الشعر .

(٣) القافى : المتتبع للآثار .

(٤) اشتار أريه العاسل ، اشتار : استخرج ، والأرى : العسل ، والعاسل : صاحبه .

(٥) ساقطة من الأصل .   (٦) الشطر فى المغرب : ما بين محشوة صفت إلى أخر .

(٧) جنة السغب : شدة الجوع والجنون .

كأنهنّ خُروزٌ ذاتُ أغشيةٍ من فضةٍ وتعاويذٌ من الذهب

وله بيتان أنشدتهما :

الصمتُ سَمْتُ سلامةٍ طوبى لندبٍ (١) يقتفيه
عرفَ المُنكَرَ للزما نِ فِدامَ (٢) فيه فَدام فيه

وله فى القطائف المقلوة :

وافى الصيامُ فوافتنا قطائفُهُ كما تَسَنَّمتِ الكُثْبانُ من كُثُبِ

والبيتان الآخران هما المذكوران .

وله فى شمعة مذهبة :

كأنها من بناتِ الهند مُثْقَلةٌ بالحَلْىِ تُجْلَى لكى تُهْدَى إلى النار

ولما دخلت القاهرة فى سنة اثنتين وسبعين اجتمعت به فى دار السلطان ثم استنشدته شعره فأنشدنى ما سبق ذكره من الأبيات وأنشدنى لنفسه من قصيدة :

وذى هَيَفٍ إن راحَ للرّاح ساقيًا غدا سائقًا للصبِّ رَكْبَ حِمامِهِ
يبيحكُ إثمًا من مُدار (٣) مُدامِهِ ويمنعُ لثمًا من مُدارِ لثامِهِ
فما بالُهُ فى كفِّهِ عدلُ حُكْمِهِ وفى طرفه الفتان جورُ احتكامِهِ
وكيف أضاءتْ أنجمٌ من كؤوسهِ وقد أشرقتْ ما بينها شمس جامِهِ (٤)

ومنها فى الثغر :

وحقّ له أنْ كان حُقّ جواهرٍ إذا صِينَ من مسك اللَّمى بختامه

وله :

وغادةٍ غرّنى بغُرّتها رُوَاه حسنٍ يدعو لرؤيتها
أودُّ من وصلها نسيمَ رضًا يُبْرِدُ عنى هجيرَ هجرتها

(١) الندب : النجيب . (٢) فدام الفم : شىء تشده العجم على أفواهها عند السقى.
(٣) فى الأصل : مدام . (٤) الجام : إناء من فضة .

شممتُ إذ شِمْتُ[١] برقَ مبسمها أطيبَ طيبٍ أمام ضَمّتِها
فقلتُ هذا دخانُ عنبرةٍ للخالِ تَصْلَى بنار وجنتها

وله :

نَظَرَتْ بِطَرْفِي شَخْصَها[٢] فتشكّكتْ إذ قلتُ إنّكِ فى الحشا المتوهِّجِ
فحكى الذى فى العَيْنِ ما فى خاطرى فَأَرَيْتُها[٣] إيّاهُ فى أُنْمُوذَجِ

٤ — السعيد أبو القاسم

هبة* الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك

كنت عند القاضى الفاضل فى خيمته بمرج[٤] الدهمية ثامن عشر ذى القعدة

(١) شام البرق : نظر إليه . (٢) الشخص : سواد إنسان العين .

(٣) فى الأصل : فأريته .

(*) أكبر شعراء مصر وأبرعهم فى العصر الأيوبى ، ولد عام ٥٥٠ هـ وتوفى عام ٦٠٨ هـ وكان هو وأبوه يعملان فى دواوين القاضى الفاضل ، وكان أبوه يقوم على شئون القاضى أثناء غيبته فى الشام ، ولعل هذا يفسر خطورة هبة الله عنده كما يتبين من كتاب فصوص الفصول ، فالفاضل كان يكرمه جداً ، ويوقره ، ويرى فيه مخايل شاعر عظيم . وله ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت ١٩/٢٦٥ ، وابن خلكان (طبع القاهرة سنة ١٢٩٩ هـ) ٣/١٢١ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٥/٣٥ وحسن المحاضرة للسيوطى ١/٢٣٥ طبع مصر سنة ١٢٩٩ ، والمغرب لابن سعيد (نسخة دار الكتب المصرية المخطوطة) المجلد الثانى الورقة ١٤٧ ، وانفرد ابن سعيد بقوله عنه إنه كان غالياً فى التشيع ، ويدل لقب جده سناء الملك أنه كان من كبار الموظفين فى الدولة الفاطمية ، فقد خلع هذا اللقب أيضاً على حسين بن بدر الجمالى الوزير الفاطمى المشهور (الكامل لابن الأثير طبع ليدن ١٠/٢٧١) . ولابن سناء الملك ديوان موشحات يسمى دار الطراز به موشحات للمغاربة والأندلسيين ، نشره الدكتور جودة الركابى ، وله ديوان شعر لم ينشر حتى الآن ، وفى دار الكتب المصرية منه نسختان : مصورة مأخوذة من أصل فى مكتبة جامعة فؤاد ، ومخطوطة بالمكتبة التيمورية ، وسنرجع إليهما أثناء تحقيق نص ابن سناء رامزين لنسخة الجامعة بالحرف ج ولنسخة التيمورية بالحرف ت . والنسختان جميعاً محشوتان بالأغلاط ، وهما مختارات لا ديوانان كاملان فكثير من أبيات هذه القصائد غير موجودة فيهما وكذلك لا توجد بعض القصائد .

(٤) مرج الدهمية : لم نقف على مكان هذا المرج ويظهر أنه كان حول دمشق (انظر الروضتين ١/٢٥١) حيث يقول العماد إنه وصل مع القاضى الفاضل دمشق فى ذى القعدة من حمص ، فإما أن يكون المرج حول دمشق أو فى الطريق إليها من حمص .

سنة سبعين ، فأطلعنى على قصيدة له كتبها إليه من مصر ، وذكر أن سنه لم تبلغ إلى عشرين سنة ، فأعجبت بنظمه . والقصيدة هذه نسختها من خطه :

فراقٌ قضى للهمِّ والقلبِ بالجَمْع ... وهَجْرٌ تولَّى صُلْحَ عينى مع الدمع
ووصلٌ سعى فى قطعه من أُحِبُّهُ ... ولا عجبًا قد يهلك النجمُ(١) بالقَطْع
ورَبْعٌ لذات الخال خالٍ وربما ... شُغِلْتُ بهمِّى من مُساءلةِ الرَّبْعِ
فسبحان ربى قد سَمَت هِمَّةُ النَّوى ... وطالت إلى أن فرَّقت ساكنى جَمْع(٢)
وفى الحىِّ مَن صَيَّرتُها نُصْبَ خاطرى ... فما أذِنَتْ فى نازل الشوق بالرفع
من العربيّات المصونات بالذى ... أثارتهُ خَيـلُ الغائرين من النَّقْع
وممن يرى أن الملالة مِلَّةٌ ... وتلك لعمرُ الله من طَبَع(٣) الطَّبْع
تتيه بفَرْعٍ منه أصْلُ بليّتى ... ولم أر أصْلاً قطُّ يُعْزَى إلى فَرْع
وتبسِم عما يُكْسَفُ الدُّرُّ عنده ... فكيف ترَى من بعده حالة الطَّلْع
فكم تركَتْ فى ذلك الحىِّ ميتاً ... وكم حُمِلت فيها الضلوعُ على ضِلْع
وكم ذابَ من حَرِّ التعانق بيننا ... قلائدُها حتى افترقنا من اللَّذْع
سَقَى الله أيامَ الوصال مدامعى ... عليها وإن أسرَفْنَ فى الهطل والنَّبْع
زماناً تقود اللهوَ فيه يَدُ المُنَى ... ويُدْمِى التراضى صِحَّةَ الصدِّ بالصَّدْع
ولا نائلُ الحسناء نَزْرٌ ولا النَّوى ... تجاهرُ فينا دولةَ الوصل بالخَلْع
إذا شئتُ غنّانى غزالٌ مُغازِلٌ ... نَشيطُ التثنى فاترُ الخُلْفِ والمَنْع
يغنّى فتحمرُّ المدامةُ(٤) خَجْلَةً ... ليقصُرَها عن سَلْبةِ العقل بالخدع
فأصرفُ راحى حين يُكْسَفُ بالها ... وأشربُ منه راحةً بفم السَّمْع

(١) النجم : النبات .
(٢) جمع : مزدلفة .
(٣) الطبع : الدنس .
(٤) هكذا فى ت ، وفى الأصل : المدامع .

/ وأطربُ حتى لا أُفيق كأنّما ... أتانىَ فى عبد الرحيم هَنا الرَّجْعِ(١) [٤٢ و]
وما ذاكَ من فعلِ الإلٰه بمنكرٍ ... ولا عَوْدُهُ من قدرة الله بالبِدْعِ
نأى فدنا من كل طَرْفٍ سهادُهُ ... وسار فأبقى كلَّ قلب على فَجْعِ
إذا نظرت عينٌ سواه تَلَثَّمَت ... حياءً بعنوان(٢) الوفاء من الدمع
وإنْ عزَمَت نفسٌ على قصدِ غيره ... ففى أىِّ دِرْعٍ تلتقى أسهمُ الرَّدعِ
أياديه يُشْجِى الناسَ تذكيرُها به ... فأَعْجِبْ بضُرٍّ جاء من جهةِ النفعِ
وقد ضاق ذَرْعُ الصبر منا لفقده ... فيا حبذا من فقده ضِيقَةُ الذَّرْعِ
فلولا اصطبارٌ فيه أعْدَى بلادَهُ ... لسارت إليه واستجارتْ من القطعِ
لِكُتْبِ الأجلِّ السيدِ الفاضلِ اغتدتْ ... رقابُ الأعادى ناكساتٍ من الهَطْعِ(٣)
ومن قلمٍ فى كفه أصبحت به ... حدادُ المواضى عاجزاتٍ عن القطعِ
ومن فكره أضحتْ أفاعى يراعِهِ ... مع البعد منها قادراتٍ على اللَّسْعِ
متى خطَّ حرفاً أوهمتْ كلُّ قلعةٍ ... ولم تُخْطِ وهماً أنها فى يدِ القَلْعِ
فلله كُتْبٌ منه إنْ أبصرَ العِدَى ... لها مطلباً لم يدفعوها عن الدفعِ
وإنْ قيلَ عُقْبَى خَلْعِهَا كلَّ مفسد ... لقد زِدْتِ قالتْ ذا اختصارى وذا قَنْعى(٤)
لو ادَّرَعَ المرءُ الجبانُ ببعضها ... لأَصْبَحَ فى الجُلَّى غنياً عن الدِّرْعِ
لئن شوركتْ فى فتح حمصٍ بأسْهُمٍ ... مضت من قِسِيٍّ لسْنَ يُخطين فى النَّزْعِ
فقد أوْهمَتْ تلكَ السهام بأنها ... مُنَصَّلَةٌ مما يحوكُ من السَّجْعِ(٥)
فتباً لمن ظنَّ السيوفَ ككتبه ... لقد ظنَّ ظناً فاسدَ الأصلِ والوَضْعِ
تُشَبِّعُ(٦) هاتيك الطيورَ وهذه ... من الأمن تملأ أنفسَ الناسِ بالشِّبْعِ

(١) الرجع: الرجوع (٢) فى ج: بأردان، والردن: الكم.
(٣) الهطع: النظر فى ذل وخضوع من غير إقلاع للبصر.
(٤) القنع: القنوع والميل. (٥) منصلة: ذات نصال.
(٦) تشبع: من الشبع، لما تتركه من القتلى.

ومن لفظها الماءُ المعينُ فلو جرى لريَّانَ(١) أغنى منه ما سال بالجِزْعِ(٢)
لتهنِكَ يا عبدَ الرحيم سعادةٌ بها شاسعُ الآمال أدنى من الشِّسْعِ
ولا خاب من يرجو نداك ولا خبا شهابُ ردىً [يرمى(٣)] أعاديكَ بالسَّفْعِ(٤)
فيا سيدى اللهُ يعلمُ أننا خصوصاً(٥) بضرٍّ مؤلمٍ صائبِ الوقع
بُلينا بحسادٍ كثيرٍ أذاهمُ يظنون أنَّ الشَّرْعَ(٦) قد نصَّ فى الشرع
ولا يجْنِ بل لا(٧) يُجْرِ فىَّ اعتقادهم من الشرِّ وِتْراً أوْ يعزِّزَ بالشَّفْعِ
ولو أننا فى نعمةٍ يحسدوننا لهان ولكن عُذْرُهُمْ كَرَمُ الطبع
فللناس حزنٌ من فراقك واحد وأحزاننا قد أوْهَنَتْ(٨) نفَرَ الجمع
لقد خاطرتْ من خاطرى خَطَراتُهُ لشكوايَ حالاً ضاقَ عن كتمها وُسْعِى
فأُقْسِمُ أنَّ الطرسَ قد خافَ منهم وهذا دليلٌ أن كاتبَهُ مَرْعِى
فطوبى لعينٍ أبصرتكَ وحبذا مَقَرُّكَ من ربعٍ وصُقْعُكَ من صُقْعِ
فلو فارقتْ جسمى إليك حياتُهُ لقلتُ أصابتْ غيرَ مذمومةِ الصُّنْعِ(٩)

ثم وصل إلى الشام فى شهر رمضان سنة إحدى وسبعين فى الخدمة الفاضلية فوجدته فى الذكاء آية ، أحرز فى صناعة النثر والنظم غاية ، يتلقى عرابةُ(١٠) العربيةِ له باليمين راية ، قد ألحفه الإقبال الفاضلى فى الفضل قبُولاً ، وجعل طين خاطره على الفطنة مجبولاً ، وأنا أرجو أن تترقى فى الصناعة رتبته ، وتعزز عند تمادى

(١) الريان : الملىء بالماء .
(٢) الجزع : منعطف الوادى .
(٣) ساقطة فى الأصل .
(٤) السفع : من سفعته النار أى لفحته .
(٥) خصوصا : مفعول مطلق بمعنى نخص ، وربما كانت محرفة عن خصصنا .
(٦) الشرع : من قولهم الناس شرع واحد أى هم سواء ، كأنه يعلل التحاسد بذلك .
(٧) فى الأصل : لابل .
(٨) فى الأصل : أذهبت .
(٩) فى الأصل : الصقع .
(١٠) إشارة إلى البيت المشهور :
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أيامه فى العلم نُغبتُهُ ، وتصفو من الصبا منقبته ، وتروى بماء الدُّرْبَةِ رَوِيَّتُه ، وستكثر فوائده ، وتؤثر قلائده .

ومن جملة ما كتبه لى بخطه ، وَأَلْمَعَنِيهِ بنقطه ، وأبرزه لى من سِمْطِه ، قصيدةٌ يمدح بها الأجلَّ الفاضل أبا على عبد الرحيم بن على البيسانى ، ويذكر مسيره صحبته للكتابة بين يديه ، ويهنئه بعيد الفطر :

إنْ كنتَ ترغبُ أنْ ترانا فالْقَنا ... يومَ الهياجِ إذا تشاجرتِ القَنـا
تلقَ الأُلى يُجنيهمُ ثمرَ العـلا ... قُضُبٌ يلذُّ بهـا الجنى ممن جنى
لا يشربون سوى الدماء مُدامةً ... إذ(١) ينشقونَ من الأسنة سوسنا
وإذا الحسامُ بمعركٍ غنَّى لهمْ ... خلعوا نفوسهمُ على ذاك الغِنَا
متورعين فإن بدتْ شمسُ الضحى ... جعلوا العَجاجَ لها رداءً أدكنا
يشكو النهارُ خيولَهُمْ من نقعها ... والليلُ يشكو من وجوههمُ السنا
ويكادُ يُعْدِى القِرنَ شدةُ بأسهم ... فيكادُ يومَ الروع أنْ لا يَجْبُنَا
وإذا رأى الخطِّىُّ حدةَ عزمِهِمْ ... نكرَ القناةَ وكاد أنْ لا يطعنا
إنى وإن أصبحتُ منهم إنهمْ ... ليرون لِى خُلُقًا أرقَّ وألينـا
أهوى الغزالةَ والغزالَ وربما ... نهنهتُ نفسِى عفَّـةً وتدينا
وأَهُمُّ ثم أخافُ عقبى معشرٍ ... أخشى عليهم سوءَ عاقبة الخَنَا
ولقد كففت عنان عينى جاهدًا ... حتى إذا أعييت(٢) أطلقتُ العِنَا(٣)
فجرتْ ولكن فى الحقيقة عبرةً ... أبقتْ على الخدين وسماً بيّنا

(١) هكذا فى ت و ج وفى الأصل : إن .
(٢) فى ج : أعنت .
(٣) يريد أطلقت العنان فحذف النون للقافية واكتفى بدلالة البيت ويسمى هذا فى البلاغة اكتفاء ، وكان ابن سناء الملك كثيراً ما يصنعه . انظر خزانة الأدب للحموى (طبع بولاق سنة ١٢٩١ هـ) ص ١٥٨ .

[٤٢ ظ] / يا جَوْرَ هـذا الحبِّ فى أحكامه   خـدٌّ يُحَدُّ ولحظُ طَرْفٍ قد زنا
وأظنـــه قصد الجناسَ لأنه   طـرفٌ زنا لما رأى طَرْفًا رنا
يا قاتلَ الله الغـــوانى ما لنا   عنهمْ غِنًى بل كم لنـا عنهم غنى
ومليحةٍ بخلت فكانت حُجَّـــةً   للباخلاتِ وقلن هــذى عُذْرُنا
كالبـــدر إلا أنها لا تُجْتَلَى   والغصنِ إلا أنهـــا لا تُجْتَنَى
ضَنَّتْ بطرفٍ ظلَّ يُعدى سقْمُهُ   أرأيتمُ من ضنَّ حتى بالضنا
قالتْ تُعَيِّرُ من يكون مُبَخَّـلاً   فعلامَ أسمـــوه البخيل بودِّنا
وإذا تشكَّى القلبُ إسراعَ النوى   ظلَّتْ تَشَكَّى منه إفراط الوَنَى
وإذا بكت عينى تقولُ تبسمتْ   إنَّ الدموعَ لها ثغورٌ عنــدنا
يا عاذلين جهلتمُ فضلَ الهـوى   فعذلتمُ فيـــه ولكنِّى أنا(١)
إنى رأيتُ الشمسَ ثم رأيتهـا   ماذا عليَّ إذا عشقتُ الأحسنا
وسألتُ من أيِّ المعادنِ ثغرُها   فوجدتُ من عبد الرحيم المعدنا
أبصرتُ جوهرَ ثغرها وكلامَهُ   فعلمتُ حقًا أنَّ هـــذا من هنا
ذاكَ الكلام من الكمالِ بمنزلٍ   لا يدركُ الساعى إليـه سوى العنا
يدنو من الأفهام إلا أنهـــا   تلقاه أبعـــدَ ما يكون إذا دنا
ويسير وهـــو لحفظها مستوطِنٌ   فاعجبْ لذلك سائرًا مستوطنا
والجيدُ أحسنُ ما يكون لمُسْمِعٍ(٢)   أضحى بجوهره النفيس مُزَيَّنـا
وإذا حـواه الطرسُ فتَّح أعينا   من زهره تُصْبِي إليـه الأعينا
فالطِّرسُ ساحةُ فضةٍ وسطورُهُ   مِسْكٌ تفرِّعُهُ البراعةُ أغصنا
لله من عبـــد الرحيم يراعةٌ   تَذَرُ الحسامَ من الفلولِ مُؤَنِّنا(٣)

(١) مثال آخر للاكتفاء .   (٢) المسمع : المغنى .
(٣) مؤننا : من الأنين وفى ج : مؤمنا .

فلسانه قد صار لولا شكرُهُ ... لجميل نعمتها لسانًا ألكنا
وكتابهُ للمُلكِ منه كتيبةٌ ... تدع العدوَّ مُحيَّرًا ومُجبَّنا
هو سورُهُ حيث السطورُ بروجُهُ ... فلذاك صار مُحصَّنًا ومحسَّنا
ولقد علا بأبي عليٍّ جدُّ من ... جعل الرجاء إليه أنفسَ مُقتنى
يدعوه حين يُخيفُهُ إقتارُهُ ... فإذا دعا كان النوالُ مُؤمَّنا
إنْ يأتِه يَلْقَ النزيل مُعزَّزًا ... ويصادفُ الذهبَ النضارَ مُهوَّنا
والوجهَ أبلجَ والفناء مُوسَّعًا ... والعزَّ أقعسَ والعلاء مُمكَّنا
أغنى وأقنى قاصديه فكلُّهمْ ... يُثْنى ولا يَثْنى عِنانًا للثَّنا
تُثْنى القلوب على نداه وربما ... ركبَ النفاقُ مع الثناء الألسُنا
كم عاذلٍ في الجود قال له اتئدْ ... لا تلحَنا(١) فيه لئلا تلحنا
يفديه من تلقاه قاصدَ رِفْدِهِ ... مُتلوِّيًا في رِفْدِهِ مُتلوِّنا
أصبحتُ في مدح الأجلِّ مُوحِّدًا ... ولكم أتتني من أياديه ثُنى(٢)
وغدوتُ في حبي له متشيعًا ... من ذا رأى متشيعًا مُتسنِّنا(٣)
ورأيتُ صحبته نعيمًا عاجلاً ... فرأيتُ بذلَ النفس فيه هينا
وأرادني فظننتُ غيري قصدَهُ ... فوجدت دهري مذعنًا لي مُذعِنا
ياليت قومي يعلمون بأنني ... أدركتُ من كفيك نادرة المنى
أوليْتَ حسادي بما أوليتني ... علموا يقينًا أنَّ أيسَرَهُ الغنى
فملأتُ كفي منك جودًا فائضًا ... وملأتُ سمعي منك قولاً لينا
أنسيْتَنِي أهلي على كَلَفي بهم ... وذكرتُ أني قد نسيتُ الموطنا
وعلمتُ من سفري بأني لم أزلْ ... متغربًا لما لزمتُ المسكنا

(١) تلحنا : من لحاه أي عذله ولامه .
(٢) ثنى : هي تناه وقصر للقافية ، وثناه أي اثنين اثنتين .
(٣) متسننا : من السنة ، وأهل السنة يقابلون الشيعة .

كم والهٍ يبكى علىَّ ويشتكى(١)   ألمًا من البينِ المُفرِّقِ بيننا
وإذا [رأى(٢)] أثرى بكى فكأنه   طَلَلٌ تقادم عهده بالمُنْحَنَى(٣)
ويظنُّ دهرى قد أساء ولو درى   حالى لأَيْقَنَ أنَّه قد أحسنا
لا زال رأيك لى يزيدُكَ ضنَّةً   فى صحبتى ويزيد حسادى ضَنَا
وَهَنَاكَ عيدٌ أنت عيدٌ عنده   ولذاكَ أضحى فيك أوْلَى بالهنا
وبَقيتَ ما بقىَ البقاء فإن دنا   منه الفناء بقيتَ أو يَفْنَى الفنا

وقال يمدحه :

أبَى(٤) أنْ يسُرَّ العاشقين(٥) إيابُ   وأن يردعَ البينَ المشتَّ عتابُ
وما العشقُ إلا موتُ جسمٍ إذا دعا   فإن نفوسَ العاشقين جواب
ومن صحَّ من داء الصبابة قلبُهُ   رأى أنَّ رأىَ العاشقين(٦) صواب
رعى الله قومًا روَّعوا بفراقهم   فؤاداً حماه من حِجاه حِجاب
تضاعفَ ضعفى حين شُدَّتْ قِبابُهم   وقد(٧) زاد كربى حين سار ركابُ
عبرنا فكم من عبرةٍ فى ديارهم   تُذَالُ ونفسٍ بالحنين تُذَاب

ومنها :

وغانيةٍ لم تَعْدُ عشرين حجةً   أقولُ لها قولاً لديه ثوابُ(٨)
[٤٣ و] / عليكِ زكاةٌ فاجعليها وصالَنَا   لأنكِ(٩) فى العشرين وهى نِصاب
وما طلبى إلا قبولٌ وقُبْلَةٌ   وما أَرَبِى إلا رضًى ورُضاب

---

(١) هكذا فى ت وفى الأصل : تشتهى .
(٢) هكذا فى ت وهى ساقطة فى الأصل .
(٣) المنحنى : منعرج الوادى .
(٤) فى ت و ج : عسى .
(٥) فى ت و ج : السائرين .
(٦) فى ت و ج : العاذلين .
(٧) فى الأصل : ومن .
(٨) فى ت و ج : صواب .
(٩) فى ج : فعمرك .

ومنها :

تذكرت دهرًا ليس ينسيه لذةٌ … ولم يُسلِ قلبى عن هواه شرابُ
وحجى إلى حانوتِ راحٍ وحانةٍ … وكعبةُ لهوى أغيدٌ وكعاب
وإفراطُ حبى للعجوز التى غدتْ … عروسًا تهادَى والعقودُ حبابُ
تُعيدُ شبابَ العقل ضعفاً وكبرةً … ويرجع منها للكبير شبابُ
إذا قتلوها بالمزاج تبسمت … كشاربها يرتاحُ وهو مُصابُ
ومن عجبٍ أنَا نصيرُ بشربها … شياطينَ تردى[١] الناس وهى شهاب

ومنها فى المدح :

فتى أشرقت منه خصالٌ شريفةٌ … كما أغربَتْ فى الفضل منه رِغابُ
وقد صادقَ الإنجازَ منه مواعدٌ … كما جانَبَ الإخلافَ منه جَناب
على مالِهِ منه عذابٌ أصارَهُ … مواردَ جودٍ كلُّهنَّ عذاب
أيادٍ له بيضٌ حسانٌ سختْ بها … يدٌ لم يَشُبْها فى العطاء حساب
مواهبُهُ عِتقُ النفوسِ أقلُّها … إذا صافحَتْ بيضَ الصفاحِ رقابُ
وآراؤهُ تَثْنِى النصولَ بفيضها … إذا لم يكن إلاَّ الدماء خضابُ

ومنها فى كتابته وكتبه :

تَجُذُّ معانيها الرقابَ فقد غدا … يُخَيَّلُ لى أنَّ الكتاب قِرابُ[٢]

وقال يمدحه[٣] :

لقد عَتِيَتْ أيدى النوى بالنواهد[٤] … وقد عَبَثَتْ كفُّ البِلى بالمعاهد

---

(١) فى ت : تؤذى . (٢) القراب : الغمد .
(٣) هذه القصيدة ليست فى نسختى الديوان لا هى ولا مختارات منها .
(٤) النواهد : جمع ناهد وهى الكعاب الشابة .

وقد صادرتْنى فى البدور يدُ السُّرى   فصار سرورى صادرًا غير وارد
وكم ليلةٍ قد سرنى الدهرُ منهمُ   بأقمار خِدْرٍ لُقِّبَت بالخرائد
بكل فتاةٍ تتركُ العقلَ شاردًا   على أنها بالحسن أصْيَدُ صائد
ومحدودةِ العقد المعانَقِ جيدُهُ   وإنى له والله أكبرُ حاسد
تتيهُ بفرعٍ فوق خَدٍّ مورَّدٍ   وتسطو بوردٍ تحت أجْعَدَ وارد[1]
ومن صونها عن كل راءٍ ولامسٍ   غدا صَدْرُها يُبْدِى قِلًى للقلائد
وقد أشْبَهتها [الشمسُ][2] حتى خيالُها   يشابهُ ما قد طوَّلَتْ من مواعد
سلِ القلبَ هل مرَّ السلوُّ بباله   وهل حُزْنُهُ من بعدِكُمْ غيرُ زائد
يَقَرُّ بما قد قَرَّ فيه من الأسى   ويأتى إليكم من سَقَامى بشاهد
فبَعدكَ ما أبصرتُ دمعىَ راقئًا   وهذا دليلٌ أننى غير راقد
ولما هجرت الكُحْلَ قلتُ أمِنْ غِنًى   بتكحيلها أم مِنْ قِلًى للمَراود ؟

ومنها :

لأنىَ أحكيها نحولاً وصفرةً   وقد تُتْرَكُ الأشياء من غير واحد
بعينيك لا تستعجل البين والنوى   فلا بدَّ يومًا من فراق الفراقد[3]
ولا بد لى أن أتركَ الهمَّ آخذًا   لكاسٍ تُلاقى كل همٍّ بطارد
وتتركُ منها زاهيًا كلَّ زاهدٍ   ويرجع منها ماجنًا كل ماجد

ومنها فى صفة الخمر :

ترى أبدًا منها الأباريقَ سُجَّدًا   فشُرَّابُها أضحَوْا بها فى مساجد
يطوفُ بهاحلوُالمراشفِ أوْطَفٌ[4]   دَمَت مقلتاه كلَّ قلب بقاصد

(١) الوارد : الشعر الطويل المسترسل ، وكذلك الفرع .
(٢) ساقطة فى الأصل .   (٣) الفراقد : النجوم التى يهتدى بها .
(٤) الأوطف : كثير شعر الحاجبين والعينين .

ولم يُبْقِ وجهًا وجهُهُ غيرَ ساهمٍ   ولم يُبْقِ طَرْفًا طرفُهُ غيرَ ساهد
يضن ببَرْدٍ من وصالٍ وقد بدا   عذاراه فى خديه مثل المَبَارِدِ
له الحسْنُ عبدٌ لا يخالف أمرَهُ   وللفاضلِ المحمودِ حُرُّ المحامد
غدا مُسْتَقِلاًّ بالرياسةِ والعُلاَ   ومستكثرًا من مُتعِبات الحواسد
ومستحمدًا من بذله كلَّ مادح   ومستمدحًا من فضله كلَّ حامد

ومنها :

وقد فاق من توفيقه كلَّ سائس   كما ساد من تسديده كل سائد
أقَلُّ الوَرى مَنًّا على بذل مِنَّةٍ   وأكثرُ ما تلقاه عند الشدائد
علا ابنُ عليٍّ فوق كلِّ مُطاوِلٍ   بِطيبِ السجايا بعد طيب المحامد
وفضلٍ حباه الله منه بمعجزٍ   ترى أبدًا يَرْويه كل معاند
وجَدٍّ بما يهواه خيرِ مساعفٍ   وسعدٍ لما يبغيه خيرِ مساعد
فياحاسديه غيظُكمْ غيرُ نافذٍ   [ويا حامديه جوده غير نافد](1)
وياعاذليه فى الندى إنّ عذلكم   كبهْرَجٍ(2) نَقْدٍ زافَ فى عين ناقد

ومنها :

إذا كَذَبَتْ آراءُ قوم فرأيُهُ   على مشكلاتِ الغيبِ أصدقُ رائد
وإن كَتَبَتْ أقلامُه أقْصَدَ العدى   سهام المنايا من سمامِ الأساود
فيحمى سماءَ الملك منها ثواقبٌ   بكل شهابٍ واردٍ نحو مارد
فيامشترى وُدَّ القلوبِ وحبَّها   رويدكَ قد أسقطتَ نجمَ عُطَارِدِ
كأن العدى عينٌ وكُتْبُكَ عُوذَةٌ /   وقد أخَذَتْ من صَرْفِهِمْ بالمَرَاصِدِ [٤٣ ظ]

---

(١) بياض فى الأصل ووضعنا الشطر ملائما للسياق .

(٢) بهرج : زائف .

ومنها فى توديعه :

أيا راحلاً والدمعُ بى غير واقفٍ ... ويا سائرًا والوجدُ بى غيرُ قاعد
يعزّ على ظمآن ملتهبِ الحشا ... فراقُ فراتٍ منك عذبِ الموارد
تسير فكم باكٍ بأجفان والهٍ ... عليك وكم باكٍ بأجفانِ والد
أودّع منك العيشَ عيشَ شبيبتى ... وأقطعُ منى العمرَ عمرَ قصائدى
وأهجرُ إن فارقتنى كلَّ لذة ... وأعربُ من وجدى على كل واجد
فقصّرَ ربى عُمْرَ ما قد نوى النوى ... ومن لى بتقريبِ النوى المتباعد

وقال يمدحه من قصيدة(١) مضى عنه أولها :

ليالٍ عيونُ الدهرِ عنها نواعسٌ ... تنعَّمتُ فيها من حسانٍ نواعمِ
وعانقتُ فيها بدرَهَا فى معاجرٍ(٢) ... على إثرِ مَن عانقتُه فى عمائم
وبرّدتُ فيها لوعتى من مراشفٍ ... فما زلت أستشفى بلثمِ المباسم

ومنها :

ولما بدا جيدٌ لها ومعاصمٌ ... رأيتُ حبالَ الصبر غيرَ عواصم
وعاونَها عيناىَ فى سفكِ مهجتى ... فمن ذا أسمِّى عاذلاً غيرَ ظالم
وهدَّ هواها من نُهاىَ معاقلاً ... وعهدى بها لا ترتقى بالسلالم
وبعتُ فؤادًا واشتريتُ مَذَلَّةً ... وأربحتُ على أننى غيرُ حازم

ومنها فى المديح :

من الوارثينَ المجدَ لا عنْ كلالةٍ ... إذا ما ادّعاهُ أدعياءُ الأعاجم

---

(١) هذه القصيدة ليست موجودة فى نسختى الديوان .
(٢) المعاجر : جمع معجر ثوب للمرأة .

ترى ما لَهُ من بذله فى مكارهٍ ... وتلقاهُ مسروراً بجمع المكارم
إذا أوْجَعَت قلبَ امرىء كفُّ حارمٍ ... رأى من عطايا كفه قلبَ راحم
غرامٌ قديمٌ فيه بالجودِ والندى ... إذا أثقل الأعناقَ حملُ المغارم

ومنها فى صفة كتابته :

ويطربُ حُسناً من غدا فيه حتفه ... وقد يُطرب المحزونَ نوحُ الحمائم

ومنها فى تهنئته بالصوم :

تَهَنَّ بهذا الصومِ يا خيرَ صائرٍ ... إلى كلِّ ما يهوى ويا خيرَ صائم
ومن صام عن كل الفواحشِ عمرَهُ ... فأهونُ شيء هجرُهُ للمطاعم

ومنها :

ولولا نداكَ الغمرُ لم أكُ شاعرًا ... وقد يشكر الأنهارَ صوتُ العُلاجم(١)
ولا عجبًا أنْ صرتُ فى خيرِ ناثرٍ ... لدرِّ كلامٍ رائقٍ غيرَ ناظم

وقال يمدح أباه ويودعه عند مسيره مع الأجلّ الفاضل إلى الشام :

أناخَ بها البارقُ الممطرُ ... ومرَّ النسيمُ بها يخطرُ
وأحيا مسيحُ(٢) الحيا نشرَها ... فأصبحَ ميِّتُها يُنْشَرُ
وأضرمَتِ النارُ من فوقها ... ففاح لها النَّدُّ والعنبر
ونبَّهَ فيها صهيلُ الرعودِ ... لواحظ ما خلتُها تسهر
وطاشَ النباتُ فهل راقه ... ليركبُهُ ذاك الأشقر
وما حملتْ منةً للسحاب ... إلا ومنتُها أكبر

(١) العلاجم : جمع علجوم وهو الضفدع .
(٢) مسيح : يريد المسيح عيسى على التشبيه وفى ت : صبيح .

متى جاء من دمعِه زائرٌ تَلَقَّاه من زهرها مَحْجِرُ
ولو حلَّ فى رعده خاطبٌ لوافاه(١) من مَرْوِهَا منبر
فكم مقلةٍ ثَمَّ مغضوضةٍ وكم وجنةٍ بالحيا تقطر
وكم من غديرٍ غدا صفْوُهُ بأسرارِ حصبائه يُخْبِرُ
وكم قد نهاه هبوبُ الرياح فظلَّ بتجعيده يستر
وكم فيه للقطر من خوذةٍ تدلُّ على أنه مِغْفَر
فياروضةَ الحسن إنى شُغِلْتُ بروضةِ حسنٍ لمن(٢) ينظر
ويا خَضِرَ اللون قد ضاع فيك — كما ضعتَ — شاربك الأخضر
أنا لا أُبينُ لفرطِ السَّقام وذاكَ لكونك لا تظهر
تأطَّرَ(٣) والرمحُ فى كفه فلم ندر أيهما الأسمر
ومرَّ الغزال على إثْرِهِ فلم ندر أيهما الجؤذر
وألبس خاتمَهُ خصرَه فقد صحَّ من خَصْرِهِ الخنصر
ولما تعمَّمَ قام الدليلُ على نقصِ مَنْ زِيُّها المِعْجَرُ
وحسبك أنَّ لها معجرًا وأسعدُ منه له مِئْزَر
وقد غار منه على أننى وغيرىَ من قبله أغْيَرُ
فيا معدنًا دُرُّهُ سالمٌ ويا روضةً وردُهَا أحمر
ويا من بفيه لنا سُكَّرٌ ولكنه سُكَّرٌ يُسْكِرُ
تحلل جَهْرًا(٤) عقود(٥) الرجال فمن أجله حُرِّمَ المُسْكِرُ
أصومُ عن الوصل دهرِى وقد رأيتُ الهلال ولا أُفْطِرُ
وأنت الهلالُ وأنت الهلاكُ بِقَتْلِىَ تُفْتِى ولا تَفْتُرُ

(١) هكذا فى ت و ج وفى الأصل : لوفاه .
(٢) هكذا فى ت و ج وفى الأصل : لم . (٣) تأطر : تثنى .
(٤) هكذا فى ت وفى الأصل : خرا . (٥) فى ت : العقول .

/ ومنها : [٤٤ و]

وأعجبُ من كلِّ ما قد جرى عجوزٌ أتتني بهـــا مُعْصِر (١)
وهــــذى القضيةُ معكوسةٌ أرَى (٢) العقلُ من مثلِهاَ ينفِرُ
فواصلتها فى (٣) كئوس ظَنَنْتُ بها أنَّ حارسنا يُبْصر
وأحرقتُ منها ظلامَ الدجى لِمَا صحَّ من أنَّه يكفر
وبات نديمِىَ لايــلُه يطولُ ولا شُرْبُهُ يَقْصُرُ
وقام المؤذِّنُ ينعىَ الظلامَ فهــذاك يَنْعَى وذا يَنْعَرُ
وحُطَّ لدىَّ (٤) قناعُ الصباحِ وأسفرَ لى وجهُك (٥) المُسْفِر
فلا يعجبِ الصبحُ من نوره فوجهُ الرشيدِ — أبى — أنورُ
وإخبارُ سؤدده من ســناه أبهى ومن حسنه أبهر
هو السيد المشترى للثناء وقد عجز القومُ أن يشتروا
ومانحُ من جاء يمتــارُهُ فهمْ فى معاليهِ لن يَمْتَرُوا
ويفــترّ (٦) مُدَّاحهُ من لهاه فهم فى المدائح لن يَفْــتُرُوا
وراحتُه قبــلةُ الآملينَ على أنهــــا ديمةٌ تمطر
فللجود باطنهـــا مَشْرَعٌ وَلِلَّثْمِ ظاهرها مَشْعَــــرُ
فإن شئتَ قل إنه جنــةُ النــعيمِ وراحتُــــهُ الكوثر
تُقَصِّرُ إنْ سابقَتْــــهُ الرياحُ وتوجدُ فى إثره تَعْــثُرُ
ويُنسى الرشيدُ (٧) لذكر الرشيد ويُحتقر — من جعفرٍ — جعفر (٨)

---

(١) المعصر : الشابة راهقت العشرين .
(٢) هكذا فى ت وفى الأصل : أى .
(٣) هكذا فى ت وفى الأصل : من .
(٤) فى ت : تكشف عنا .
(٥) هكذا فى ت وفى الأصل : وجهه .
(٦) يفتر : ينتشى ، واللها : العطايا .
(٧) يريد هرون الرشيد .
(٨) يريد جعفر بن يحيي البرمكى .

وكيف يُسَمُّونَه جعفـرًا(1) ‏ ‏ ‏ ومن فيض راحتـه أبحر
وكيف يلومون حسّادَه ‏ ‏ ‏ وقد حسدت عصرَه الأعْصُر
من القـوم لا رفدُهُمْ للعفا ‏ ‏ ‏ ةِ يُحْصَى ولا مَجْدُهُم يُحْصَر
فرفدهمُ منهـمُ مُرْبِحٌ ‏ ‏ ‏ ووفرهمُ بهـمُ مُخْسِرُ
بدورٌ إذا انتسبوا للأنامِ ‏ ‏ ‏ فزُهْرُ النجـومِ لها مَعْشَر
ولا مثلَ هـذا الرئيسِ الذى ‏ ‏ ‏ له مَفْخَرٌ ماله مفخـر(2)

ومنها:

وتوردُ فى مَنْهَلِ المكرماتِ ‏ ‏ ‏ وتصدُرُ عن أمل يصـدر
فِداهُ من السـوء حسّادُه ‏ ‏ ‏ جميعًا على أنهم أحقـر
فكم قدَّرُوا الوضـعَ من قدره ‏ ‏ ‏ وتأبى المقـاديرُ ما قدَّرُوا
وكم آثروا ثلمَ عليـائه ‏ ‏ ‏ فما ثلمـوها ولا أثَّرُوا
يحلِّقُ نحو سماء العـلا ‏ ‏ ‏ وهم قبـل تحليقه قصَّرُوا
فلله منـه فتًى عزمةٍ ‏ ‏ ‏ [تجىء الليالى بما يَقْدُرُ(3)]
ونظَّامُ مجـدٍ يُرى نَفْيُهُ ‏ ‏ ‏ لأعْرَاضِـه أنه الجوهر
وعدلىُّ فعـلٍ يقولُ الزمانُ ‏ ‏ ‏ لإجباره إنَّهُ مُجْـبَرُ(4)
وبحرُ علـومٍ يُرَى موجُهُ ‏ ‏ ‏ يُعَبَّرُ عنـه ولا يُعْبَرُ

---

(1) الجعفر: النهر. (2) الشطر فى ت هكذا: على كل فخر له مفخر.

(3) فى الأصـل بياض، والبيت غير موجود فى نسختى الديوان، ووضعنا الشطر ملائمًا للسياق.

(4) يقول إنه يأتى عمـله عن حرية وإرادة، فكأنه ممن يؤمنون بأن الإنسان يخلق أفعاله، وهم المعتزلة القائلون بفكرة العدل، وفى الوقت نفسه يجبر الزمان على ما يريد، فكأنه من أهـل الجبر الذين يقولون بأن كل شىء يقع بقضاء وقدر، وهى مشاكلة أو طباق بين عدلى ومجبر.

لك الله ماذا عسى أن يقولَ ... لسانى وماذا عسى يذكر
فقد صرتُ أشعر إن رمتُ نظمَ ... مديحك أنى لا أشعر
وإنى عزمت على سفرةٍ ... أرى وجه إقبالها يسفر
وأحببتُ خدمةَ مَنْ دهرُنا ... لأغراضه خادمٌ أصغر
وآثرتُ صحبة مولى الأنام ... لأبلغَ منه الذى أُوثِرُ
ستغبطنى فيه شمسُ الضحى ... ويحسدنى القمر النيِّر
وأصبحُ لا عيشتى عنده ... تذمُّ ولا ذمتى تُخفَر
وأُبصرُ دهرىَ من ذنبه ... يتوبُ إلىَّ ويستغفر
أودِّعُ منك الحيا والحياةَ ... وأُودِعُ قلبى لظىً يَسْعر
وأرحلُ عنك ولى خاطرٌ ... بتذكار غيركَ لا يخطر
ومن كان مثلى سعى فى البلاد ... فيكسى من العز أو يكسر
وما طلبى غير نيل العلا ... ومثلى على مثلها يعذر
فلا تنسنى من مجاب الدعا ... فإنى وليدك يا جعفر

وقال وقد اقترح عليه أن يذم الخال :

يا من غدت تختال فى خالها ... وخالُها يقضى بتهجينها
كأنما خدُّكِ تفاحةٌ ... وخالُها نقطة تَعْيِينِها(١)

وقال فيه :

لا تُجْرِ دمعًا على سعادٍ ... فإن هِجْرانَها سَعَادَهْ
زهتْ على قومها بخالٍ ... أكسبها منهمُ زهَادَه
وما درت أنَّ كلَّ خالٍ ... بغضتُهُ للظريفِ عاده

(١) التعيين : أن يكون فى الجلد ثقوب أو دوائر رقيقة كالعين .

إنى لأختصه بمَقْتِى / لَمّا تخَيَّلْتُهُ قُرَاده(١) [٤٤ ظ]

وقال فى قواد(٢) :

لى صاحبٌ أفديه من صاحبٍ   حلوِ التأنِّى حَسَنِ الإحتيالْ
لو شاء من رقةِ ألفاظِهِ   ألَّفَ ما بين الهدى والضلالْ
يكفيك منه أنه رُبَّما   قاد إلى المهجورِ طيفَ الخيال

وقال :

وَغادةٍ عندها وَغادَهْ(٣)   صارت لها سُنَّةً وعادَه
إنْ هام . . . . بها جنوناً   جعلتْ ساقاتِها قِلادَه

وقال يهجو :

وشاعرٍ كاتبٍ أديبٍ   منظِّمِ العقدِ(٤) والقياس
قلتُ له والفضول داءٌ   وهو كما قيل كالعُطاس
لِمْ صِرْتَ تَبغِى وصرتَ تَبْغُو(٥)   قالَ من العشقِ للجناس(٦)

وقال :

لأصْرِفُ الوَجْهَ عن إنسانِ غانيةٍ   ولستُ أصرف عنها وجهَ إنسانى
ولا أُريدُ لقوّادٍ مُساعدةً   إن الشبيبةَ من أعيانِ أعوانِى

(١) القرادة : حشرة صغيرة .
(٢) ذكر الحموى فى خزانة الأدب هذه الأبيات فى باب ذكر الهجو فى معرض المدح .
(٣) وغادة : من وغد أى صار وغداً لئيما .
(٤) فى ت : العقل .   (٥) تبغو : من البغاء .
(٦) فى ت : فى القياس .

وقال موشحاً يمدح به أباه :

أَخْمَلَ ياقوتَ الشفقْ   دُرُّ الدرارى
وساح فى أُفْقِ الغَسَقْ   نَهْرُ النهارِ

وفتَّ كافورُ الصباحْ   مسكَ السماء
وفاح من نشرِ الأَقاحْ   نشرُ الكَباء[1]
وهبَّ [من] جسم الرياحْ   مثلُ الهباء
ولاح من زَهْرِ البطاحْ   نَدُّ الهواء

وسار فى بَدْرِ الأُفُقْ   سِرُّ السِّرارِ[2]
وقد وقى الشمسَ الغَرَقْ   منه سمارى[3]

فاترك لعيدانِ الطلولْ   تَنْدُبُ مَيّا
واشربْ على رغمِ العذولْ   من الحُميّا
وانثرْ على أُفق الشَّمولْ   عِقْدَ الثريا
وقل لساقيك العجولْ   باللهِ هَيّا

أما ترى نورَ الفَلَقْ   شيبَ بنارِ
لعلَّهُ قد استرقْ   شمسَ العُقَارِ

لاشمسَ إلا من مدامْ   ذاتِ وقودِ
تجلو بتمزيقِ الظلامْ   وجهَ الرشيدِ

---

(١) الكَباء : عود البخور .
(٢) السرار : آخر ليلة من الشهر .
(٣) السمارى : جمع سمارة وهى الظلمة .

نفسُ العـلا معنى الأنامْ　　سرُّ الوجود
وهو إذا عُـدَّ الأنام　　بيتُ القصيدِ

تخلّفـوا وقد سَبَقْ　　إلى الفَخَارِ
فليس فيهـم من لَحِقْ　　غيرَ الغبارِ

أغنى وأقـنى(١) باللُّهَى　　وما تَعَسَّرْ
وقاده فضـلُ النُّهَى　　فما تعثَّرْ
ورام أعلى ما اشـتهى　　فما تَعَذَّرْ
وحاز مقـدارَ السُّها　　فما تكبَّرْ

فجَـلَّ ربٌّ قد خَلَقْ　　بالأقتـدارِ
هذى المعـالى من عَلَقْ　　بلا تمارِ

عمرى ببقياهُ شـبابْ　　والعيشُ صافى
وليس لى فيـه شرابْ　　غيرُ السُّلافِ
وكعبتى خودٌ كَعَبْ　　لهـا طوافى
قالت برغم الاجتنـابْ　　والانحـرافِ

جى يا حببى واسـتبِقْ　　واُحْلُلْ إزارى
فإن زوجى ما غَلَقْ　　ذا اليومَ دارى

وقال موشحاً يرثى أمه :

يا مَا عَـرَا قلبى وما دهاهْ　　مضى نُهَاهْ
لما نهاهُ الوجـد مَعْ مَنْ نَهاهْ

(١) أقنى : أغنى .

ما زال لى مـذ دهانى الزمانْ
أُنْسٌ شجاعٌ واصطبارٌ جبانْ
وعَـبْرَةٌ خالِعَةٌ للعِنانْ
لا تقبلُ الصونَ وترضى الهوانْ

وناظرى قد غاب عنـه كَرَاهْ   تُرى سَرَاهْ
أو يُفْسِحُ الدهرُ له فى شِرَاهْ

صبرًا جميلا أين صبرٌ جميلْ
ذاك سبيلٌ ما إليـه سبيلْ
وقتى قصيرٌ وحديثى طويلْ
حسبكَ مَنْ راحتُهُ فى العويلْ

وجُـلُّ ما يبغيه لُقْيَا الوفاهْ   وهى شِـفَاهْ
تَبْرِى خطوبًا خاطَبَتْهُ شِـفَاهْ

حزنى على أُمِّىَ حزنٌ شـديدْ
تبْلَى الليالى وهو غَضٌّ جديدْ
قلْ لنارِ القلب هل مِنْ مَزِيدْ
وقل لصَرْفِ الدهرِ هل من مَحِيدْ

غلطتُ دعْ دهرى وما قد نواهْ   فهـل عساهْ
يأتى إلا دون ما قد أتاهْ

لهفى على من شطَّ منهـا المزارْ
وأظلمتْ من بعـدها كلُّ دار
وصار للمقــدارِ فيها الخيارْ
وقد بكى الليلُ لهـا والنهارْ

هذا لفقـدِ العُرْفِ ما قد شجاه   وللصــلاه
هـــذا أطالَ الوجدُ فيها بكاه

ياليتــــنى سابِقُها للمماتْ
ولا أرى نفسى بشر الصِّفاتْ
منتزَعَ الصبرِ عــديمَ الثبات
فـكم ثكالى قُلْنَ مستعجلاتْ

هــذا المسيكينْ ما بَقِى لهْ حَياهْ   هَــدَّ قُواهْ
واهًا عليــــه ثم واهًا وواهْ

وقال يذ كر ليلة وصال :

ظبىٌ بحسماءَ(١) حالى الجيدِ بالعطَلِ   لـكنه قد جَلاهُ الحسنُ فى حُلَلِ
موشّحاتٌ ولـكن من ذوائبِهِ   لما رآه مُحشَّى الطرف بالـكَحَلِ
أتى إلىَّ وأهدى(٢) خدَّهُ لفمى   فقمتُ أقْطُفُ منه وردةَ الخجـل
والليلُ قد مَدَّ سِترًا من سحائبه   لَما تخيَّلَ أنَّ الزَّهْرَ(٣) كالمقَلِ
فنا ولا خطرٌ إلا إلى خَطَــرٍ   دانٍ ولا خطوةٌ إلا إلى أجـل

(١) حسماء : هى حسمى ، وسبق التعريف بها .
(٢) فى ت : وأهوى .
(٣) فى ت : السحب .

والعينُ تسحبُ ذيلاً من مدامعها … والقلبُ يسحبُ أذيالاً من الوجل
أُكلِّفُ النفسَ معْ علمى بعزّتها … وَطْئاً على البيضِ أو حَمْلاً على الأَسَل
لكننى بالمواضى غيرُ مكترثٍ … وبالأسنَّةِ فيه غيرُ محتفل
/ وكاد يهالك لولا الصبرُ من فَرَقٍ … وكدت أهلك لولا الحَزْمُ من جَذَل [٤٥ و]
حتى أتينا إلى ميعادِ مأمنةٍ … يا صاحبىَّ فلو أبصرتما عملى
أُواصلُ اللَّثْمَ من فَرْعٍ إلى قدمٍ … وأُوصلُ الضمَّ من صَدْرٍ إلى كَفَل
وجَيَّبَ[1] الشوقُ ثوباً من معانقةٍ … منّا علينا فلم يَقْصُرْ ولم يطل
وبات يُسْمعنى من لفظِ منطقه … أرقَّ من كلمى فيه ومن غَزَلى
وددتُ أعضاىَ أسماعًا لتسمعَهُ … ولو تحمّلْتُ فيه وطأَةَ العَذَل
ودمعةُ الدَّلِّ يجريها على جسدى … فهل رأيت سقوط الطلِّ فى الطَّلَل
ونلتُ ما نلتُ مما لا أهُمُّ به … ولا ترقَّتْ إليه هِمّةُ الأمل
ومرَّ والليلُ قد غارتْ كواكبه … لما نوى الصبحُ تطفيلاً على الطفَلِ[2]
لم أسْحَبِ الذيلَ كى أمحو مواطِئَهُ … لكننى قمتُ أمحو الخطْوَ بالقُبَلِ
يا ليلةً قد تولّتْ وهى قائلةٌ … لا تظلمنِّىَ[3] مَعْ أيّامِكَ الأُوَلِ

وقال عند خروجه من مصر وتوجهه إلى الشام :

لما دعا فى الركب داعى الفراقْ … لبَّاهُ ماء الدمع من كل ماقْ
يا دمعُ لم تَدْعُ سوى مهجتى … فلِمْ تطفّلْتَ بهذا السباقْ ؟
إن كنتَ قد خفت لظى زفرتى … فأنت معذورٌ بهذا الإباق
وإن تكنْ أسرعتَ من جنَّةٍ … إنّ لها من أنّتى ألفَ راق

(١) جَيَّب : جعل للثوب جيباً وهو فتحته العليا ، وفى ت : وأسبل .
(٢) الطفل : آخر الليل عند الشروق أو إلى الشروق .
(٣) فى ت : لا تنظمنى .

مهلاً فما أنت كدمعٍ جرى ... ورَاقَ بل أنت دماءٌ تُراقْ
فقمتُ والأجفانُ فى عَبْرَةٍ(١) ... والدمعُ من مَسْألتى فى شقاق
أسقى بمُزْنِ الحزن روضَ النَّوَى(٢) ... يا قُرْبَ ما أثمرَ لى بالعناق
وأسلفَ التوديع شكرى لكى ... يخدعَ قلبى بتلاقى التَّراق(٣)
وما عناقُ المرء محبوبَهُ ... إلا بأنْ يلتفَّ ساقٌ بساق
لله ذاك اليوم كم مقلةٍ ... غَرْقَى وقلبٍ بالجوى ذى احتراق
ومعشرٍ لاقوا وجوه النوى ... وهى صِفاقٌ بوجوهٍ رِقاق
ووالدٍ بل سيدٍ والهٍ ... سقاه توديعىَ كأسًا دهاق
كأنَّ ذاك اليومَ كأسٌ له ... الهمُّ شُرْبٌ ويدُ البعد ساق
يقول [لى(٤)] أتعبْتَ(٥) قلبى فلا ... لقيتَ من بعدىَ ما القلبُ راق
أيقنتُ أنْ ألبسَ فى بلدة ... أخلاقَ قومٍ ما لهم من خَلاَقْ
هُمْ معشرٌ دقٌّ(٦) ومن أجل ذا ... أضحتْ معانى اللؤم فيهم دقاق
لما سرتْ خيلى بهمْ عنهمُ ... أسميتُ قلبى بعِتاقِ العتاق(٧)
وبدرِ تِمٍّ قال لى عاتبًا ... فَلَّتَ صبرى يا كثيرَ النفاق
خدعتَنى حتى إذا حُزْتَنى ... سلَّطتَ بالبينِ علىَّ المِحاق
قلت بدورُ التم أسْرَى السُّرَى(٨) ... فارضَ بأنى لك يا بدرُ واق
وأبقِ طليقًا ما نأتْ داره ... وَدَعْ أسيرًا سائرًا فى وثاق

(١) هكذا فى ت ، والشطر فى الأصل : فقمت والأحزان فى عزة .
(٢) فى ت : اللوى . (٣) التراق : جمع ترقوة .
(٤) زيادة من ت . (٥) هكذا فى ت والأصل : أبقيت .
(٦) دق : جمع دقيق وهو القليل الخير .
(٧) عتاق العتاق : كرائم الخيل النجيبة .
(٨) السرى : السير ليلا ، وأسرى : جمع أسير .

وربما كانتْ لنا عودةٌ   فإن تكنْ كان إليك المَساق
مذ صُعِقَ القلبُ لتوديعهم   وخرَّ لم يَتْلُ ، فلما أفاق...(١)
إن كان وجدى غيرَ فانٍ به   فإن جسمى بعده غيرُ باق
والله ما يَسْوَى وإن كابروا   يومَ النوى عندى غيرُ(٢) التلاق

ومما قال بحماه(٣) :

من للغريب هَفَتْ به الفِكَرُ   لا العينُ تؤنسُهُ ولا الأثَرُ
لا تلتقى أجفانُ مقلته   فكأنما أهدابُهُ(٤) إبَرُ
من طولِ ما يُرْمَى بغُرْبتِهِ(٥)   يبكى البكاءَ ويسهر السهر
يا طولَ ليلٍ لا صباحَ له   سَحَروا الظلام فما له سَحَرُ
ولقد تحلأً(٦) عن منازله   طيفٌ لطولِ سُراه مُنْبَهِر
يأتى إلىَّ لنقع غُلّته   فيصدُّهُ مِنْ مَدْمَعى نَهَر
وعهدْتُ قلبى جِسْرَ مَعْبرةٍ   لكنَّ ذاك الجسرَ مُنْكسِرُ
مذ نِمتُ لكن فى كَرَى وَلَهى   خُيِّلْتُ أن خيالَهُ القمر
يا دهرُ يا من لا حُنُوَّ له   أوَ ما علمتَ بأننى بَشَرُ
لو كنتَ تنطق قلت لِمْ بَطَراً   فجميع ما بك أصْلُهُ البَطَر
تأتى حماةَ وتشتكِى كدراً   أو ما علمت بأنها كَدَرُ
وبقيتَ لا أهلٌ ولا ولدٌ   فيها ولا وطَنٌ ولا وَطَر
صه يا زمانُ فإننى رجلٌ   لَيْسَتْ تُغيِّرُ صبْرَه الغِيَرُ

(١) هذا من نوع الاكتفاء الذى مر ذكره أى فلما أفاق تلا .
(٢) فى ت ، وج : يوم .   (٣) حماة : بلدة فى شمال الشام .
(٤) هكذا فى ت ، وفى الأصل إبعادها .
(٥) هكذا فى ت وفى الأصل : بصحبتها .   (٦) تحلأ : طرد ومنع .

ماءُ البشاشة ملءُ صفحته والقلبُ فيه النارُ تَسْتَعِرُ
ولربمـــا هطلتْ مدامعُهُ ومُراده أن يَغْرَقَ الحوَرُ
فالخدُّ ميـــدانٌ صوالجُهُ هُدْبٌ لها من دمعه أُكَرُ
والنبعُ(١) قالوا ما له ثَمَـــرٌ أنا نبعـــةٌ والدمع لى ثمر
ولأَرْكبنَّ الصعبَ غُرَّتَهُ / غَرَرٌ(٢) وخَطْرَةُ عِطْفِهِ خَطَرُ [٤٥ ظ]
إمَّا وإمّا وهى واحـــدةٌ — فيها مُرادُ النفس — يَنْتَظِرُ
ريحَ الجنوبِ أراكِ ناحـــلةً هل شفَّ جسمَكِ مثلِيَ السفر
وأراكِ طيِّبَـــةً مُعَطَّرَةً هل أنتِ من أحبابنـــا خبَرُ
تلكَ الأحبـــة روضُ ودِّهِمُ خَضِلٌ وماءُ صَفائهم خَصِرُ(٣)

ومنهـــا :

فارقتهم فتمايلوا أســـفاً حتى ظننـــا أنهمْ سَكِروا
فكأَنَّهمْ لدموعهم شربوا وكأَنَّهم بأَنينهم نَعَـــروا(٤)
كم فيهمُ مَنْ غَضَّ ناظرَهُ لما خلا من شخصىَ البصر
ويظن ظناً أن مقلتـــه لولاى لم يُخْلَقْ لهـــا نظر
يا ويحَ طرفٍ بعـــد فرقتهمْ لم يَجْرِ دمعٌ بل جرى قدر(٥)
كم كنت أَحذرُ من فراقهمُ فإذا دهى قدرٌ فلا حـــذرُ

---

(١) النبع : شجر تتخذ منه القسى والسهام .
(٢) الغرر : الهلاك والتعرض للخطر من غرر بنفسه .
(٣) خصر : بارد ، وخضل : مبلل بالندى .
(٤) يريد بالنعير : صياح السكارى .
(٥) تدل ت و ج على أن هـذا البيت ملفق من بيتين لابن سناء فهما فيهما على هذا النحو .

يا ويح طرف بعـد فرقتهم مرت به العبرات والعبر
صدق الذى قالت بلاغتـه لم يجر دمع بل جرى قدر

لهفى على عيشٍ بنعمتــــه   كانت ذنوبُ الدهرِ تغتفر
ومنــــازلٍ باللهو آهلةٍ   تُزْهى بهـا الآمالُ والفِكَرُ(١)
ومنــازهٍ من حُسْنِ حيلتها   يُنْسَى الحبورُ وتُنْثَرُ الحِبَرُ

ومنها :

تلك الغصون شعورها وَرَقٌ   متكلِّلٌ وعقودها زَهَرُ
تحت النهودِ كأنهـا بِدَرٌ   سُرَرٌ تفرَّغُ فيهـمُ صُرَرُ(٢)
آهاً لثغرٍ لو ظفـــرتُ به   وكذا الثغور بهـا يُرى الظَّفَرُ
من شـــادنٍ طرفى لفرقته   زَنْدٌ(٣) وحُمْرُ مدامعى شَرَرُ
متحـيرٌ فى طرفه الحَوَرُ   متبرِّجٌ فى وجهه الخَـفَرُ
لولم يكنْ فى الجفن عَسْكَرُهُ   ما قيــل إنَّ الجفنَ ينكسِرُ
حَفَّتْ مواردَهُ قــلائِدُهُ   وَيْلاهُ ذا خَصِمٌ وذا خَصِرُ(٤)
لم أُحْصِ كم عانقتُ قامتــه   فتكسرت من ضمِّىَ الدُّرَرُ
أَصَبَرْتَ(٥) حتى يوم فرقتــه   يا قلبُ ! والتحقيقُ يا حَجَـرُ

وورد إليه الخبر بوفاة الأسعد ولد الشيخ الأجل السديد علم الرؤساء ، فقال يرثيه و يعتذر إلى والده من تأخير الرثاء بحكم اشتغاله بأحوال السفر ، ونفذ إليه من حلب :

أصبحتُ بعدك فى الحياة كفانِ   وقد اكتفيتُ ولا أقولُ كفانِى

(١) رواية ت : تزهى بها الآصال والبكر .
(٢) البدرة والصرة : كيس النقود .
(٣) الزند : حجران تستخرج منهما النار بحكهما .
(٤) الخصر : البارد ، والخصم : الجادل ويريد هنا بالخصام التمنع .
(٥) هكذا فى ت ، وفى الأصل : أبصرت .

أبكى فتجرى مهجتى فى عبرتى   فكأنَّ ما أجريتُهُ أجرانى
وتحمِّ[1] أنفاسى ولمَّا يُنْجِهَا   دمعٌ هو البحرانُ[2] بل بحرانِ
نسخت وفاتُكَ أدمعى فلكم جرت   كالدرِّ وهى اليوم كالمرجان
لا بل هى العِقْيانُ سالَ وإنما   أبكى العزيزَ علىَّ بالعِقيان
قد سِلْنَ ألواناً ليعلمَ أننى   فى حمل فرص الحزن غيرُ الوانى
وافانىَ الناعى لكى ينعاكَ لى   ومضى على أدراجه ينعانِى
وغَزا[3] وجيشُ الرزء من أعوانه   وبرزتُ والإعْوالُ[4] من أعوانى
لا أدَّعى أن النعىَّ أصمَّنِى   فيمنْ أصمَّ وإنما أصْمَانى[5]
يا ثالثَ القمرين حُسْناً قد بكى   حُزْناً لأجلِ مُصَابك القمران
دينارُ وجهك حين أُهْبِطَ فى الثرى   كادت تفرُّ الشمس للميزان[6]
وسيوفُ برقِ الجوِّ لما أغمدت   صفحاتُ ذاك الوجه فى الأكفان
وَدَّتْ لو انغمدتْ ولكن تغتدى[7]   هامُ العدا بدلاً من الأجفان
يا تُرْبُ ما أنصفتَ نضرة غصنه   أكذا صنيعُ الترب بالأغصان
غُصْنٌ فنونُ الطرفِ فى أفنانه   تعلو على الجانى وهنَّ دَوَانى
تستوقفُ الرائى معانى حسنه   عجبًا بها فكأنهنَّ مغانى[8]

(١) تحم : تسخن .
(٢) البحران : من قولهم دم باحر وبحرانى : أى خالص الحمرة .
(٣) هكذا فى الأصل ، وفى ت : غدا .
(٤) هكذا فى ت ، وفى الأصل : والأعوان .
(٥) أصمى : رمى فقتل .
(٦) الميزان : أحد البروج الإثنى عشر التى تتنقل فيها الشمس .
(٧) يريد أن هام العدا تصبح أجفاناً بدلا من أجفان السيوف .
(٨) هكذا فى ت و ج ، وفى الأصل : معانى ، والمغانى : جمع مغنى ، وهو المنزل غنى بأهله ثم فارقوه .

كم مادَ من سكرِ الشباب فهل درَى   أنا نميد بسَكْرَةِ الأشجان
قد كان يرفل فى ثيابِ شبيبةٍ   أردانُها طَهُرَتْ من الأدْرَانِ(١)
جمعت خلائقهُ له وصفاتهُ   حِلْمَ الكهول ويَقْظَةَ الشبّان

ومنها :

أصبحتُ مثلكَ مُفْرَدًا متغربًا   مُقْصًى عن الأحبابِ والأوطان
والفرقُ أنك فى الجِنانِ وأننى   من أجلِ فقدك صرتُ فى النيران
قد كنت أحملُ همَّ بينٍ واحدٍ   فأتت وَفَاتُكَ لى ببينٍ ثان
كيف اصطبارى من فراقٍ واحدٍ   وقد افتضحتُ من الفراقِ الثانى
وتسوء فرقةٌ من تحبُّ ولا يُرَى   شىءٌ يسوء كفرقة الأقران
صبرى وموتُكَ فى حشاى كلاهما   مُرَّانِ مثلُ أسنَّةِ المُرّانِ(٢)
أوسعتُ فيك الدهر عتبًا مؤلمًا   فأجابنى بالبَهْتِ والبُهْتَان
قلبى يحاسِبُهُ على إجرامهِ   ويَعُدُّها بأنامل الخفقان
غيرى هو السالى وإنى قائلٌ   / ما أقبحَ السلوان بالإخوان   [٤٦ و]
فلئن سلوْتك ناسيًا لا قاصدًا   فالذنب للنسيانِ لا السلوان

ومنها :

يأيها المولى السديدُ ومَنْ غدا   أوْلى الورى بالصبرِ والإيمان
صبراً جميلاً يَقْتدى قلبى به   فهو المُعَنَّى بالهموم العانى
واللهُ يعلمُ ما حوته جوانحى   مما دهاك وما أَجَنَّ جنانى
ولئن غدا منى الرثاء مؤخرًا   من أجلِ شغلِ القلب والأحزان(٣)

(١) هكذا رواية الشطر فى ت ، وروايته فى الأصل هكذا : أردانها بزت من الأردان .
(٢) المران : جمع مرانة وهى الرماح اللدنة الصلبة .
(٣) الشطر فى ت هكذا : من أجل شغل الذهن بالأحزان .

فلقد رَثَتْ عينى بنظمِ مدامعى — وأرى الدموعَ[1] مراثىَ الأجفان
لم يَرْثِه منى لسانٌ واحدٌ — لكن رَثَتْ بمدامعى عينان
خدى كطِرسى والمدامعُ فوقه — شِعْرى وإنسانى كمثل لسانى
ولقد علمتُ قصورَ ما قد قُلْتُه[2] — فأردت أُودِعُهُ حَشَا كتمانى

ولا نذكر البيت الأخير[3] لأن فيه نقصَ دين وضعفَ إيمان وقلّة توفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال مستوحشاً من صديق جرت عادته بالاجتماع معه فى مُتَنَزَّهٍ له :

جلستُ ببستانِ الجليسِ ودارِهِ — فهيّجَ لى ممن تناسيتُهُ ذِكْرا
وسُقِّيتُ شمسَ الكاسِ ساعةَ ذكره — فلم تستطع فى ليل همّىَ من مَسْرَى
فيا ساقىَ الكاسِ التى قد شربتُها — رويدكَ إنَّ القلب من أُمّةٍ أُخرى
ولو وُصِلَتْ سودُ الليالى بشَعْره — لما خَشِيَتْ من غير غُرّتِهِ فجرا
تذكرتُ وَرْدًا للمليحِ مُحَجَّبًا — يمدُّ عليه ظلٌّ أهدابه سِتْرا
فصرتُ أُجازى القلبَ من أجلِ ذكره — فيقتلنى ذكرى وأقتلُهُ صبرا
أُقَبِّلُ ذاكَ الظلَّ أحسبه اللَّمى — وألثم ذاكَ الزهرَ أحسبه الثغرا
وكم لائمٍ لى فى الذى قد فعلته — وكم قائلٍ دَعْهُ لعلَّ له عذرا
لأجلك يا من أوحش العينَ شخصه — أَنِسْتُ لسُهْدٍ يمنع العينَ أن تكْرَى
وقاسيتُ منك الغدرَ والهجرَ والقِلَى — وأنفقتُ فيك الشعر والعمر والدهرا
وأفلسَ طرفى حين أنفقَ دمعَهُ — فأجرى فى دمعًا يُسمُّونَه شِعرا

---

(١) هكذا فى ت وفى الأصل : الربوع وهو تحريف .
(٢) هكذا فى ت وفى الأصل : ولقد علمت قصوره ما قلته .
(٣) جاء البيت فى ت ولكنه محرف ومضطرب فى الشطر الثانى ، وتبدو فيه مقارنة بين الرثاء بشعره والقرآن الكريم ، ولعل ذلك ما جعل العماد يصفه بما وصف .

وفارقتُ عِزًّا بالشآم لألتقى   بمصرَ الذى من أجله فضّلوا مصرا
لئن طبتُ فى مُستَنْزَهٍ لم تكن به   فلا زلتُ ألقى عندك الصدَّ والهجْرا
ولو كنتُ فى عَدْنٍ[١] وكنتَ بغيرها   — وحوشيتَ — آثرتُ الخروجَ إلى برّا
ولو كنتَ فى بُصْرى[٢] وحُبُّكَ لم أقلْ   أيا بَصَرى لا تنظرنَّ إلى بُصْرى

وهذا المصرع الأخير هو مبتدأ أبيات كان عملها عند عبوره على بُصْرَى :

أيا بصَرى لا تنظرنَّ إلى بُصْرَى   فإنى أرى الأحبابَ فى بلدة أخْرَى
وما بلدةٌ لم يسكنوها ببلدةٍ   ولو أنها بين السِّماكين والشِّعْرَى
وما القفرُ بالبيداء قفرٌ وإنما   أرى كلَّ دار لم يكونوا بها قفرا
تذكرتُ أحبابى وإنى لمؤمنٌ   ولكن أرانى ليس تنفعنى الذكرى
لقد ضرَّنى البين المُشِتُّ ومزَّنى[٣]   فيالكَ بيْناً ما أضرَّ وما أضْرَى
أأهبطُ من مصرٍ وقدما قد اشتهى   على الله أقوامٌ فقال اهبطوا مِصْرا
وكم لى بها دينارُ وجهٍ تركتُهُ   ورائى أفعينى [بعده[٤]] تشتكى الفقرا
فوالله ما أشرى الشآمَ ومُلْكَهُ   وغوطتَهُ الخضرا بشِبْرَيْنِ من شُبْرا
فإن عدتُ والأيامُ عُوجٌ رواجعٌ   لقد أنشأتنى قبلها النشأةَ الأخرى

وقال :

يا عاطلَ الجيد إلا من محاسنهِ   عَطّلْتُ فيكَ الحشا إلا مِن الحزَنِ
فى سلكِ جسمىَ دُرُّ الدمع منتظمٌ   فهل لجيدكَ فى عِقْدٍ بلا ثمنِ
لا تخشَ منى فإنى كالنسيمِ ضَنًا   وما النسيمُ بمخشىٍّ على غُصُنِ

(١) عدن : جنة عدن .
(٢) بصرى : من أعمال دمشق وهى فى كورة حوران .
(٣) مز : من شرب المز ، وهو الحامض .
(٤) زيادة من ت ، وقد سقطت فى الأصل .

وقال :

ظبیٌ بمصر[1] نسيتُ مِنْـــه عناقَ غزلانِ العراقِ
ورشفتُ راحَ رُضَابِهِ لكنّه حلوُ المَذَاقِ
فإذا أتانیْ عاطلاً حَلّتْهُ لی دُرَرُ المآقی
وإذا تأطَّرَ قَدُّهُ فأنا المثقِّفُ بالعناق
يا حســنَ أيامی به لو أن أيامی بَوَاقی
بالله يا قمــرَ الورى مَن خصّ خَصْرَكَ بالمحاق
وعلامَ يَغْلُظُ سِلْكُ خُلْــقِكَ معْ حواشيك الرقاق
كم يعذلون على اَلخــلاعى فی وصالك[2] وأنهراقی[3]
ودواء ما تصبو إليْـــهِ النفسُ تعجيلُ الطلاق[4]

وقال :

كم لنا من خُلَسٍ فی الغَلَسِ خُلَسٌ تمّتْ برغم الحــرسِ
نلتُ فيها عَسَلاً من لَعَسٍ[5] آه واشـوقی لذاك اللعس
قد تنفستُ فهل عنــدكمُ أنَّ نفْسی خَرَجَتْ من نَفَسی

وقال فی بستانه :

يأيهـا البستانُ إنْ حصّلْتَ لی من صرتُ مخمورًا بكاس مِكاسه[6]

---

(١) هكذا فی ت وفی الأصل : من الترك ولا يستقيم معها الشعر .
(٢) هكذا فی ت وفی الأصل : وصال .
(٣) الانهراق : من هرق الماء إذا صبّه .
(٤) فی ت : الفراق .
(٥) اللعس : السواد فی الشفة .
(٦) المكاس : التشاحّ فی البيع .

/ لأحلّينّكَ من بهـــاء جبينه ولأخْلَعنّ عليك من أنْفاســه [٤٦ ظ]

وقال فى الخمر :

عروسكمُ يا أيها الشَّربُ طالقٌ وإن فَتَنَتْ من حسنها كلَّ مجتلِي
دفعتُ لها عقلى ودينى مقدمًا فقالت وجنّاتُ النعيمِ مُؤَجَّلِي

وقال فى جارية فى خدها ماسور (١) :

بنفسى فتاةٌ يكتبُ الغصنُ إنْ مَشَتْ إلى قَدِّها المياس : من عبـد عبدها
ولى جَسَدٌ مازال مأسـورَ صدها إلى أن حكى فى السقم ماسورَ خدِّها
أشْبَهُ ذاكَ الخدَّ منهــا بجمرة وشابورة الماسْــور طابَعُ نَدِّها

وقال يمدح الأجل الفاضل ويشكره على عيادته له فى مرضه :

رأيتُ طرْفَكَ يوم البين حين هَمَى (٢) والدمع ثغرًا وتكحيلَ الجفون لمَى
فاكففْ ملامك عنى حين أَلْثمـه فما تشككتُ أنى قد رأيتُ (٣) فما
لو كان يعلـمُ مَعْ علمى بقسوته تألَّمَ القلبِ من وخـزِ الملام لَمَا
رنا إلىَّ فقال الحاســدون رنا وما أقول رنا لـكنْ أَقـولُ رمى
رمى فأصمى ولو لم يرمِ متُّ هوى أما ترونَ نحـولى فى هواه أما
وبات يحمى جفونى من طروقِ كرًى ولم أرَ الظبى منسوبًا إليــه حِمَى
وصاد طائرَ قلبى يومَ ودَّعنى يا كعبةَ الحسن مُذْ أَحْلَلْتِهِ حَرَمًا
يا كعبــةَ ظلَّ فيها خالُها حجرًا كم ذا أطُوفُ ولا ألقاه مُستلِما
مذ شفَّ جسمىَ من نار الغرام ضنًا لاح الشعاعُ على خديه مُضطرِمَا

(١) المـاسور : يظهر أنه ندبة .
(٢) هكذا فى ت و ج وفى الأصل : حمى .
(٣) هكذا فى الأصل وفى ت و ج : لثمت

وشفَّ كأسُ فمٍ منـــه لرقّتِهِ فلاح فيه حبابُ الثغـــر منتظما
يا كسرةَ الجفن لِمْ أسمَوكِ كسرته وجيشُـــهُ بك للأرواحِ قد غنما
وكم[1] أغرْتِ على الأرواح ناهبةً إن كان ذلك عن جُرْمٍ فلا جرَما
مولاكِ فاق ملاحَ الخلق قاطبـــةً فهو الأميرُ وقد أضحَوْا له حشَما
أقولُ والريحُ قد شالت ذؤابتـــهُ أصبحتَ فيهم أميرًا أم[2] لهم علما
شـكرتُ طيفكَ فى إغبابِ زورته لأن مثـــلىَ لايستسمنُ الورَما
ولستُ أطلبُ منـــه رِفْدَهُ أبدًا لأنَّ ذا الحِـلْمِ لا يسترفد الحُلُما
لـكنَّ عهدًا قديمًا منكَ أطلبه وربمـا نُسِىَ العهـدُ الذى قدُما
وازداد حبُّـك أضعافًا مضاعفةً وربمـا صَغُرَ الشىء الذى عظما
ولستُ أنكرُ لاريْبًا ولا تُهمًا من يعرفِ الحب لا يستنكرِ التُّهما
ولستُ أتبِعُ حـبى بالملام كما لا يُتبِــعُ ابنُ علىٍّ برَّهُ ندما
ذاكَ الأجلُّ الذى تلقى منـــازله فوق السماء وتـلقى داره أَمَما[3]
أغنى وأقنى وأعطى سُؤْلَ ســائله وأوجدَ الجود لما أعدم العَـدَما
وقصَّرَ البحرُ عنـــه فهْوَ مكتئبٌ أما تراه بكفَّىْ موجِـهِ التطما
وولَّتِ السحبُ إذْ جارتْهُ باكيـةً أما ترى الدمعَ من أجفانها انسجما
ولو رأى ابنُ[4] أبى سُلْمى مواهبهُ رأى جَدًا هَرِمٍ مثلَ اسمـــه هرِما
ولو أعارَ شمامًا[5] من خلائقه حِلْمًا[6] لأبصرت فى عرنينـــه شمما

(١) فى ت : ولِمْ . (٢) فى ت : بل .
(٣) الأمم : القريب الذى يؤم ويقصد .
(٤) ابن أبى سـلمى : زهير الشاعر الجاهلى المشهور ، وهرم هو هرم بن سنان الذبيانى المرى الذى خصه بمدائحه .
(٥) شمام : جبل فى الجزيرة العربية يكثر الشعراء من ذكره فى أشعارهم .
(٦) فى الأصل : علماً .

ومذ رأيتُ نفاذًا فى يراعتـــه   رأيتُ بالرمح من أخبـــارها صمما [(١)]
إذا امتطى القلمُ العـــالى أناملَهُ   حلَّى الطروس وجلَّى الظُّلْمَ والظُّلَمَا
قضى له الله مذ أجرى له قلمًـــا   بالسَّعْدِ منـــه وقد أجرى به القلما
ذات العماد يمينٌ قد حوت قلمًـــا   هو العماد لمُلْكٍ قد حـــوى إرَمَا [(٢)]
يُريكَ فى الطرس زُهْرَ [(٣)] الأفقِ زاهرةً   وقد ترى فيـــه زَهْرَ الروضِ مبتسما
ويرقمُ الوشىَ فيـــه من كتابتهِ   وما سمعنا ســـواه أرقمًا [(٤)] رقما
ســـطورُهُ ومعانيه وما استترتْ   هُنَّ الستورُ وهـــذى خَلْفَهُنَّ دُمَى [(٥)]
تبرَّجَتْ وهى أبكارٌ ومن عجبٍ   أن التخفُّـــرَ من أمثالها ذُمِما
فخرًا لدهرٍ غـــدا عبدُ الرحيم به   بالأمرِ والنهى يبدى الحُكْمَ [(٦)] والحِكَمَا
أسمى الورى وهو أسناهم يدًا وندىً   وأوسع الناس صـــــدراً كما سَمَا
وأعْرَقُ [(٧)] الخلقِ فى استيجاب رتبتـــه [(٨)]   وأقدمُ النـــاس فى استحقاقها قدما
كساه ربُّكَ نورًا من جلالتـــه   يَلقى العـــدوَّ فيكسو ناظرَيْه عَمَى
يلوحُ فى الصدرِ منه البدرُ حين سمـــا   والغيثُ حين همى والبحرُ حين طما
يُغضى حياءً ويُغضَى من مهابته   فـــا يُكَلَّمُ إجـــلالاً إذا ابتسما

---

(١) هو من وصفهم الرمح بأنه أصم ، وهو الصلب .

(٢) يشير إلى قصة عاد والبلدة التى كانت تنزل فيها أو الجبال على نحو ما جاء فى القرآن الكريم إذ يقول جل وعز : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد » .

(٣) زهر الأفق : النجوم .   (٤) الأرقم : الثعبان والحية .

(٥) هكذا الشطر فى ت و ج وفى الأصل هكذا : بين السطور وهذى خلفهن دمى .

(٦) هكذا فى ت وفى الأصل : الحلم .

(٧) هكذا فى ت وفى الأصل : وأعرف .

(٨) الشطر فى ت : وأعرق الناس حقا فى رياسته .

هذا البيت تضمين(١) :

لما عَلِقتُ بحبلٍ من عنايتــــه   صالحت دهرى ولم أَذْمُمْ له ذِمَما

وحين طالع طرفى سعدَ طلعتِهِ   رأيتُ نجمىَ فى أُفْقِ العُلَا نَجما

وكان قدمًا ذوو الأقدارِ لى خَدَمًا   فصرت منه أرى الأقدارَ لى خدما

يا أيها الفاضلُ الصدِّيقُ منطقُهُ   إنى عتيقك والمقصودُ قد فُهِمَا

أَعـددتَ للعبدِ لما جئتَ عائدَهُ   روحًا وأهلكتَ من حساده أُمَما

[٤٧ و] تركتهمْ لىَ حُسَّادًا على سَقَمى   / وكم تمنَّوْا لىَ الأدواء والسَّقَما

نقلتَ شانى إليهمْ ثم قلتَ لهمْ   لا تَسْلَمُوا إنَّ هذا العبدَ قد سلما

تفضُّلٌ منـكَ أعلى بينهمْ قِيَمى   ومنــــةٌ منك أَغْلَتْنِى لهمْ قِمَا

هبْ لى مِنَ القولِ ما أثنى عليكَ به   أَوْ كُفَّ كَفَّكَ عن أَنْ تُشْكِىَ الديما

ومنها :

شكرى لنعماكَ دينٌ لى أدينُ به   والـكفرُ عندى أَنْ لاأشكرَ النِّعَما

وقال :

إنه مالَ وملاّ   فأتى الطيفُ وسَلَّى

عاطلاً حتى لقد عا   دَ من اللثم مُحَلَّى

كنتُ فى تقبيلىَ الطيـ   ـفَ كمَنْ قبَّلَ ظِلَّا

وله من قصيدة :

عثرتُ ولـكنْ فى ذيولِ دموعى   ونمتُ ولـكنْ عن لذيذ هجوعى

وكاد فؤادى أنْ يطيرَ صبابةً   لقانِصِه لولا فِخاخُ ضلوعى

(١) يشير إلى أن البيت مقتبس من بيت الفرزدق المعروف :

يغضى حياء ويغضى من مهابته   فما يكلم إلا حين يبتسم

وقال يهجو :

عبدٌ لعبـــــــد الله أعرفه ما زال مسكُ صُنانِهِ صائكْ
يخلو به فيودُّ من كَلَفٍ لو أنَّهُ ... أستِه لائك
ولقـد يكونُ . . . بينهما والله يعلمُ من هو . . .

وقال :

أما وهواك لولا خوف سخطكْ لهان على محبك أمر رهطكْ
ملكت الخافقين فتهت عجبا وليس هما سوى قلبي وقرطك

٥ — الأسعد أبو المكارم

*أسعد بن الخطير بن مهذب بن زكريا بن مماتى

أحد الكتاب فى الديوان الفاضلى ، ذو الفضل الجلى ، والشعر العلىّ ، والنظم السوىّ ، والخاطر القوىّ ، والسحر المانوىّ[١] ، والروىّ الروىّ ، والقافية القافية أثر الحسن ، والقريحة المقترحة صورة اليُمْن ، والفكرة المستقيمة على جَدَد البراعة ، والفطنة المستمدة من مَدَد الصناعة . شابٌ للأدب رابٌّ[٢] ، وعن الفضل ذابٌّ ؛

(١) كان ناظراً للدواوين المصرية ، وأصله من نصارى أسيوط ، وكان آباؤه مكرمين فى الدولة الفاطمية ، وكانوا يعملون فى دواوينها ، ولما ولى أسد الدين شيركوه الوزارة كان الخطير والده على ديوان الإقطاعات ، وكان لا يزال على دين المسيحية ، فصرفه أسد الدين عن الديوان فبادر هو وأولاده ، فأسلموا على يده ، فأقره أسد الدين ، ولما مات خلفه ابنه الأسعد على ديوان الجيش ، ثم أضيف إليه ديوان المال ، وحظى عند القاضى الفاضل ، ولم يزل على ذلك حتى ولى العادل بن أيوب الديار المصرية ، واستوزر الصفى بن شكر ، وكان بينه وبين أسعد حقد أثناء رياسته عليه فى الديوان ، فأكثر عليه من المؤامرات والدسائس ، وطالبه بكثير من الأموال فاستتر ابن مماتى مدة ثم هرب إلى الشام ، ونزل حلب على ملكها الظاهر بن صلاح الدين فأكرمه ، وما زال فى رعايته حتى توفى سنة ٦٠٦ هـ ، وعمره اثنتان وستون سنة . انظر ترجمته فى معجم الأدباء ٦/ ١٠٠ وابن خلكان ١/ ٩٥ وتاريخ ابن كثير ١٣/ ٥٣ وحسن المحاضرة ١/ ٢٤٢ وشذرات الذهب ٥/ ٢٠ ومسالك الأبصار الجزء الثانى عشر الورقة ٥٨ والمغرب نسخة الجامعة العربية الورقة ١١٩ وخطط المقريزى طبع بولاق ٢/ ١٦٠ .

(١) المانوى : نسبة إلى مانى . (٢) راب : مالك

وهو من شملته العناية الفاضلية ، [و] حَسُنَتْ منه البديهةُ والروية .

اجتمعت به فى القاهرة وسايرنى فى العسكر الناصرى وأنشدنى من نظمه المعنوى ، ما ثنيت به خنصر الاستحسان ، وأذنت لجواده فى الإجراء فى هذا الميدان . وأثبتُّ منه كلَّ ما جلا وحلا ، وأشرق فى منار الإحسان وعَلاَ ، وراج فى سوق القَبُولِ وغَلاَ . فمن قوله يصف الخليج يوم فتحه[1] بالقاهرة :

خليجٌ كالحسام له صِقَالٌ ولكن فيه للرائى مَسَرَّهْ
رأيت به المِلاحَ[2] تجيدُ عوماً كأنهمُ نجومٌ فى المجرَّهْ

وقوله فى غلام نحوى :

وأهيفٍ أحدثَ لى نحوُهُ تعجباً يُعْرِبُ عن ظَرْفِهِ
علامةُ التأنيثِ فى لفظه وأحْرُفُ العلة فى طَرْفِهِ

وقوله فى غلام خياط :

وخَيَّاطٍ نظرتُ إليه مفتوناً بنظرتهِ
أسيل الخدِّ أحمره بقلبى ما بوجنته
وقد أمسيتُ ذا سقَمٍ كأنى خيط إبرته
وأحسدُ منه ذاك الخيط فاز برىِّ رِيقتهِ

قال : هذا البيت الأخير للسديد أبى القاسم[3] الكاتب . ولابن مماتى هذا فى قصيدة عملها هذا السديد لاميةٌ مفيدة أوردتها فى شعره :

تبكى قوافى الشعر لاميةً بَيَّضْتَهَا من حيث سَوَّدْتَهَا
لما علا وسواسُ ألفاظها ظننتَها جُنَّتْ فقيدْتَهَا

---

(١) هذا ما يسمى فى كتب التاريخ باسم كسر الخليج .

(٢) فى نسخة المغرب : الصغار .

(٣) هو عبد الرحمن بن هبة الله بن رفاعة الذى تقدمت ترجمته .

وقال :

أراكُمُ كحباب الكأسِ منتظمًا   فما أرى جمعكمْ إلا على قدَحِ

وقال :

لقد مرَّ لى فى مصرَ يومٌ وليلةٌ   هما فى مُحَيَّا الدهرِ كالسِّحْرِ فى الطَّرْفِ
وما فيهما واللهِ عيبٌ وإنما   تولاهما عُجْبٌ فذابا من الظَّرْفِ

وقال :

ماصرت أجسرُ أن أبكى لفرقتهمْ   لأنهم زعموا أن البكا فَرَجُ

وقال :

أحبابَنا والذى يقضى بألفتِنا   بعد الفراقِ ويُخْلِينا من الفَرَق
ما زلتُ أخبط فى عشواء مظلمةٍ   من بعدكمْ وأبيعُ النومَ بالأرق
حتى ثويتُ بنارِ الشوق فى حُرَقٍ   وصرت أُشْرِفُ من دمعى على الغَرَقِ
فتعونى ولو ليلاً بطيفكمُ   مادمتُ أقدرُ من روحى على رَمَقِ

وقال فى ذم العذار :

إذا طلع العذارُ فقد فقدنا   لذاذةَ عيشنا الأَرِجِ البهيج
لأنَّ الغصنَ لايخضرُّ حتى   يصيرَ بأصله مثلُ الوشيج(١)

وقال يصف البق :

تكاد بقرصِ البقِّ تتلفُ مهجتى   إذا لم أُجِدْ من ثوب جلدى التخلُّصا
/ ومن أعجب الأشياء فى البقِّ أنها   على الجسم سُمَّاقٌ(٢) وتُنبِتُ حِمَّصا [٤٧ ظ]

---

(١) الوشيج : جمع وشيجة وهى عرق الشجرة والليف على جرثومتها .
(٢) السماق : ثمر .

ونظمتنى وإياه سفرة فى خدمة الملك الناصر إلى ثغرى دمياط والإسكندرية فوصلنا إلى تُرَعٍ وخلجان ومَخَاضاتٍ وغُدْرَانٍ فقال بديهًا :

لو أطلق الدمعَ مشتاقٌ ومدَّ كرًى ... لمن يحب لأشْفَيْنَا على الغرَقِ
لكنما هذه الخلجانُ مُتْأَقَةٌ (١) ... لأنها رَشْحُ ما يَغضِى من الحْدَقِ

وأنشدنى لنفسه أيضاً قوله وقد ألم بذم العذار :

ياعاذلى ، جلَّ نارى ... من خدِّه الجُلّنارِى (٢)
وريقه كشرابٍ ... معتَّقٍ ذى شرار
ولحظه فىَّ أمضى ... من الِحْرَابِ الِحْرَار (٣)
كالريم ريمَ لصيدٍ ... فصارَ حِلْفَ حِذَارِ
يهوى الدنانير لما ... تشابهتْ بالبهار (٤)
وإن رأى قلبَ صبٍّ ... رعاه رعى العَرار (٥)
وليس ربَّ عذارٍ ... يطولُ فيه اعتذارى
إن (٦) الغرام صَغَارٌ ... مالم يكن بالصِّغَار

ومنها فى المدح :

له يسارٌ (٧) يمين ... إزاء يُمْنٍ يسارِ

وقال فى وصف مخدَّة فى بيت ابن سناء الملك :

وسادةٍ لَمَحَتْ عينى بدارهمُ ... وِسَادةٌ رُقِمتْ أمنًا من الأَرَقِ

---

(١) متأقة : ممتلئة .
(٢) الجلنار : زهر الرمان .
(٣) الحرار : الصلبة ، والمختارة .
(٤) البهار : نبت طيب الرائحة
(٥) العرار : نبت صحراوى رائحته حسنة .
(٦) فى الأصل : إذ .
(٧) اليسار : الغنى .

حكمُ السرور بها يقضى السكونَ لها ... كأنها عُوذَةٌ من جِنَّـةِ الفلق (١)
أَحْسِنْ بها روضةً ليس النسيم بها ... ولا المياهُ سوى الأنفاسِ والعَرَقِ
يحيا بناظرها (٢) إنسانُ ناظرها ... ففى حديقتها مَنٌّ عَلَى الحـدق
لولم تكن سَرَقَتْ من وجه مالكها ... محاسنًا ظهرت ، لمْ تدعَ بالسَّرَق (٣)

وقال مما كتبه إلى السديد علم الرؤساء أبى القاسم ، وكان قد اقتضى منه ديوان رسائله ، فاعتذر إليه بالخوف من نقده :

إن قلبى من شقة البين يخشى ... وفؤادى من شِقْوَة البين يَخْشَعْ
ومقامى يقضى بطولِ سقامى ... إذْ لحاظى من قبلِ تطمحُ تَطْمَعْ
وغُدُوِّى فيما يَسُرُّ عـدوّى ... ويُريه من القِلَى ما توقَّعْ
ولقد عِيلَ فى الصبابة صبرى ... فإلى كم أسيرُ فى غير مَهْيَع (٤)
أنا صبٌّ بغادةٍ تشبه الطا ... ووس إذ كان حسنها يتنوَّع
ذاتُ لفظ كأنه (٥) ثغرها الأشـ ... ـنبُ لو أنّ دره يتجمـع
لى من عُجْبها رقيبٌ قريبٌ ... فهى [فى (٦)] كلَّ حالةٍ تتمنع
مَنَعَتْ طيفهـا الزيارةَ حتى ... صرتُ من منعها [له (٧)] لستُ أهجع
واستقلَّتْ دمعى غداةَ استقلّتْ ... بجمالٍ فقلت لو كان ينفـع
هو منى دمٌ جرت معـه العيـنُ ... فقالوا دمعٌ لأنىَ أجزع
ثم وَلَّتْ (٨) سُقْمًا علىَّ وولّت ... وفؤادى مما تصـدّى تصدّع

---

(١) الفلق : الصباح . (٢) الناظر هنا : الأكمة .
(٣) السرق : شقق الحرير الابيض أو الحرير عامة .
(٤) المهيع : الطريق الواضح .
(٥) فى الأصل : كأنها ، والأشنب : الثغر فيه رقة وبرد وعذوبة .
(٦) ساقطة من الأصل .
(٧) ساقطة من الأصل . (٨) ولت : سلطت .

قلت إلا وقفتِ يا شمسُ للصبِّ فقالت هيهاتِ ما أنت يوشَعْ(١)
وغرامى [بها(٢)] كفضلِ أبى القا سم فى كلِّ ساعة يتفرَّع
كم أرانا الرياضَ فى لفظه النثـ ـر فخلنا دروجه(٣) تتوشع(٤)
وسقانا مُدامَ معنًى بديعٍ فى قريضٍ مُصرَّعٍ بل مرصَّع
فشكرنا لما سكرنا فلم يلـ ـو علينا لأنه قد ترفَّع
ولثمنا التراب بين يديه وسألناه حاجةً فتمنَّع
فلحى الله واشيًا وعذولاً وبغيضًا وكاذبًا يتصنَّع
وإذا صار بالجفاء مُضيعًا من عقودِ الولاء ما صانَ أجمع
فخطابُ العتاب بالكافِ(٥) كافٍ لو تدانى أو كان يسمحُ يسمع
أنت يأيها السديد أبا القا سم فى بَذْلِكَ الندى لست تقنع
فلأىِّ الأمور تبخلُ باللفـ ـظِ على خادمٍ يناديك يخضع
وهو نورٌ يسعى أمامك كالصبـ ـح ونارٌ فى وجه ضِدِّك تسفع
وحسامٌ مُهنَّدٌ مُطْلَقَ الحـ ـدِّ جُرازٌ(٦) متى تُجرِّدْهُ يقطع
لم يزل ثابتًا على الود جَلْدًا وخطيبًا بشكر فضلك مِصقَع
وهو ممن إذا عراه مُلِمٌّ ما له غير حسنِ رأيك مَفْزَع
أتوهَّمتَه يُغيرُ على لفـ ـظك مع أنَّ غيرَهُ منه أوسع
وعلى أنه وحقِّك لم يرْ ضَ بما لم يكن له يَتَشَيَّع
وعصيتَ الودادَ فى طاعة العذ ل ولم تُلْفِ عنده قط مطمع

(١) يوشع : صاحب موسى عليهما السلام ، وفى الأثر أن الشمس تأخرت عن مغيبها له .
(٢) ساقطة من الأصل .
(٣) فى الأصل : درجة ، والدروج : جمع درج وهو الذى يكتب فيه .
(٤) تتوشع : من توشعت الأشجار أى أزهرت .
(٥) الكاف : يريد خطابه بالإفراد لا بالجمع .
(٦) جراز : قاطع .

فإذا كنتَ قد وصلتَ لهذا   وهو مما يصيِّرُ القلبَ بَلْقَع
لا تكنْ للعدا نصالَ سهامٍ   مصمياتٍ فليس فى القوسِ منزع
وتفضَّلْ بسَتْرِ ما ساقه الوز   نُ بهذى القصيدِ ياخيرَ أروع
فهْىَ قد قُيِّدَتْ لتثبت فى الطر   سِ لئلا تسيرَ من قبلِ تسمع
ولو أنَّ العتابَ أُطْلِق فيها   لغدَتْ أجْبُلُ القُوَى تتصدع
/ وعلى كل حالةٍ فأنا العبـــدُ الذى مَلْكُ حسنه فيه يشفع   [٤٨ و]

ونزلنا ببركة الجب لقصد فرض الجهاد ، وعرض الأجناد ، فكتب الأسعد ابن مماتى إلىّ أبياتاً فى الملك الناصر ، وتعرّض للشطرنج فإنه كان يشتغل به فى ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين :

يا كريمَ الخِيمِ(١) فى الخيَمِ   أهيفٌ كالرئمِ(٢) ذو شيم
عجَبى للشمس إذ طلعتْ   منه فى داجٍ من الظُلَم
كيف لا تُصْمى لواحظه   ورماةُ الطرف فى العجم(٣)
لا تصدْ قلبَ المحب لكم   ما يحلُّ الصيدُ فى الحرَم
يا صلاحَ الدين يا ملكاً   مذ براهُ الله للأُمَم
أضحتِ الكفارُ فى نِقَمٍ   وغدا الإسلامُ فى نِعَمِ
إن يكُ الشِّطْرِنج مشغلةً   للعليِّ القــدْرِ والهمم
فهْىَ فى ناديك تذكرةٌ   لأمورِ الحرب والكرم
فلكم ضاعفتَ عِدَّتَها   بالعطاء الجمّ لا القلم
ونصبتَ الحرب نصبتها   فانثنتْ كفاك بالقمم
فابقَ للإسلام ترفعُهُ   وأمْرِ الأقدارَ كالخدم

(١) الخيم : الخلق والشيمة .   (٣) الرئم : الظبية الخالصة البياض .
(٣) يشير إلى مهارة العجم فى رمى السهام .

وقال فى الملك الناصر :

إن كنتَ تنكر ما أقولُ　　فالسهدُ يشهدُ والنحولُ
وهما لديك من العذو　　لِ فكيف يمكنك العدول
يا صعدةً(١) أنفاسىَ الصُّ　　عَداء منهـا والذبولُ
ومهنداً فى القلب منـ　　ـه على محبتـه فلولُ
إن كثَّرَ الواشون فيـ　　ـك فقد تجنَّبكَ العذول
ولئن بخلتَ بريقٍ فيـ　　ـك ففى شمائله الشَّمُول(٢)
أو صرت معتزلىَّ فإنْـ　　ـنَ الفكرَ يُعجبه الحلولُ(٣)
إنَّ(٤) الغزالةَ كالغزا　　ل وكالنفورِ هو الأُفول
فإلامَ لا يَشْفى الغليـ　　ـلَ بزورةٍ منك العليل
والصبرُ أقصر ما يكو　　ن إذا الصدودُ بدا يطول
كم حِيلَ بين تجلُّدى　　والقلب إذ حضر الرحيل
وهَمَتْ جفونى بالنجيـ　　ـع كأنما طرفِى قتيل
فاعجب لدمعٍ كيف يظـ　　ـمر والنفوس به تسيل
يا قاضياً بهواه فىَّ　　وذلك الدَّلُّ الدليل
فيك الجمالُ كما مليـ　　ـكُ زماننا فيه الجميل
الناصرُ الملك الرءو　　فُ الأروعُ الورِعُ المُنيل
مَلِكٌ إذا عَصَتِ الحصو　　نُ سواه كان له الحصول

(١) الصعدة : النبتة المستوية لا تحتاج إلى تثقيف .
(٢) الشمول : الخمر .
(٣) مذهب بعض غلاة الشيعة وبعض الصوفية إذ يعتقدون أن الله يحل فى الأشياء أم الأشخاص
(٤) الشطر فى الأصل هكذا : أم الغزالة لا الغزال .

حَسْبُ العساكِرِ والعِدَا أن النَصولَ به تَصُولُ
ويمينُه سِلْماً تجو دُ كما غدت حَزْماً تجول
طالت فروعُ المجد فيـه كما زكَتْ منه الأصول
راياته تحكى الأصيلَ[١] فرأيه الرأىُ الأصيل
حيث الخيولُ على الوعو[٢] رِ كأنها[٣] فيها الوعول[٤]
أمَّا وقد قصدَ الغزاةَ وهنَّتِ القربَ[٥] النصول
وبكت به أمُّ الصليـبِ وشدوُ صارمه الصليلُ
وبدت له أرض الشآ مِ تهونُ إذ كانت تهول
فلسوف[٦] يفتحُ قُفْلَهَا من قبلِ أنْ يقع القُفُول
ويعيد ما [فَضَّ[٧] العِدَا] بكراً تزف لها الفحول
يا أيهـا الملك الجلىُّ الأمْرِ والملكُ الجليل
كم مِنَّـةٍ لك تستطيـرُ[٨] ومُنة بك تستطيل
ولكم صفحتَ عن الغرو[٩] رِ وقد تبطَّنَهُ الغلول
وسرت عطاياك الجسا مُ فلا تجورُ ولا تحول
وملكت ألبابَ الأنا مِ كأنك السيفُ الصقيل
أو لا فإنك جوهرٌ فى الخلق والعَرَضُ العقول
أنت المُقِيلُ من الخطو بِ وظلُّ دولتك المَقِيل[١٠]

(١) الأصيل : يشبه راياته بلون الأصيل .
(٢) فى الأصل : الوعود ، والوعور : جمع وعر وهو ضد السهل .
(٣) فى الأصل: فيه . (٤) الوعول: جمع وعل وهو تيس الجبل ، والكماة الشجعان .
(٥) أغماد السيوف .
(٦) فى الأصل : ولسوف ، وواضح أن البيت جواب أما .
(٧) ساقطة فى الأصل ووضعناها ملائمة لسياق البيت .
(٨) تستطير : تنتشر . (٩) يريد بالغرور : العدو شبهه بالشيطان .
(١٠) المقيل : من القائلة أو القيلولة وهى نصف النهار ، والمقيل بضم الميم : المعفى .

وأنا الفقــــيرُ إلى ندا لكَ ومن بوارقه السيول
ولقــــد أضرَّنِيَ الجمو دُ كما أضرَّ بىَ الخمول

وقال على لسان إنسان فى حاسد ، أعان عليه ، ثم توجَّع له :

لا تُصِخْ للحسود فى ندبه النعـ ـمةَ مع كَوْنِهِ العجولَ(١) إليها
فهو مثلُ السحابِ إذ يسترُ الشمـ ـسَ عن العينِ ثم يبكى عليها

ومن نَوْر نثره البديع ، ونُور فجره الصديع ، وغرر درره النصيعة(٢) ، ودرارى غرره الصنيعة ، ما تُحْذَى له بهائم التمائم ، وتحدى به كرائم المكارم ، ويربع الحسن فى روضه ، وتكرع الحسناء فى حوضه ، وتغتبط الآداب بدابه ، وترتبط الألباب ببابه ، من مكاتبة :

فصلت عنه فى أخريات النهار ، وقد ظهر فى أطراف الجدران لَفَرَقَ فراق الشمس اصفرار ، فلما ذَهَبَ ذهبُ الأصيلِ بنار الشَّفَق ، ولبست المشارقُ السوادَ لما تمَّ فى المغارب على الشمس من الغرق ، وأقبلت مواكب الكواكب فى طلب الثار ، كدراهم النثار(٣) ، وتشابهت زواهرها وإن اختلفت فى الأشجان بالأزهار فى الأشجار ، وتكلف القمر الموافقةَ فظهر على وجهه الكلفُ ، ومرَّت به طوالع النجوم فلم يستخبرها حسدًا فأعرب عن غدر الخلف بالسلف ، وظهر الوجوم فى وجوه / النجوم ، وعيل صبر النسرين(٤) فواحد طائرٌ يحوم ، وآخر [٤٨ ظ] واقع لا يقوم ، ولم تزل متلاحقةً متسابقةً لتقفو الأثر وتسمع الخبر ، إلى أن بدا سوسن الفجر ولاح ، وابتسم ثغر الصباح عن الأقاح ، وكاد ثعالبه يأ كلُ عنقودَ الثريا ، وبرزت الغزالة من أُسِّ الكناس طلقةَ المحيا ، وتراءت الوجوه ،

(١) فى المغرب : المشوق . (٢) النصيعة : الناصعة .
(٣) دراهم النثار : الدراهم التى ينثرها الأمراء على من يقصدون أبوابهم فيكبون عليها يلتقطونها .
(٤) النسران : نجمان أحدهما يسمى النسر الطائر والثانى يسمى النسر الواقع .

وزال ما زال بغيبتها من المكروه ، وأخذت النجوم بالحظ من الطرب ، بمقدار ما قدمته من الحض فى الطلب ، وانخرطت فى سلوك شماعها نظامًا ، وزاد خوفها [منها[١]] على رجائها فيها فذابت إكباراً [لها[٢]] وإعظاماً .

ومن صدر مكاتبة :

لم يزل العبد لِمَا عَرَضَ من إعراض المجلس — لا زالت أوامره نافذه ، والآمال بكعبة كرمه لائذة ، ويده العالية بزمام الزمان آخذة ، وكتبه الكرائم لعزائم كتائب الإسلام شاحذة — وَحَدَثَ من هجره له ، وظهر من قلة احتفاله به ، وخاض فيه المعارف من تغيُّرِه عليه ، وتناقلَه الوشاة من أمر صدِّه عنه ، وتقارضَه الشامت من سوء رأيه فيه ، ذا زَفراتٍ سوام تتضرَّم ، وعبرات [هوامٍ] تتصرَّم ، وعبارات عن بسط عذره تعثر بالكلام عِيًّا فيتذمَّم[٣] بالصمت عن أن يتحرر ويتحرَّم[٤] ، وأفكارٍ تتنزه عن إساءة الظن بمودته فما يتكدر[٥] حتى يتكرم ، فكم تناول القلب جلده فجَلَدَهُ[٦] بالقلق لما تجاوز حدّه[٧] وحَدَّه ، وأجرى من سوابق دموعه عسكراً فجرى فشقَّ خَدَّهُ وخدَّه[٨] ، وأوجده السبيل إلى أن أبدى صحيفة وجه صبره مسودَّة ، وتمنى لو كان الموت قبل إخلافه وَعْدَهُ وإخلاقه[٩] وُدَّهُ ووَدَّهُ[١٠] ، حتى جنى وَرْدَ ورود كتابه الكريم من انتظام شوك انتظاره ، ورفع ناظره بقدومه عليه على كافة أمثاله وأنظاره ، فعلم أن علَمَ المودة قد رُفِع ، وموصولَ حبل الجَفْوَةِ قد قُطِعَ ، وكاد القلبُ يخرج لمصافحته لو استطاع نفاذاً ، واجتمعت فيه أمانى النفس فاتخذته دون جميع الملاذ ملاذا ، وتناوله بيد الإجلال ، وقصَّه

(١) زيادة من المغرب . (٢) زيادة من المغرب .
(٣) يتذمم : يستنكف . (٤) يتحرم : يتذمم من الحرمة ، أو يجده حراما .
(٥) فى الأصل : يتكرر . (٦) فى الأصل : مجلدة .
(٧) فى الأصل : جده ، وهى بمعنى غايته والتالية من الحد وهو إيقاع الجزاء على الجانى
(٨) خده : شقه . (٩) إخلاقه : من الخلق أى البالى أى جعله لوده باليا .
(١٠) وده : من الود معطوف على تمنى .

بيد الإدلال ، الذى أباحَ له الإخلادَ إلى الإحلال ، فوجده منظومًا على خطٍّ كالكؤوس المرصعة ، لما لاح مِدادُه مُداماً ونَقْطُه حَبَبًا ، وألفاظٍ تبيح للمناظر طلباً ، وتتيح للخواطر طرباً ، ومعانٍ ما حلَّتْ فى ميدان البيان حتى جَلَّتْ فَحَسْبُ الأفكارِ بها حَسَبًا ، وتعريضات لو كان التصريح فضةً لكانت ذهباً ، أو كان شرراً لكانت لهباً ، ومنن ما لاحت سحائبها حتى وكَفَت ، وأياد ما استكفت فواضلها حتى عمت وكفت[1] ، فرفع إلى السماء يديه وهى قِبلةُ الدعاء ، وعفَّرَ فى الأرض خديه وهو جهدُ الضعفاء .

وله من فصول جواب مكاتبة إلى صديق له سافر إلى الشام :

إلامَ يصيرُ القلبُ للخطبِ مِنْبَرَا ويصبر للجُلَّى وإن كان مُنْبرَا ؟[2]
وكيف يُلامُ الصبُّ فى صبِّ دمعه عقيقاً على مصفرٍّ خديه أحمرا ؟
وَقَدْ وَقَدَ البَرْحُ المبرِّحُ فى الحشا فراع دخانُ الوجد فى الوجه منظرا
وزادت دواعى الشوقِ إذ زالت القُوَى فأصبح معروفُ التجلُّدِ منكرا
فلو شامَ طَرْفُ الشامِ برقَ تنفسى لتذكار مَنْ فيه إذنْ لتَفَطَّرا
على أنَّ من أمسى رفيقَ تفرق ومن قَصَدَ[3] الأشعارَ فى الشوق قَصَّرا

و بعد فما ضاق الصدرُ ، وضاع الصبرُ ، وضَعُفَ الجلدُ ، وتضاعفَ الكمد ، وادلهمَّ ليلُ الهمِّ بفراق الحضرة السامية حتى طلع بدرُ كتابها فاهتدتْ ضوالُّ الأفكارِ الشاردة ، ولمع شهاب خطابها فاحترقت شياطينُ الظنون الماردة ، ولله الحمد على ما أعرب عنه من سلامة ركابها ، والرغبة فى تقوية أسباب استتباب نعمتها وتعجيل إيابها ، وأن يكون ذلك بحسب ما تورثه وتقرره ، بتلك الأعمال من الأعمال الصالحة وتؤثره .

(١) كفت : من الكفاية ، ووكفت الأولى أى أمطرت .
(٢) منبرى : من البرى وهو النحت والهزال .
(٣) فى الأصل : قصر .

ومنها :

وإن الكتبَ الكريمةَ الواردةَ إلى القاضى الرشيد ما فاحتْ أزاهيرُها حتى لاحت زواهرها ، ولا تأرّجَ نَوْرها حتى تبلّج نُورها ، ولا فُتِنَتْ بها الخاصة ، حتى جُنّتْ[1] العامة ، فكم نثرت من عقود عقولٍ كانت / متسقة النظام ، وحقرت [٤٩ و] من منقول مقول كان ملحوظا بالإعظام ، وعلى الجملة فلم يبق أحدٌ من الفقهاء والحكام ، وأرباب السيوف والأقلام ، حتى استشرف لرؤيتها وتشرّف لروايتها .

وأنشدنى لنفسه من قصيدة :

كيف واصلتَ قطعَ رشفِ رُضابهْ ... وبدا السخطُ منك بعد الرِّضَى به
وهجرتَ المنام كى يرجعَ الطيـفُ لئلا ترقَّ عند عتابه
لتوَخّيْتَ أنْ ترى صورةَ الصبر عليه من قبلِ حينِ ذهابه
ولعمرى لقد أسأتَ به الظنّ فعذّبْتَ باجتنابِ عذابه

وقال فى رافضىٍّ متهم الخلوة :

اختصرْ واقتصرْ على هُزْئك النا ... سَ ولا تدّعى الحِجَى والكتابهْ
واحتسبْ وانتصبْ لضرب نِعالٍ ... دامغاتٍ من أجل سبِّ الصحابه
واقتصدْ فى البغاء يا بن فعالٍ ... وتوقَّ انتصابه والتهابه
فهو داءٌ — كما تقولُ — ولكن ... أنت صبٌّ برشف تلك الصُّبَابه

وقال فى مدح الأجل الفاضل من قصيدة :

لا تلم فى اضطرابنا[2] لاحمرارهْ ... جُلَّ نار القلوب من جلّنَاره
وهو حدٌّ[3] يكاد يُقبَضُ منه ... كل طرْف لولا اعتذارُ عِذاره

---

(١) فى الأصل : حبت . (٢) فى الأصل : اضطرارنا .
(٣) الحد : الجلد وما يوجب الجلد ، ومنه حدود الشرع .

ما رأى منكرًا رُضابَ مـدامٍ مذ روى طـرفُه حديثَ خُمارِه[١]
ليس فيـه من راحةٍ لمريدٍ قبـلة تُطْفِئُ أضطرام اُضطراره
غير أن الحياء فيـه مُضاهٍ للحَيَـا فى انهماله وانهماره
أوْجَدًا[٢] الفاضلِ الذى أوجد الجو د فمن كفِّهِ انفجارُ بحـاره
ذلك السـيدُ المشيِّدُ للمجـدِ إلى أن أتى على إيثـاره
من غدا الدهرُ بأسمـه باسمَ الزهرِ ضحوكا به بهارُ نهـاره
لم يطفنا من برِّهِ وردَ وعدٍ لم يَشِنْهُ انتظامُ شوكِ انتظاره

٦ — والده

الخطير[*] بن مماتى

لقيته بالقاهرة مستولىَ ديوان الملك الناصر — ديوان الجيش — فيه أدب. كان هو وجماعته نصارى، فأسلموا فى ابتداء الملك الصلاحى، وحصلوا على الجاه[٣] والحرمة الوافرة والعيش الرخى.

سايرته فى الطريق مرة فأنشدنى لنفسه هذا البيت فى وصف الخمر إذا صُبّت من الإبريق:

إذا أُنبرَتْ من فم الإبريقِ تحسبها شهابَ ليلٍ رمى فى الكاس شيطانا

(١) الخمار: بقية السكر.
(٢) الجدا: الكرم والعطاء وهو معطوف على الحيا أى المطر.
(*) تقدم التعريف به أثناء الحديث عن ابنه أسعد وقد عرض ياقوت وابن خلكان فى ترجمة ابنه لشىء من أخباره وخاصة ياقوت فإنه عرض للأسرة وللجد الأعلى مماتى الذى ينسب إليه أسعد، وقال ابن خلكان إنه مماتى بفتح الأولى وتشديد الثانية، وقال أيضا إن الخطير توفى عام ٥٧٧ هـ. وترجم له ابن سعيد فى المغرب قطعة الجامعة العربية الورقة ١١٨ وقال إن بنى مماتى كانوا متعلقين بالعمل فى كتابة الخراج وانظر خطط المقريزى ٢/١٦٠.
(٣) هكذا فى المغرب نقلا عن الخريدة وفى الأصل: بالجاه.

قال : ولأبى طاهر(١) بن مكنسة فى المعنى :

إبريقنا عاكفٌ على قدحٍ كأنه الأمُّ ترضعُ الولدا
أو عابدٌ من بنى المجوس إذا توهَّمَ الكاسَ شعلةً سَجَدَا

وأبو المليح(٢) ممدوح ابن مكنسة الذى يرثيه بقوله (طويت سماء المكرمات) جدُّ ابن مماتى .

وأنشدنى الخطير لنفسه فى كتمان السر :

وأكتمُ السرَّ حتى عن إعادتِهِ(٣) إلى المسرِّ به عن غير نسيانِ
وذاكَ أنَّ لسانى ليس يُعْلِمُهُ سمعى بسرٍّ الذى قد كان ناجانى

وأنشدنى لنفسه من قصيدة ، وكتبه بخطه :

لم يَبْقَ من جسدى لفرطِ صبابتى إلا الأسى وترَدُّدُ الأنفاسِ
وأغَنَّ(٤) معسولِ الثنايا أشنبٍ ألمى المراشفِ كالقضيب الآسِ(٥)
يتأَوَّدُ(٦) من هَيَفِ القوامِ كأنه غصنٌ يجاذبه كثيبُ دهاس(٧)
لولا توقدُ جمرِ نارِ خُدُودِهِ فى نار وجنته حَسَاهُ حاسى
من خده وعِذاره ورُضابهِ وردى وريحانى الجنىُّ وكاسى

وله :

يظلمنى العاذلونَ فى رشاٍ إنْ قيلَ كالشمس كان مظلوما

---

(١) فى الأصل : المكنسة وهو من شعراء مصر أوائل القرن الخامس للهجرة وسيترجم له العماد .

(٢) هو مماتى وكان ابن مكنسة منقطعا إليه ، فلما مات رثاه بقصيدة طويلة يقول فيها :

طويت سماء المكرما ت وكورت شمس المديح

انظر فى ذلك ترجمة حفيده أسعد فى ابن خلكان وياقوت .

(٣) فى المغرب : إذاعته . (٤) أغن : فى صوته غنة .

(٥) الآس : شجر . (٦) يتأد : يتثنى .

(٧) دهاس : الأرض السهلة ليست برمل ولا تراب .

مذ حلَّ رسمُ الصليبِ فى يده حلَّ بقلبى هواهُ مرسوما

وله :

أعاذلتى إن الحديثَ شجونُ مكانُ سُلَيْمَى فى الفؤادِ مكينُ
أأسمع عَذْلاً فى التى تملك الحشا وأَتْبَعُهُ إنى إذنْ لخؤون

ومنها :

هل العيشُ إلا قربُ دارِ أحبةٍ هل الموتُ إلا أن يخفَّ[1] قَطِين
وهل لفؤادى منذ شطَّ مزارها من الوجدِ إلا زفرةٌ وأنين
أبيت رقيبَ النجمِ منها كأنما عيونىَ لم يُخْلَقْ لهنَّ جفون

ومنها :

كأنَّ ظلامَ الليل إذ لاحَ بدرُه دَجُوجِيُّ[2] شَعْرٍ لاح منه جبينُ
كأنَّ الثريا ترقُب البدر غَيْرَةً فقد هجرتْ منها المنامَ عيون
كأن سهيلاً[3] فى مطالع أفقه فؤادُ مَرُوعٍ خامرتْهُ ظنون
كأن السها[4] تبدو أواناً وتختفى لدى الليل سرًّا فى حشاه مصونُ
وقد مالت الجوزاء[5] حتى كأنها كمىٌّ بخطّىِّ السماكِ[6] طعين

ومنها فى المخلص :

كأن صلاحَ الدين للشمس نورها ولولاه ما كان الصباحُ يَبِين

(١) يخف : يتحمل ويسير ، والقطين : المقيم .
(٢) الدجوجى : شديد السواد والظلام .
(٣) سهيل : كوكب يرتعش وميضه فى رأى العين .
(٤) السها : نجيم خفى . (٥) الجوزاء : برج فى السماء .
(٦) السماك : كوكب نير .

وقال :

لو كانت الأمراض محمولة ... يحملها العبدُ عن المَوْلَى

حملتُ عن جسمك كل الأذى / وكان جسمى بالضَّنا أولى [٤٩ ظ]

وقال :

إلى الله أشكو نارَ شوقٍ كما شكا ... إلى الله فقدَ الوالدَيْنِ يتيمُ

رحلتمْ فسار القلبُ أنَّى رحلتمُ ... ولكنَّ وجدى ثابتٌ ومقيم

ولمّا بكتْ عينى دماء لفقدكمْ ... تيقنتُ أن القلبَ فيه كلوم

وقال فى العذار :

وشادنٍ[١] لما بدا مقبلاً ... سبَّحْتُ ربَّ العرش باريهِ

ومذ رأيتُ النملَ فى خدّهِ ... أيقنتُ أنّ الشَّهْدَ فى فيه

وقال :

يا ربَّ خَوْدٍ زرتُها ... فى الليل بعد هُجودِها[٢]

فاجأتها فتبالهتْ ... فلزمت ضمَّ نهودها

ورشفتُ خمرَ رضابها ... وجنيتُ وردَ خدودها

وأمنتُ فى قِصَرِ الوصا ... لِ حياةَ طولِ صدودها

حتى إذا ولّى الدجى ... فى عدِّها وعديدها

وبدت جيوشُ الصبح فى ... أعلامِها وبنودِها

فارقتُها ومدامعى ... تحكى جُمانَ عقودِها

(١) الشادن : الغزال حين يشب ويستغنى عن أم والاستعارة واضحة .

(٢) الهجود : النوم .

وقال من قصيدة فى المدح :

مُرْدِى الكتائبِ بذّالُ الرغائبِ فضّاحُ السحائبِ برُّ القولِ والعملِ

والغافرُ الذنبِ عفوًا عند قدرته   والرائعُ الخطبِ قَسْرًا غيرَ محتفل

إذا طوَتْ خيلُهُ فى السير مرحلةً   طوَى الردى من عداه مُدّةَ الأجل

بكل قَرْمٍ يلاقى الموت مبتهجًا   كأنما الموتُ ما يرجو من الأمل

يلذُّ فى السلم تقبيلَ اللمى شغفًا   لحبِّهِ فى القنا سُمْرَ القنا الذُّبل

٧ — الشريف النقيب النسابة بمصر

شرف الدين أبو على محمد* بن أسعد بن على بن معمر أبى الغنائم بن عمر ابن على ابن أبى هاشم الحسين النسابة بن أحمد النسابة بن على النسابة ابن إبراهيم بن محمد بن الحسن الجوانى الحسينى

كان نقيبَ مصر فى الأيام المصرية . والآن فهو ملازم مشتغل بالتصنيف فى علم النسب ، وهو فيه أوحد ، وله فيه تصانيف كثيرة .

قرأت بخطه كتابا إلى بعض الأشراف بدمشق فى سنة إحدى وسبعين ، قد صدره بهذه الأبيات :

أحنُّ إلى ذكراك يا بنَ محسّنٍ   وأرجُو من الله اللقاء على قُرْب

لما لكَ فى قلبى من الموضع الذى   يرى فيه كل الحب مُبْرًا[1] من الحبِّ

(*) ترجم له الصفدى فقال : ولى نقابة الأشراف مدة بمصر وله (كتاب طبقات الطالبين) و (تاج الأنساب ومنهاج الصواب) وكان شيعيا . توفى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . والجوانى بالجيم والواو المشددة ويعرف بالمازندرانى . انظر فوات الوفيات طبع استانبول ٢٠٢/٢ وانظر ترجمته فى لسان الميزان ٧٤/٥ .

(١) مبرأ وخففت ، وفى الأصل : خيرا .

وللمفخرِ السامى الذى قد حويتَـهُ وسارمسيرَ الشمسِ فى الشرق والغرْبِ
فأصبحتَ تاجًا للفخار ومَفْـرِقًا وقطبَ المعالى بل أجلَّ من القطب
فلا عَدِمَتْ روحى الحياةَ فإنهـا قرينةُ ما [يا[1]] تى إلىَّ من الـكتب

وقرأت أيضاً بخطه من كتاب كتبه إلى الأمير عز الدين حارن[2] لما قصده بالشام ، فى أوله هذه القصيدة :

ترى هاجكم ما هاجنى من جوى البعدِ وهل كَرْبُـكُمْ كربى وهل وجدكم وجدى
لئن جَـلَّ ما أبديه شوقًا إليكم فإنَّ الذى أُخفيه أَضْـعافُ ما أبدى
جوًى فى فؤادى كامنٌ ليس ينطفى عليكم كمونَ النار فى الحَجَرِ الصَّلْد
وما الدمعُ ما يجرى عليكم وإنما نفوسٌ أَسَلْنَاهَا مع الدمع فى الخد
إذا لفَّ بُرْدُ النـومِ أجفانَ راقدٍ لففتُ جفـونى فى رداء من السهد
نهارىَ ليـلٌ مدلهِمٌّ لفقدكم وليلى نهارٌ من خيالكمُ عنـدى

ومنها :

ألا يا رياحَ الشوق سـيرى فبلِّغِى سـلامَ محبٍّ صادقِ الحبِّ فى الود
إلى المَلْكِ عزِّ الدين ذى المفخرِ الذى مناقبُهُ تعـلو الـكواكبَ فى العَدِّ

ومنها :

مليكٌ إذا أطنبتُ فى وصفِ فضله علمتُ بأنى لم أَنَلْ غايةَ الجهـد
فما العنبرُ الشَّحْرِىُّ[3] فى أنفِ ناشقٍ بأَطْيبَ من ذكراه فى سَمْعِ مُسْتَجْدِى

---

(١) ساقطة من الأصل .
(٢) هكذا بالأصل ولعلها الحارمى نسبة إلى حارم إحدى بلاد الشام ، أو لعلها خازن .
(٣) الشحر : ساحل البحر بين عمان وعدن .

ومنها :

أيا مَنْ إذا سارتْ وفــودٌ لبابه ‏ ‏ ‏ ‏ ترى عندهمْ وفدًا إلى ذلك الوفد
وقد عــلم القُصَّادُ قَصْدَ جَنَابِهِ ‏ ‏ ‏ ‏ فنوَّلهمْ قبــلَ التفوُّهِ بالقَصْد

٨ — والده

الشريف القاضى سناء الملك أبو البركات

أسعد(*) بن على الحسينى النحوى

موصلى الأصلِ مصرىُّ الدارِ هاجَرَ إليها واتخذها مسكناً ، ورضى بها وطرًا ووطناً ؛ وكان كبيرَ القدر ، نابه الذكر . وجدتُ له شعرًا فى الصالح(١) بن رُزِّيك فى نوبةِ قتل عباس(٢) : (أما والهوى النجدىّ ما سَئِمتْ إلْفَا) .

ومنها :

لئن كنتَ قد نَحَّبْتَ(٣) عباسَ من ظُبًا ‏ ‏ ‏ ‏ فَرَنْجَةَ لما لم يجدْ عنك مُسْتَغْنَى
وأنقـذْتَهُ من أسره وهو ذاهلٌ ‏ ‏ ‏ ‏ يَرُدُّ عن الأهوالِ فى المأزقِ الطَّرْفَا
فقد سُقْتَه إذ فرَّ منك إلى مَدًى ‏ ‏ ‏ ‏ تمد مُدَاهُ نحو مُقْلَتِهِ الحَتْفَا
وما فرَّ من وَقْعِ الأسنَّةِ صاغرًا ‏ ‏ ‏ ‏ وجِـدُّكَ إلا حين لم يرَ مُسْتَخْفَى

(*) ترجم له القفطى ولم يزد فى ترجمته عما ذكره العماد . انظر إنباه الرواة بأنباه النحاة طبع دار الكتب المصرية ١/ ٢٣٠ .

(١) هو أبو الغارات طلائع بن رزيك وستأتى ترجمته بعد قليل .

(٢) هو عباس الصنهاجى بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، وزر للخليفة الظافر (٥٤٤ — ٥٤٩ هـ) ودبر له مؤامرة وقتله ، فاستغاث بيت الفاطميين بطلائع ، فجاء من الصعيد ، وفر عباس إلى الشام وقتله الفرنج فى الطريق .

(٣) فى الأصل : نحيت ، ونحب : سار به حتى قرب من الماء . والإشارة واضحة إلى فراره .

/ ومَلَّ(١) الطعانَ المرَّ للمَلِكِ الذى ... يراه حَبيًّا عنــد ما يَهَبُ الألفا [٥٠ و]

وقال فى مدحه :

صاحِ إنْ أهْجُرْ سليمى والرَّبابا ... فلقد بُدِّلْتُ من غىٍّ صوابا

ولقد واصلتُ من بعدهما ... مدحَ من أغْرَى بجَدْوَاهُ انتسابا

إنَّ فى كفِّ ابن رزِّيكٍ لمنْ ... يبتغى الرفدَ لآمالاً خِصَابا

و بيمنى فارسِ الإسـلام قد ... أُجْرِىَ البحرُ الذى عبَّ عُبَابا

كم له فى الشـام من معجزةٍ ... ومقامٍ لم يكن إلا احتسابا

جرَّبَ الإفرنج من أفعاله ... فى صـناديدهمُ أمراً عُجابا

وله من أخرى :

ومن يهوَ إدراكَ المعالى فإنه ... يَعُدُّ المنايا من ملابسه طِمْرا(٢)

قريع الرزايا والقنا يقرع القنا ... خطير العطايا يَسْتَقِلُّ(٣) الجْدا خَطْرا(٤)

يخطِّطُ(٥) بالخطىِّ فى النقعِ موطناً ... يحوز العلا والموتُ يلحظه شَزْرا

ومنها :

إذا اهتز بالفساط غرباه لم يَدَعْ ... فؤادًا بأقصى روضةٍ لم يَمُتْ ذُعْرا

وحيث ذكرت الشرفاء فقد تعين ذكر الشريف أبى جعفر ، وهو :

---

(١) فى الأصل : وظل

(٢) الطمر : الثوب الخلق .

(٣) هكذا فى إنباه الرواة ، وفى الأصل : والبا .

(٤) الخطر : الشرف والهلاك . (٥) فى الأصل : ويخط .

٩ — الشريف أبو جعفر

محمد (*) بن محمد بن هبة الله العلوى الحسينى

من طرابلس (١) ومن الواجب إيراده فى شعراء الشام . كان فى مصر فى عهد أفضلها ، وحظى من مِنَنِه بأجزلها . أهدى إلى ديوان شعره بمصر القاضى الفاضل ، فى جملة ما أسْدَاه إلى من الفواضل ، فأثبتُّ منه ما استجدته مما وجدته ، واستطبته مما استعذبته . فمن ذلك من قصيدة أعدَّها لمدحِ الأفضلِ للتهنئة بعيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسمائة ، فقتل الأفضل عشية سلخ شهر رمضان من السنة ، وعاش الشريف ، ومدح الوزيرَ بعده ، وأوّلُها :

قد تجاوزتَ فى العلا الجوزاء واستمدَّتْ منك البَهَا والبهاء

ومنها :

لم تَزَلْ للعيونِ منذ تراءَتْــكَ جِلاءً وللقلــوب رجاء

ومنها :

وجيوشاً كأنما قد كساها الــبرقُ فوق الدروع منها رداء
فى مجالٍ سالتْ ظباه على الأيــدى كأن الغُمودَ (٢) فَجَّرْنَ ماء

ومنها فى وصف سفن أنفذها إلى مكة ، وفيها غلة :

بجوارٍ تنسابُ (٣) فى البحر كالأعــلام تجرى بها الرياحُ رُخَاء (٤)

(*) ترجم له ابن عساكر فقال : محمد بن هبة الله أبو جعفر الحسينى الأفطسى الأطرابلسى ، كان من أهل الأدب ، وله معرفة تامة بأنساب قريش ، وله أشعار مدح بها بنى عمار (أصحاب طرابلس الشام) وتوجه إلى مصر ومدح بها الأفضل ابن أميرالجيوش بدر الجمالى ، وكان قدم دمشق سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة . توفى بمصر بعد سنة عشر وخمسمائة .

(١) هى طرابلس الشام ، بلد على الساحل بين اللاذقية وبيروت .

(٢) الغمود : جمع غمد . (٣) فى الأصل : آنسات (٤) رخاء : لينة .

حملَ المـاءِ كلٌّ سوداءِ منها حَمَلَتْ وقرَها[1] يدًا بيضاء

وله من قصيدة فى ابن عمار بطرابلس :

جعلنا التشاكى موضع العَتْبِ بيننا فأصدُقُ فى دعوى الغرامِ وتكذبُ
ذرينى أَصِلْ ليلَ الغرام بعزمةٍ تكفّلُ بالإقبال[2] عنها فتَعْزُب[3]
فلا والعوالى — إنها قسمُ العلا — أُقيمُ ولى عن ساحةِ الذلِّ مذهب

ومنها :

ومن كان فخرُ الملك مَرْمَى رجائه أصاب من الحظّ الذى يتطلّبُ
بعيدُ مناطِ السيف لو طاول القنا تساوى [لدى الهيجا[4]] لواءٌ ومنكب

ومنها يصف داره :

ويوم ابتدرنا الإذنَ نُرْعَدُ هيبةً وقد غصّ بالرفد الرواقُ[5] المحجّبُ
وصلنا وسلّمنا على البدرِ جادَهُ سماءٌ لها من ذائبِ التّبرِ هَيْدَبُ
وقد نمنمَ الكفُّ الصَّناعُ بأفْقِها رياضًا كأنّ الجوّ منهنّ مُعْشِبُ
ومصقولةِ الأرجاء ملثومةِ الثرى إلى جنة الفردوسِ تُعْزَى وتنسبُ
نخالُ بأولى نظرةٍ أنّ دُرَّها يُنثّرُ[6] أو عِقْيانها يتصوّبُ

وقال من قصيدة :

ذَرَفَتْ مقلةُ الحَيا بالحَبَـــابِ وانتشى الروضُ حالىَ الجلباب

(١) الوقر : الحمل .
(٢) هكذا فى الأصل والسياق يقتضى أنها محرفة عن كلمة : بالإدبار .
(٣) فى الأصل . لتعرب .
(٤) فى الأصل بياض وأكملنا البيت بما يتلاءم والسياق .
(٥) الرواق : سترٌ يمد دون السقف ، ومقدم البيت .
(٦) فى الأصل . تنير .

وتمشَّتْ به الصَّبا وإزارُ الـمُزْن فيه مُجَرَّرُ الهُدّاب

ومنها :

لم أَنَمْ بعدهم سُلُوًّا ولكنْ   طمعاً أن يزورَ طيفُ الرَّباب
يا خليليَّ فى الذؤابة من فِهْرٍ   أميلا معى صدورَ الرِّكابِ
وَقِفا العيسَ كى نُجَدِّدَ عهداً   للهوى فى معاهدِ الأحْبابِ
أسقمَ البينُ رَسْمَها سقمَ جسمى   فكلانا خافٍ عن الطُّلّابِ
يا لُواةَ الديون من غير عُسْرٍ   عُذْرُكُمْ لم يكنْ لنا فى حساب
طال رَعْيِي روضَ الأمانى لديكمْ   ورجوعى عنكمْ بغير ثواب
أتقاضاكمُ وماذا عليكمْ   لو سمحتم لسائلٍ بجواب
ما لقلبى أراحنى الله منه   كيف يهوى من لا يرقُّ لما بى
مَسَحَتْ صبغةَ الشبابِ يدُ الهمِّ وأَبْدَتْ نصولَ ذاكَ الخضاب

ومنها :

[٥٠ ظ] وإذا كان ضائرى حكم ذى الشيب / فواوحشتا لجهلِ الشباب

وقال :

أأحبابنا لو سرتمُ سيرةَ الهوى   لكنتمْ لقلبى مثلَ ما لكمُ قلبى
عتبتمْ وما ذنبى سوى البعد عنكمُ   وإنى لأهواكم على البُعْدِ والقرب
فلا تجمعوا بين الفراق وعتبكم   ولا تجعلوا ذنبَ المقادير من ذنبى

وله من قصيدة فى الأفضل(١) أولها :

أُجِلُّ هواكَ عن مِنَنِ العتابِ   وإن أبعدْتَنِى بعد اقتراب

(١) هو الأفضل بن بدر الجمالى الأرمنى وزير المستعلي الخليفة الفاطمى (٤٨٨ — ٤٩٥) ثم الآمر بأحكام الله ، وما زال يلي وزارته حتى قتله سنة ٥١٥ هـ . وكان الأفضل ممدحاً للشعراء ، وسيتردد ذكره فى الخريدة .

ومنها :

أما وهواكَ لو خُبِّرْتَ عنى   لِمَا أَلقـــاه عزَّ عليك ما بى
ولا تسألْ ســـواكَ فليس يخفى   عذابى عن ثناياكَ العِذاب
ولولا أَنْ تقولى خان عهـــدى   قرعتُ على سُلُوِّى كلَّ باب
رضيتُ وصال[١] طيفكِ وهْوَ زُورٌ   وعند الشيب يُرْضَى بالخضاب

ومنها :

ودون ثنيَّـــةِ الصَّنمين ظبىٌ   وقورُ الحِجْلِ[٢] طيَّاشُ الحِقَابِ[٣]
ســـقيمُ الطرف نشوانُ التثنِّى   صقيلُ الثغرِ معسولُ الرضاب

ومنها :

وقفتُ بها سراةَ اليومِ صحبى   وقوفَ القُلْبِ[٤] فى زَنْدِ الكَعاب
وقد أخفتْ معالمَها الليـــالى   كما درست ســطورٌ من كتاب
فدع ذكراكَ أياماً تقضَّت   إذا ذهب الصِّبا قَبُحَ التصابى
ولى بمديحِ شاهنشاهَ[٥] شُغْلٌ   يُسَلِّى عن هوى ذاتِ السِّخَاب[٦]
يُؤَذِّنُ جودُه فيما حواه   من الأموالِ حىَّ على الذهاب

ومنها :

ويوم بعثتهـــا شُعْثَ النواصى   تسيلُ بهنَّ أفواه الشعاب
لقيتَ هَجِيره[٧] والخيل تَردى   ولا ظلٌّ سوى ظلِّ العُقَابِ[٨]

---

(١) فى الأصل : طيال .   (٢) الحجل : الخلخال .
(٣) الحقاب : حزام تعلق به المرأة الحلى وتشده فى وسطها .
(٤) القلب : سوار المرأة .   (٥) هو لقب الأفضل ومعناه ملك الملوك .
(٦) السخاب : القلادة .   (٧) الهجير : نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر .
(٨) يريد أنه ليس هناك إلا ظل العقبان وهى تحوم على القتلى .

أثرتَ الليل فى رَهَجِ المذاكى[1] ... وأطلعتَ النجوم من الجِراب
مواقفُ لم تزلْ فيهن أمضى ... من المندىّ زلّ عن القِراب[2]

وله من أخرى :

تجاوز العتبُ حدّ السخط والغَضَبِ ... وأورث القلبَ صدعاً غيرَ مُنْشَعِبِ
إن كان ذنبٌ فإنى منه معتذرٌ ... يكبو الجوادُ وينبو السيفُ ذو الشُّطَبِ
أو كان ذا منك تأديباً على زَلَلٍ ... منّى فحسبك قد أسرفتَ فى أدبى
هل عهدُ وصلك مردودٌ لعاهده ... يا هاجرى شهوةً من غير ما سبب

ومنها :

أو لا وعيشٍ مضت منا بشاشته ... لحاً[3] وسالفِ عيش غيرِ مؤتَشِب[4]
ومبسم كأقاح الروضِ بانَ به ... فضلُ الرُّضاب على الصهباء والضَّرَب[5]
ومستدير وشاحٍ جال فى هَيَفٍ ... حيث التقى خيزُرانُ الخصر بالكُثُب
ما إنْ أذِنتُ إلى الواشى كما أذِنَتْ ... فأُنجِبْ له اليومَ لم يظفر ولم يخب
لم يبق عندى اصطبارٌ أستعينُ به ... على تمادى صدودٍ منك بَرّحَ بى
بينى وبين صروف الدهر معتبة ... وليس عتبى على الأيام بالعجب
إن سرّكمْ بى مسٌّ من نوائبه ... إنى إذنْ لقريرُ العين بالنُّوَب

ومنها :

إن كنتُ أضمرت غدراً فى الوفاء لكمْ ... فلا وصلتُ بآمالى إلى أربى
وخاننى عنك شاهنشاهُ ما وَعَدَتْ ... به صنائعُهُ من أشرف الرتب

---

(١) المذاكى من الخيل : التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان .
(٢) القراب : الغمد . (٣) فى الأصل : لحنا .
(٤) مؤتشب : مجتمع . (٥) الضرب : العسل الأبيض .

ومنها :

تجلو عليكَ التهانى كلُّ شاكرةٍ   يدًا سَبقْتَ إليها عزمةَ الطلب
كالماء رقّتها والخمـــرِ نَشْوَتها   فابْنُ الغمامةِ فيها وابْنةُ العِنَبِ

وقال فيه :

خاطِرْ بهـا فالجدُّ مصحوبُ   وأسرِ فظهـرُ الغيبِ مركوبُ
واُطلبْ عناقَ العِزِّ تحت الظُّبَا   فالعزُّ محبـــوبٌ ومطلوب
واُصحبْ إلى العلياءِ سُمْرَ القنا   ما صَـــحِبتْهُنَّ أنابيب[1]
ليس يروضُ الصعبَ مَن دِرْعُهُ   مُحْقَبَــةٌ[2] والسيفُ مقروب[3]
ولا يخوضُ الغمراتِ الفتى   وطِرْفُهُ فى الحيِّ مجنـــوب[4]
وثِقْ بمـا تُملى عليكَ المنى   [فالنجح مرجوٌّ ومرقوب][5]
ولا تقُلْ يا بعـــدها غاية   ففى المقـــادير أعاجيب
لا تبعدُ العليـاء عن طالبٍ   له من الأفضـــلِ تقريب[6]

وقال فيهِ :

إذا ما ابتدوا شدُّوا حُبَى الحلمِ للنَّدَى   وإن ركبوا سدُّوا القَنا بالمراكبِ
كفيلون فى دار الضحى لصريخةٍ   بوجهِ نهارٍ بالعجاجةِ شاحب
هم سطَّروا بالبيضِ والسمرِ ذكرَهُمْ   فأصبحَ عُنوانَ العُلا والمناقب
صدورُ رماحٍ لم تَرِدْ حومةَ الوغى   فتصدرَ إلا عن صدورِ الكتائب

---

(١) الأنابيب : كعوب الرماح .

(٢) محقبة : فى الحقيبة .   (٣) مقروب : فى قرابه أى غمده .

(٤) الطرف من الخيل : الجواد الكريم ، ومجنوب : معزول .

(٥) بياض فى الأصل وزدنا الشطر ملائما للسياق .   (٦) التقريب : ضرب من العدو .

ومنها :

إذا شَهِدَ الجُلَّى أضاءتْ برأيهِ   دُجُنَّةُ خَطْبٍ مُدْلَهِمِّ الجوانب

وقال أيضا :

بادِرْ بإحسانك الليالى   فإنَّ من شأنها البتاتا[1]

كم شملِ مَلْكٍ عَدَتْ عليْهِ   فصيَّرَتْ جمعَهُ شتاتا

[٥١ و] / وفرَّكَتْ[2] قبلُ من عظيمٍ   فطلَّقتْ غيرها ثلاثا

وقال من قصيدة :

وكم للحُبِّ مثلى من صريعٍ   [بجدٍّ[3]] البيض والسمر الملاحِ

وأغيَدَ من ظباء الحسن حَيَّا   بوردٍ أوْ تبسَّمَ عن أقاحى

شربنا من شمائله شَمُولاً   لنشوان التثنى وهْوَ صاحِ

لقلبى الثأرُ فيه عند عينى   فبعضُ جوارحى أدْمَى جِراحى

لئن عاصيتُ عذَّالى عليه   ولم يَقْتَدْ ملامُهُمُ جماحى

فإنَّ نوالَ شاهنشاهَ قبلى   عَصَى عَذْلَ العواذلِ فى السماح

إذا أعطى تبلَّج فى العطايا   كما يفترُّ مبتسَمُ الصباح

ومنها :

ملوكٌ إنْ دجا ليلٌ جَلَوْهُ   بلألاء الترائك[4] والصِّفَاح

كأنَّ الخيلَ تحت النقع منها   شققنَ الأرضَ عن بَيْض الأَداحى[5]

---

(١) البتات : هنا البت والقطع للصلة .

(٢) فركت : كرهت وطلبت الفراق .

(٣) ساقطة فى الأصل وزدناها متابعة للسياق .

(٤) الترائك : جمع تريكة وهى الخوذة أو البيضة .

(٥) الأداحى : جمع أدحية ، وهى مبيض النعام فى الرمل .

نثرنَ عجاجةً فى كل فجٍّ   كأنَّ الأُكْمَ تنسفها المساحى
مناقبُ سطرتْهنَّ المواضى   فما يسمو إليها كفُّ ماحى

وقال :

ما خلتُ والأيامُ ذاتُ عجائبٍ   أنى أُعَدُّ من المتاعِ الكاسدِ
وأكونُ للدهرِ الخؤونِ عقيرةً (١)   وأُعاضُ مِنْهُ شامتاً من حاسد
فأسالمُ الخصم الذى لا يُتَّقَى   وأثيب عذالى (٢) ثواب الحامدِ

وقال :

أُحبُّ من الفتيانِ كلَّ مشيَّعٍ   ركوبٍ إلى العلياء ظهرَ الشدائدِ
يضمُّ على فضــل العفاف ذيولَهُ   ويرغبُ عن ضمِّ الثُّدِى والنواهد

ومنها :

إذا دَحرَتْ (٣) فيه النعامى حسبتَه   حبيكَ دروعٍ أو متونَ قلائدِ
ينمُّ بسرِّ القـــاع حتى تخاله   أُستعارَ حصاهُ من عقودِ الخرائد
نزلنا به والشمسُ يُهدى شعاعُها   له التــبرَ إلا أنه غير جامد
لدى روضةٍ قد نشَّرَ (٤) العصْبَ (٥) نبْتُها (٦)   ونَثَّر فيها النَّوْرُ دُرَّ القلائد

ومنها :

كأن ذيولَ الأفضل انسحبتْ بها   يُضَمِّخُها منـــه أريجُ المحامد

---

(١) العقيرة : ما عقر من صيد أو غيره .
(٢) الكلمة فى الأصل مطموسة وبقيت منها : لى .
(٣) دحرت : اطردت وجرت ، والنعامى : ريح الجنوب .
(٤) فى الأصل : بشر ، ونشر : من النشر ضد الطى .
(٥) العصب : ضرب من البرود اليمانية ناصعة البياض يصبغونها بمختلف الألوان .
(٦) فى الأصل بيننا .

كريمٌ أعدَّ المالَ وقفاً على الجدا فأضحى نداهَ قاصداً كلَّ قاصد
إذا مدَّ يومَ الفخر باعاً لمفخرٍ حوى طرفَيْهِ من طريفٍ وتالد

ومنها :

جمعتَ سعود المشترى ووقارهُ إلى بأس بهرامٍ وحذقِ عُطاردِ(١)

ومنها :

وما نمتَ عن شانى وقد نام دونهُ رجالٌ فلم أنبذ حياةً لراقدِ
ولو كنت ممن يجعل الفحش لفظه لنبّهَهُمْ منى عقابُ القصائد
وعضَّ لحاظَ القوم فى كل مجمع قوافٍ كأطرافِ الرماح الحدائد
أأغضى على ضيمٍ وعزُّكَ ناصرى وأخْفِقُ فى(٢) مجد ونُجْحُكَ رائدى

وقال من قصيدة فى محمد بن قابل وقد أنفذ إليه رفدا :

من منجدى بالشكر أمْ مَنْ مُسْعِدى أوفَتْ على شكرى يدٌ أغنتْ يدى
نام الورى عنى فلم أُوقِظْهُمُ أنفاً لمجدى من مقام المُجْتَدِى
ورأيت عز الفقر من نيل الغنى بالذل أولى بالعُلا والسؤدد
ورددتُ ما يهبُ اللئامُ عليهمُ زهداً ولا مجدٌ لمنْ لم يزهد
وكذاكَ نفسُ الحر تحتملُ الظَّمَا إنْ فاته يوماً كريمُ الموردِ
وتداركتنى مِنةٌ من مُنْعِمٍ يقظانَ عن بذلِ الندى لم يرْقُدِ
ملأَ الزمانُ بها مسامعَ أهلِهِ من شكر آل محمدٍ لمحمد
يعطيك مسؤولاً فيعجل رِفْدَهُ وتعوق هيبتُهُ السؤولَ فيبتدى

(١) عطارد وبهرام والمشترى : نجوم تنسب لها أعمال وحظوظ كما فى البيت .
(٢) فى الأصل : من .

ومنها :

أرســلتها فوق الرجاء تبرعًا   أحلى الندى ما لم يكن عن موعد
لما سألتُ الغيثَ يُسق بالغنى   [جودا(١)] بَعثْتَ بديمةٍ من عسجد

ومنها :

ولَتَنْصُرَنَّكَ باللســان ونصرُهُ   أَبقَى على الأيام من نصرِ اليـد

ومنها :

وإليكمُ أرسلتُها تَرْضى العُلا   فيكمْ وتقطعُ فى قلوب الحُسَّد
بسهولةٍ عنها المياه ترقرقتْ   وجزالةٍ منهــا متون الجلمد
كالمسكِ من طيب الثناء عليكمُ   فيكادُ يَعْبَقُ عَرْفُها بالمنشد

وقال:

عصيتُ هوایَ حین وَفَى لغرٍ(٢)   إباءً صـار من خُلُق وعادى
فبلِّغ حا كمَ العشــاق أنى   عفافاً قد حَجَرْتُ على فؤادى

وقال :

ألا يا خليــلىَ من وائلٍ   أعِنِّى على ليــلىَ الساهرِ
إلى كم أُسَوِّفُ عطفَ الزمانِ   وعَزَّ النتــاجُ من العـاقر
وعزَّ على المجـد أنى قنعتُ   بأيسرِ من حَسْوَةِ الطائر(٣)
وما ذلَّ فى الخطب عوناىَ من   لســانىَ والمِخْذَمِ(٤) البـاتر
ليالىَ لاأنا شا كى الصحابِ   ولا غدرُهُمْ شــاغلٌ خاطرى

(١) فى الأصل : يباض .   (٢) فى الأصل : لغرى .
(٣) حسوة الطائر : مقدار ما يأخذ بمنقاره من الماء من مرة أى جرعته .
(٤) المخذم : السيف القاطع .

[٥١ ظ] / وإنى على شَغَفِى بالقريضِ   لآنفُ من همةِ الشــاعرِ
سرى رَجَبٌ يستحثُّ الشهور   نزاعًا إلى فضــلك الباهر
أتاكَ يجدِّدُ عهدَ المشــوق   على كاهلِ الفَلَكِ الدائرِ

وله من قصيدة :

وقورٌ متى يستطلق الجهلُ حَبْوَةً   [تبيَّن فى صَدْر النَّدِىِّ وقارُه](١)
ويطربُه ذكرُ النَّدَى فتخالُهُ   أخا نشوةٍ جارتْ عليه عُقارُهُ
إذا اكتحلتْ بالطعن أجفانُ خيله   فإثمدها فى كلِّ فج غباره
إذا انبجست كفاه والمزن ممسك   فما ضرَّنا إلا بصوبٍ قِطارُه(٢)

وله من أخرى :

يا صاحبى قمْ ترى برقًا كما نُشِرتْ   مُلاءةُ الفجر هاج(٣) الوجدَ والذِّكَرا
وسَلْ نسيمَ صــبا نجدٍ لعلَّ به   عن العذَيْبِ(٤) وجيران الغضا(٥) خَبرا
تضوَّعَتْ من ثرى واديه إذ خطَرَتْ   ريًّا فما زالَ من أردانها عَطِرا
تجنى ويَعْذُرُها(٦) حسنٌ تُدِلُّ به   فكلُّ ما فعلتْهُ كان مُغْتَفَرا

وله من أخرى :

خلعنا الصِّــبَا ولبسنا الوقارا   وكان الشبابُ رداءً مُعَــــارا
ويا ربما ليــلةٍ قد خَطَرْتُ   إلى اللهو يُرْخى مَراحى(٧) الإزارا
أردُّ مشــورةَ رأى النُّهَى   عليه وأَرْضَى الهوى مستشارا

(١) بياض فى الأصل وأكملناه حسب السياق .
(٢) القطار : المطر .   (٣) فى الأصل : هان .
(٤) العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة .
(٥) الغضا : شجر .   (٦) فى الأصل : ويعدها .
(٧) المراح : النشاط والسرور .

لِيهنِـــكَ يا عاذلى أننى ملكتُ على صَبَواتى(١) الخيارا
رَقَتْ(٢) دمعةُ الشوق من ناظرى وخلّفتُ غيرىَ يبكى الديارا
ولم تُنْسِنى عِفَّـــتى غادةٌ تَزِينُ المعاصمُ منها السِّوَارا
إذا انتقبتْ قلتَ بدرُ التما مِ لاثَ(٣) عليه الغمامُ الخِمارا
ولا أغيدُ(٤) الجيدِ أمسى يديـــرُ من طَرْفِهِ ويديه العُقَـــارا
إذا هو أرْعَفَ إبريقَـــه كستْ يدُهُ كأسَـــه الجُلّنارا
تخَـــالُ فَوَاقِعَها لؤلؤاً وَهَى سِلْكُهُ ودموعاً غزارا
إذا المـــاء عاتَبَ أخلاقَها رأيتَ الشقائقَ منهـــا بهارا
تضىء لنـــا فَحَمَاتِ الظلا مِ من قبل أنْ يقبَسَ الفجرُ نارا
و بين الوشاحين منه القضيبُ(٥) وتحت الحقاب(٦) نقاً حيثُ دارا

[وله من أخرى] وهى طويلة :

ســـل بنى نبهان هل زهدوا فى ثنـــاء من فتى قُرَشِى
صـــار كالكمُّونِ بينهمُ بالمُنى يُرْوَى من العَطَشِ
وابتـــلاه الدهر بينهمُ بعـــدوٍّ مُرْتَشٍ وَيَشِى

وله من أخرى :

هل أنت باليأسِ المُريح مُخَلَّصِى من أَسْرِ ميعادِ المُنى المُتَخَرِّصِ(٧)

---

(١) الصبوات : جمع صبوة وهى الميل الى الجهل والفتوة .
(٢) رقت : جفت . (٣) لاث : لف .
(٤) كلمة أغيد معطوفة على غادة فى قوله : ولم تنسنى البيت .
(٥) القضيب : الغصن .
(٦) الحقاب : الحلي فى حزام يدور على الحصر ، والنقا : الكثيب من الرمل .
(٧) المتخرص : إما من الخرص أى الحزر أو بمعنى الكاذب .

وإليك أشكو سوء حظٍّ مُشْرِقي(١)   أنّي شربتُ وإنْ أكلتُ مُنغَّصِي
ماذا على الأيامِ لو هيَ أحسنتْ   أوْ سامحتْ بالعيش غيرَ منغَّصِ
وأشدُّ ما لاقيتُ من أحداثها   ما قد تجدَّدَ في جفاء المُخْلِصِ
وعدُ الزيادة قد تطاولَ عمره   حتى مللت ترقُّبي وتربُّصِي
ما كنتُ أولَ مستزيدٍ لم يُزَدْ   وأنا السعيدُ اليوم إن لم أُنقَصِ

وقال :

أغرى به الشوقَ اللجوجَ وحرَّضا   برقٌ أضاء له على ذات الأضا(٢)
متبسِّماً منه الغمامُ كأنَّما   هزَّ القيونُ به الحسامَ المنتضى
وعصى الفؤادُ سُلُوَّه لما غدا   طوعَ الوشاةِ فصدَّ عنه وأعرضا
هيهات إبراء السقيم(٣) من الضنا   يومًا إذا كان الطبيب المُمْرِضا
ما كان لولا حبُّ مَنْ سكنَ الغضا   يُحْشَى حشاه لذكره جمرَ الغضا
زمنٌ مضى فوق المنى فكأنه   حلمٌ تقاضى حسرةً ثم انقضى
خالفتُ يومَ البين حكمَ تجلدي   لما قضى فيه الفراق بما قضى
وبمهجتي رشأٌ أغنُّ بطرفِهِ   مرَضٌ وصحةُ طرْفِهِ أنْ يمْرَضا
قد صرَّح الهجران فيه لمذنب   خاف الرقيبَ على هواه فعرَّضا
كم يقتضيني الدهرُ حقًّ عنده   الدَّيْنُ لي وأنا الغريمُ المُقتضَى

وله على وزنها من أخرى :

كان الشبابُ وقد خلعتُ رداءه   طيفاً سرى وخضابَ داجيةٍ نضا(٤)

---

(١) مشرق : من الشرق وهو الشجا والغصة .
(٢) الأضا : واد . (٣) في الأصل : إفراق النسيم .
(٤) نضا : خلع ونصل .

ومنها فى الاعتذار عن مدح غير هذا الممدوح :

شَعْرٌ حَمَلْتُ سوادَه وبياضَه ... فوجدت أثقلَ ما حملتُ الأبيضا
ما إنْ مدحتُ سواكَ إلا رِقْبَةً ... منى لصِلٍّ حماطة قد نضنضا[1]
فسحتُ بالأشعارِ عطفَ عُرامِه[2] ... وحملت عذرَ زمانه حتى انقضى
والآن عُدْتَ وكنت عودًا ذاويًا ... نبتاً بصوب نداكمُ قد روِّضا
وحُسِدتَ ما شرَّفتنى بِسَماعِهِ ... حتى تمنَّى مُفْحَمٌ أن يَقرِضا

وقال :

كلَّ يومٍ نَلْقَى ببابكَ غَيْظًا[3] ... أملاً خائبًا وسَعيًا مضاعا
/ ووجوهًا يُغَضُّ من دونها الطر ... فُ كما قابلَتْ عيونٌ شعاعا [٥٢ و]
ليتهمْ إذ حموكَ من كلفة الإذ ... ن لنا أوصلوا إليك الرقاعا

وقال :

لعذلِ العواذل ألاَّ أعى ... وألاَّ أُصِيخَ له مسْمَعى
ويالأْىِ فى غرامى بها ... أَضَعْتَ الملام فخذْ أو دَعِ
أتطمعُ للقلب فى سلوةٍ ... وهيهات فى ذاك لا تَطْمَعِ
أطعتُ الهوى وعصيتُ النصيحَ ... وقال العذولُ فلم أسمع
وقد أنكَرَتْ أنَّ حبى لها ... كسرِّىَ فى غير مُسْتَوْدَعِ
فلو جاز حكمى لدعْوَى الهوى ... جعلتُ اليمينَ على المدَّعى
أما عَلِمتْ أنَّ لى بعدها ... همومًا تُكاثِرُها أدْمُعى
أبى لى تَنَاسِىَ ما قد مضى ... خيالٌ لها لازمٌ مَضْجَعى

(١) نضنض الصل : حرك رأسه ؛ والحماطة : شجرة التين .
(٢) العرام : الحدة والشدة ، وفى الأصل : غرامة .
(٣) فى الأصل : غيضاً .

ومنها :

وزارَ برغمِ الكَرَى هاجعين نَشاوى بكأسِ الهوى المُترَعِ
وأشعثَ أخفاه برحُ السقامِ فنمَّتْ به أنَّةُ المُوجَعِ
فيا منَّةً [قد[1]] شكرت الرقاد لو أنى انتبهت وقلبى معى

ومنها :

وقد علم الحرصُ أنِّى برئتُ إلى راحةِ اليأسِ من مَطْمَعى
وكم لى مع الدهر من وقعةٍ تبلَّجْتُ[2] فى وجهها الأسفعِ

وقال :

دعِ المطامعَ لا تحللْ بساحتها وأرضَ القليلين من رىٍّ ومن شِبَعِ
لا تخضعنَّ لأمرٍ عزَّ مطلبه لا خيرَ فى العيش ما أدناك من ضَرَعِ

وقال :

غريمُ فؤادى فى الهوى غيرُ منصف وماطلُ وعدى قد أبى الغدْر أن يفى
تكلَّفَ بى يومَ اللقاء بشاشةً وأقبحُ ما استحْسَنْتَ بشرُ التكلف

ومنها :

رضيت وإن لم تسمحوا برضاكمُ على عزِّ قومى فى الهوى ذلَّ موقفى
لِيَهْنِ حَسودى أن يُقدَّمَ ناقصٌ فأصبحَ فضلى علةً لتخلُّفى
ولو أنصفَ الدهرُ الكرامَ لما غدا يطيلُ على حظِّ اللئام تلهفى
لىَ اللهُ من قلبٍ لجوجٍ بصبوةٍ إلى العزِّ ما يزداد غير تغطرف[3]

---

(١) ساقطة من الأصل .
(٢) تبلج : أضاء وأشرق .
(٣) التغطرف : الكبر .

ركوبٍ لأثباجِ المخاوفِ دونها ... ومَنْ طلبَ العلياء لم يتخوَّف
أأرمَى بعيش الخاملين وقد أبَى ... لىَ اللهُ أن يرْضى فراسى وخندفى (١)

ومنها فى القلم :

له القلم الماضى الشَّبا فكأنما ... تهز به أعرافهُ (٢) صدرَ مُرْهَف
إذا ما سقاه المزنُ صوبَ قطاره ... كسا الطرسَ أثوابَ الربيع المُفوَّف

وله من أخرى :

حَىِّ من ريَّا خيالًا طَـرَقَا ... عاد جُنحُ الليلِ منـه فَلَقَا
ساريًا يذْكِرُنا عهـدَ الحمى ... نقصَ البيـد (٣) وقصَّ الطُّرُقا
حبـذا الطيفُ تَعَلَّلْنَا به ... واصفًا فى البيـن أيام اللقا
قد رضينا من أباطيـل الكرى ... ردَّ ما موَّهـهُ واختلقا
المُنَى إن لم يكن إلا المنى ... إنهـا لَهْىَ النعيم فى الشقا
هل مُعاد والأمانى ضَـلَّةٌ ... موقفٌ بين المصـلَّى فالنَقَا
يا نسيم الريح إما جِئْتهـمْ ... فاشكُ عن قلبى الجوى والْحُرَقا
وتعرَّضْ لملولٍ منهـمُ ... مستجدٍّ كلَّ يومٍ خُلُقـا
وطموحِ العينِ مذَّاقِ (٤) الهوى ... قلَّ ما مازح إلا عشِـقا
آه والشكوى إليكم خَـوَرٌ ... بعـد ظنٍّ فى هواكم أخفقا
يا لهيفاء وقلـبى كلما ... قلتُ قد أفلَتَ منهـا عَلِقا

(١) الفراس : الحذق ، والخندفة : مشية الخيلاء .
(٢) أعرافه : أعاليه وفى الأصل : أعراضه .
(٣) فى الأصل : اليد (٤) مذاق الهوى : غير مخلص .

وخلٍّ كالشَّجى معترضٍ ... ما محضْتُ الودّ إلا مَذَقَا

وله من قصيدة :

أتمنَّاها على بُعْد المَنالِ ... وأسومُ الصبرَ عنها وهو غالى
وأرجِّى عطفةَ السالى وقد ... تَعْلَق الأطماعُ أسبابَ المُحالِ
وعلى ما سَرَّنى أو ساءنى ... فهْوَ محبوبُ التجنى والدلالِ
ولقلبى من أحاديث المُنَى ... ما لعينى من سُرَى طَيْفِ الخيالِ

ومنها :

لستُ بالفائت حظِّى منكمُ ... رب عتبٍ كان بابًا لملال
مذهبٌ ما ابتدعتْهُ غادةٌ ... يُبْذَلُ العذرُ لرباتِ[1] الحجال
أنكرتْنِى أنْ رأتْنِى عاطلاً ... ربَّ جيدٍ عاطلٍ بالحُسْن حالى
من عذيرى اليومَ من أيد خطو ... بٍ رعى البادنُ منها فى هزالى
همُ العلياء ضرّاتُ الغِنَى ... وجيوشُ الفقر إكثار العيال
فارضَ بالأدنى إذا لم ترقَ فى ... درجاتٍ من ذرا المجد عوالى
أو فكن جارَ شهنشاهٍ تصِفْ ... مُغْرمًا بالجود فيَّاضَ النوال
كَفَل الملكَ بأطراف القنا ... والمعالى فى كَفالات العوالى[2]
ومُطاعُ الرمح فى يوم الوَغَى ... نافذُ الحكم على الأرواح وَالى
عَلَّقَ الأرزاقَ من أسمره[3] ... مَعْلَقَ الرمح بأطراف النصال[4]
يَنفُضُ العِشْيرَ عن أعطافه ... نفضةَ الأجْدَلِ[5] أنداء الطلال

(١) فى الأصل : بربات .
(٢) العوالى : الرماح .
(٣) الأسمر : الرمح .
(٤) فى الأصل : الذبال .
(٥) الأجدل : الصقر .

وله من أخرى :

لولا الحظوظ التى فى بعضها بَلَهٌ ... لما علا الشمسَ بهرامٌ ولا زحلُ(١)
همٌّ لبستُ له ثوبَ الضَّنَا كمدًا ... والهمُّ يفعـل مالا تفعلُ العللَ

/ ومنها : [٥٢ ظ]

من كلِّ أروعَ فى الهيجاء يصحبه ... عَزْمٌ فتيٌّ ورأىٌ منه مُكْتَمِلُ
الأرقمُ الصِـلُّ إلّا أنه بَطَلٌ ... والأغلبُ الوَرْدُ(٢) إلا أنَّهُ رَجُل

ومنها :

وصاحبٍ مثلِ حُمّى الرِّبْعِ(٣) أرقبها ... مُغْرًى بذمِّىَ منه المنطقُ الخَطِلُ
رَمَى ولو أننى أرضـيه قلت له ... خذها إليك لـكفِّ المخطىء الشَّلَلُ

وله من أخرى :

يا هل جَنَتْ أعينٌ مراضٌ ... كالخمر تسـطو على العقولِ
أصابتِ القلبَ يوم سَلْعٍ(٤) ... بنافذاتٍ بلا نصـولِ
فقلْ إذا جئتَ آل سهمٍ ... ما فعل السهمُ بالقتيـل
ويا نسيمَ الصَّـبا تَعرَّضْ ... لحاضرٍ بالغَضَـا حُلُولِ
بلِّغْ فإنَّ القبـولَ أوْلى ... فى طاعةِ الصبِّ بالقَبُـول
وصفْ غرامى وأجْرِ فيهمْ ... ذكرىَ للهـاجر المَلُولِ
وا حرَّ قلباه من قضيبٍ ... رَيّانَ لم يدرِ ما غليـلى

---

(١) يشير الى ما كانوا يعتقدونه فى البروج والأفلاك والنجوم وترتيبها بالقياس الى بعضها فى الحظوظ .

(٢) الورد : الشجاع الجرىء .

(٣) حمى الربع : التى تنقطع ثلاثة أيام وتأتى فى الرابع .

(٤) سلع : جبل فى المدينة .

لو أنصفَ الحِبُّ ما طلبت الـــوصالَ من طيفه البخيل

ومنها فى المدح :

من أسرة النجم فى المعالى   وإخوةِ الغيث للنزيل
تشابهوا واحدًا ونَجْلاً[١]   ما أشبه الكُثْبَ بالسهول

وقال من أخرى :

رعى الله المنازلَ من غميم[٢]   وحيـــا يومنا بلوى الصَّريم[٣]
وروّى أرضَها حَلَبُ الغوادى   وصافح روضَها وَلَعُ النسيم
وقفتُ بها فيا نثرى[٤] لدمعٍ   أرقْتُ على ثرَى تلك الرسوم
وما خِلْتُ المعالمَ قبـلَ يومى   بها صهباء تهفو بالحُـــلوم
متى تدنو لمشـتاقٍ مُناهُ   ويصحو من معاقرةِ الهموم ؟

ومنها :

ومن ناداكَ من قلبٍ سليمٍ   كمَن داجاك بالودّ السـقيم
فلا تغررْكَ صِحَّةُ صَفْحَتَيه   فتحت ثيابه نغل[٥] الأديم
فداؤكَ كلُّ مغرورِ الأمانى   رُجّى مُنْتَجَ الأملِ العَقيم

وقال :

ركبوا قوادمَ رَوْعِهمْ فكأنما   طارت بهمْ حَذَرَ الحِمام حَمام
إنْ لذَّ عندك طيبُ عيشٍ بارد   قبلْنا[٦] وعزمُكَ فى عُلاكَ ضِرامَ

---

(١) نجلا : نسلا .   (٢) الغميم : موضع بين مكة والمدينة .

(٣) لوى الصريم : اللوى : منقطع الرملة ، والصريم : الأرض السوداء ، ولوى الصريم : واد باليمن .

(٤) فى الأصل : فياسرعا   (٥) النغل : الفساد .   (٦) قلنا : من القيلولة .

وله فى مريض :

أما لو أنَّ أغراضَى لا يخرجنَ عن حكمى
نقلت الداء من جسمك مختاراً إلى جسمى

وله من أخرى :

كالغصن أطلع بدرَ تمٍ باسماً — بالأُقحوان ملثَّما بالعَنْدَمِ
يا عاذلى أقصرْ فسممى فى الهوى — سَلْمُ الغرام وحربُ لوْمِ اللوَّمِ
لو كنتُ أعلَمُ أنَّ نجداً قصدُهُمْ — يومَ استقلَّ فريقهُمْ لم أُتْهِمِ
ووراء أقمارِ الهوادج غِلْمةٌ — تحمى المحرَّمَ بالأقبِّ[1] الملجم
كتبوا بأيدى الخيل خلف مطيِّهم — عِينٍ[2] الحواجر[3] بِلْوُها[4] لمتيم

ومنها :

أفنَتْ شجاعته السِّلاحَ فسيفه — يبكى الدماء لرمحه المتحطِّمِ

ومنها :

لو أشْهدتْ[5] رزق الورَى شَهِدَتْ به — نِعَمٌ إلى نَفَحَاتِ سَيلٍ تنتمى

وله من قصيدة أولها :

أَزِرْهَا فقد طالَ هذا مُقاماَ — وَرَاخِ لها إنْ جَذَبْنَ الزماما
تقصُّ من الغيث آثارَهُ — فترعى جَمِيماً[6] وتُسْقَى جِماماَ[7]

(١) الأقب من الخيل : الضامر . (٢) عين : جمع عيناء وهى واسعة العين .
(٣) الحواجر : جمع حاجر وهى منزل فى البادية يمر به الحاج .
(٤) بلوها : من قولهم فلان بلو حب ، إذا بلاه الهم والفكر .
(٥) فى الأصل : لو سهدت رق ، وهو تحريف .
(٦) الجميم : النبت الذى طال بعض الطول .
(٧) الجمام : جمع جم وهو معظم الماء .

ومنها :

أضاءوا شموساً ، وتمّوا بدوراً ولاحوا نجوماً ، وجادوا غماما

ومنها :

يا بائعى بالدونِ إنّ العُلاَ لا ترتضى بيعَكَ أعْلَى بدونْ
وعْدُكَ قد أصبحتُ أتلو له هيهات هيهات لما توعدونْ
إن كان حظّى منك ما قد أرَى[1] فقل لحسادىَ ما تحسدون

وله من قصيدة :

وكم ذُدْنا الكرى عنا بليلٍ كعَيْنِ الظّبْىِ أو فَرْعِ الغوانى
وقد نثرت كواكبُهُ عقوداً نقوداً صُبْحُها لقطُ الجمان
صحبنا فيه ملء القلب رعبًا بخرق[2] كالملاءة صحصحان[3]
على مثل الأَهِلّةِ طامحاتٍ إلى قمر المعالى الإضْحِيان[4]

ومنها :

كأن البيض فى رَهَجِ المذاكى ضرامٌ تحت أردية الدخان

وله من قصيدة يصف خيمة ونقوشها :

ضَرَبْتَ عين [رواقٍ[5]] فى مقرٍّ عُلاً أو فى على عَذَبات[6] الطّوْد ذى القُنَنِ
جَازَتْ[7] مدى الطرفِ حتى خلتُ ذِرْوَتَها تأوى من الفَلَكِ الأعلى إلى سَكَنِ

(١) فى الأصل : رأى . (٢) الخرق : الفلاة .
(٣) الصحصحان : ما استوى من الأرض .
(٤) الإضحيان : المضيء .
(٥) ساقطة من الأصل وزدناها مع السياق ، والرواق : الخيمة والفسطاط .
(٦) العذبات : الأعالى ، والقنن : القمم . (٧) فى الأصل : حادت .

أقطارُها ملئت من منظرٍ عجبٍ ... يُهْدى إليك ذكاءَ الصانع الفَطِنِ
فمن رياضٍ سقاها الفكرُ صيِّبَهُ ... فما بها ظمأٌ يومًا إلى المُزُن
وجامحٍ فى عنانٍ لا يجاذبُهُ ... وطائرٍ غيرِ صدَّاحٍ على فَنَنِ
وأرقمٍ لا تمجُّ السمَّ ريقتُهُ ... وضيغمٍ ليس بالعادى ولا الوَهِنِ
ومائلين صفوفًا فى جوانبها ... لو يستطيعون خَرُّوا(١) الجمع للذَّقَنِ
/ زِينَتْ بأروَعَ لا تُحْصَى فضائله ... ماضٍ من المجد والعلياء فى سَنَن [٥٣ و]
وأطلع الدستُ(٢) فيها شمسَ مملكةٍ ... تُرِى التأمُّلَ فضلَ العين للأذن
وعدٌ على السَّعْدِ أنَّ النصرَ يضربها ... بالصين بعد فتوح الهند واليمن

وله من أخرى :

زالت ببيضك هامٌ عن مناكبها ... فنابت السمرُ فيها عن هواديها(٣)
أُعطيتُ ملءَ رجائى من غنًى وعُلاً ... فصرتُ أسأل نفسى عن أمانيها .

وله من أخرى أولها :

ليت دارَ الحىِّ إذ شَطَّتْ بها ... حَمَلَتْ ريحَ الصَّبا نشرَ ثَراها
لا عداها الرىُّ من صَوْب حيًا ... ينظمُ الروضَ لأعناقِ رُباها
دارُهُمْ بالغورِ(٤) إذ هُمْ جيرةٌ ... والنوى ما صدعتْ شملاً يداها
وسميرى فى الدياجى غادةٌ ... فخر البدر بها(٥) لما حكاها

ومنها :

خَلَواتٌ لم تكنْ فى ريبةٍ ... أكرمُ الصبوةِ ما عفَّ هواها

---

(١) فى الأصل :جر ، ويخرون لأذقانهم أو على أذقانهم : يسجدون .
(٢) الدست : صدر البيت . (٣) الهوادى : جمع هادى وهو العنق .
(٤) الغور : تهامة . (٥) فى الأصل : به .

سلْ عفافى دونَها لو لم يكنْ ... ريقُها من خمرةٍ قبّلْتُ فاها
آهِ من بينٍ وشوق لم يدعْ ... حسرةً تعتــادنى إلا اقتضاها
ليت شــعرى ما الذى غيَّرَها ... أو أراها حَسَناً أنْ لا أراها
شَــدَّ ما أجرتْ دموعى فرقة ... لا أرى عوناً على قتلى سواها

ومنها :

ما عليكمْ أنّه زاركمُ ... فسمعتمْ بعضَ ما يشكو شِفاها
لا تذودوا عينَه عن نظرةٍ ... قد علمتمْ أنها تجلو قذَاها
وَعِدُوا بالطيفِ إن عادَ كَرى ... مقــلةٍ مذ غبتمُ غاب كَراها
أو فمَنُّوه المــنى من قربكمْ ... حالَ يأسٍ بين نفسى ومناها
قل لمن دبَّتْ أفاعى كيــدِهِ ... لستُ أخشاها وكيدى من رُقَاها
لا تجاذبْنِي فإنى مُمْسِــكٌ ... ذِمَّةً للمجــد لم تُفْصَمْ عراها
ما أُبالى سُــخْطَ أيامى إذا ... فاز سهمى برضى شاهنشاها

وله من قصيدة :

وغضبانَ أعدى بالتجنى خيالَه ... فمن لى بأن ألقاه فى الحلم رَاضِيَا

ومنها :

أحب ثرى الوادى الذى نَزَلَتْ به ... وإن لم يكنْ ما بيننا متدانيــا
وأُكْبِرُ(١) أنفاسَ النسيم إذا سرى ... فصادف جرعاء الحمى والمحانيا

ومنها:

فياليت قومى جنّبونى عقوقهمْ ... وليتَ صديقى لا علىَّ ولا ليا

---

(١) فى الأصل : وأكبد .

أسَرُّوا حِذارَ الشامتين تأوهاً ومن ذا من الأيام لم يُلفَ آسيا
وأظْمَا فأرْوَى بالنسـيم تعللاً عن الماء كيلا يعلَمَ الماء ما بيا

ومنها :

وهاجرةٍ تُذْوِى[١] الوجوهَ ارتديتها وقد عَمَّمَتْ صُلعَ الرُّبَى[٢] القباطيا[٣]

ومنها :

وليـل كأطمار[٤] الثَّكَالَى ذَرَعْتُهُ بصحبٍ يُضَاهُون النجومَ الدراريا
وخَرْقٍ كراح المُجْتَدِينَ قطعته بمنأَطِراتٍ[٥] كالقِسِيِّ نواجيا[٦]
بممقورةٍ[٧] مثـلِ الهلالِ كأنما طلَى السَّيْرُ منهابالـكُحَيْلِ[٨] الذواريا[٩]
ينازع من أعقابها الجذْبُ بالبُرَى[١٠] أفاعىَ حِقفٍ[١١] لاتجيبُ الرواقيا

---

(١) تدوى : تذبل ، وفى الأصل : تزوى .
(٢) فى الأصل هكذا : الروى ، والربى : الربوات .
(٣) القباطى : جمع قبطية وهى ثياب تنسب إلى قبط مصر الذين كانوا يصنعونها .
(٤) أطمار : جمع طمر وهو الثوب الخلق .
(٥) المنأطرات : المقوسات ، ويريد الإبل .
(٦) نواجى : جمع ناجية وهى الناقة السريعة .
(٧) ممقورة : مضروبة ولعله يكنى بذلك عن كثرة سيرها .
(٨) الـكحيل : القطران .   (٩) الذوارى : الأعالى .
(١٠) البرى : جمع برة وهى حلقة توضع فى أنف البعير .
(١١) الحقف : المعوج من الرمل .

١٠ — الأعز أبو الفتوح

المعروف بابن قلاقس وهو

نصر* [الله] بن عبد الله بن على بن الأزهرى

ذكر لى نجم الدين بن مَصَال[1] أنه كان من أهل الإسكندرية وقاد الخاطر، ذا الفضل الوافر، مات بعيذاب عند رجوعه من اليمن ولم يبلغ عمره ثلاثين سنة.

أنشدنى له من أبيات يصف أمراضه :

نُكِسْتُ فى الأمراض بعـ ـدَ إفاقتى نكسَ الهلالِ
والرأسُ مثـل الكاس لو لا علـة نالَتْهُ خالى

وأنشدنى له من قصيدة :

لا تثنِ خدَّكَ إن الروض قد جِيدَا[2] ما عطَّرَ القطرُ من نوّارِه جِيـدا

ومنها :

وقف[3] أبُثُّكَ ما لان الحديدُ له فإن صدقتَ فقل : هل صرتَ داودا

(*) شاعر إسكندرى ولد سنة ٥٣٢ هـ ، وتوفى سنة ٥٦٣ هـ رحل الى صقلية وبقى بها نحو عامين ، ثم رجع الى مصر وتركها إلى اليمن ومات بعيذاب بعد رجوعه منها سنة ٥٦٧ هـ . وله ترجمة فى معجم الأدباء ١٩/٢٢٦ ، وابن خلكان ٢/٢٣١ ، وشذرات الذهب ٤/٢٢٤ ، وحسن المحاضرة ١/٣٢٤ ، ومسالك الأبصار الجزء الثانى عشر المجلد الأول الورقة ٢٣ . ولابن قلاقس ديوان مطبوع راجعه وضبطه خليل مطران ، وسنرجع إليه فى تحقيق هذا النص .

(١) أحد أعيان الدولة الأيوبيـة كان له عند صلاح الدين والفاضل فضل وإفضال ، وهو الذى سعى للعماد حتى يتخذه الفاضل فى كتابه . انظر الروضتين ١/٢٠١ .

(٢) جيدا : نزل به الجود وهو المطر .

(٣) هكذا فى الديوان وفى الأصل : وقد .

ومنها :

يا ثعلبَ الصبح[١] لاسرحانَ أوَّلِهِ خذِ الثريَّا فقد صادفتَ عُنْقُودا

وله :

ما ضر ذاك الريمَ أنْ لا يَرِيمْ لو كان يرثى لِسَلِيمٍ سَلِيمْ[٢]

٥ ومنها :

تراهُ لما أن غدا روضــــةً أعلَّ جسمى كى أكونَ النسيم[٣]

رقيمُ خــدٍّ نامَ عن ساهرٍ ماأجدرَ النــومَ بأهلِ الرقيم[٤]

وله من أخرى :

فهمتُ عن البارق المطــر حديثاً ببالكَ لم يَخْطُــرِ

١٠ يقول سهرتَ فأجرِ[٥] الدموعَ وإلا فإنَّكَ لم تسهــرِ

ومنها :

فيا عَبْلَةَ الساقِ لا أشــتكى [إليك[٦]] / سوى وجدىَ العَنْترى[٧] [٥٣ ظ]

ثم ظفرت بكتاب الزهر الباسم من أوصاف أبى القاسم[٨] ، وهو بعضُ

---

(١) فى الديوان ، وفى أعيان العصر (رقم ١٠٩٤ تاريخ بدار الكتب المصرية ج ٢ ورقة ٢٢٠) الفجر .

(٢) السليم : الصحيح واللديغ . (٣) رواية هذا البيت فى الديوان هكذا :

أغيـد مذ همت به روضة أعل جسمى لأكون النسيم

(٤) يشير إلى قصة أهل الكهف المعروفة .

(٥) فى الديوان : فأذر . (٦) زيادة من الديوان سقطت من الأصل .

(٧) العنترى : نسبة إلى عنتر ، ذكره مشاكلة مع كلمة عبلة فى أول البيت .

(٨) هو أبو القاسم بن حمود المعروف بابن الحجر ، وقد وصفه ابن جبير بأنه زعيم أهل الجزيرة من المسلمين فى عصر النورمان بصقلية ، وأثنى عليه بكثرة الصنائع والصدقات .

القواد بجزيرة صَقَلِّيَةَ فأُطْلِعتُ فيه وأَطْلَعتُ فى فَلَكِ الخريدة نجومَ معانيه . فأول ما بدأ فيه بوصف الكتاب ، كلامٌ أصفى ديمةً من دَرِّ السَّحابِ ، وأوفى قيمةً من دُرِّ السِّخابِ . فمن ذلك :

هذا كتابٌ نظمتُ فريدَهُ فى عِقْدِ الكرم ، وجلوتُ فِرِنْدَهُ فى عَضْبِ الهِمَمِ ، واستخلصتُ بنار الطبع تبرَهُ ، وشحذت من لَسَنِ الذهن نَبْرَهُ ، وأنبتُّ فى روض الشرف أزاهره ، وأثبت فى سماء العز زواهره ، ووسمت عواتق المجدِ بحمائله ، ورقمتُ دمائثَ[1] الحمد بخمائله ، ناضرة[2] مُشْرِقة اللألاء ، بل مشرفة الآلاء[3] . وهذا السَّيِّدُ الأَيِّدُ — وإن عَظُمَ سُوره ، وكبر صُوره[4] ، وشَرُفَ نسبه ، وظَرُفَ نَصَبه[5] ، واجتلى من مجالس الفضل ، ومغارس النبل — منتدى صدور إيوانها[6] ، ومبتدأ سطورِ ديوانها ، فإن مثلى وإياه كراعى سنين عجاف ، وداعى مُسْبِتين لإيجاف[7] ، طواه إدقاع ، وأجراه صفصف قاع ، فاحتل بوَهْد ، رهين جهد ، ماله بالسحاب وأذيال السحاب من عهد ، قد لفته النكباء فى شملتها ، وأتلفته بتفصيلها وجملتها ، فلما[8] يبست مراتعه ، ويئست مطامعه ، أتتْ أُكيلةُ ليثٍ فسَامها ، وعنَّت مَخِيلةُ غَيْثٍ فشَامها ، وأصاخَ ليستمع أين موقعُه ، وينتجعَ ما ينفعُه ، وإذا هو نبتٌ ، فى رمل خَبْتٍ ، قد أرضعته بدَرِّها الأمطارُ ، ورصَّعته بدُرِّها الأزهار ، واندفقت[9] أنهارُه ، وسجعت أطياره ، بما خَرَقَ له مُخَارِقٌ[10]

(١) دمائث : جمع دميثة وهى ما سهل ولان من الأرض .

(٢) فى الأصل : حادرة . (٣) فى الأصل : اللألاء .

(٤) الصور : النفير الذى ينفخ فيه .

(٥) النصب : حدود البيت ، وهى كناية . (٦) فى الأصل كيوانها .

(٧) المسبت : الذى لا يتحرك ، والإيجاف : الاضطراب والحركة ، وفى المثل أوجف فأعجف وفى الأصل : لايخاف .

(٨) فى الأصل : فلا . (٩) فى الأصل : اندفعت .

(١٠) مخارق : مغن مشهور فى العصر العباسى .

جيبَ الإبداع وانحطَّ به ابنُ جامع(١) عن درجة الإجماع ، فوقع اختيارُهُ بما أداه إليه اختباره ، على شجرةٍ أصلُها فى الماء ، وفرعها فى السماء :

يَصيفُ إلى مُرتقًى مُنتقَى ... ويُشتى(٢) إلى مُجتلًى مُجتنَى
وتأتى على حالتىْ سَوْمها(٣) ... لذا بالمَنـــونِ وذا بالمُنَى

وهو — أيده الله — تلك النخلةُ ذاتُ الظلِّ المديد ، والثمر الجديد ، من الطلع النضيد ، وأنا ذلك الراعى الذى هَجَرَ مَلَأَهُ ووجد كَلَأَهُ . وسائر الكرام وإن كانوا كنَبْقَةٍ [فى] تلك الحديقة الأنيقة ، ففى كل شجر نار ، واستمجد المَرْخُ والعفار(٤) .

ومنها : والعصر ، إن فى المصر(٥) ملكاً استملكَ رقَّ المِدَح ، واستهلك المِحَنَ بالمنحِ ، نقلَ الدهرَ إلى نقشِ خاتمه ، وجمل موطئَ كَعْبِهِ هِمَّةَ « كَعْبه » وباهى بنهضة من عُمْرِهِ نهضاتِ « عُمَرِه » ، وكم نَقَّى مثار عِثْيَره(٦) ، ممن يصول « كعنتره » ، وكم استبدله فى باسهِ ممن يضحك « بإياسه » . فما زال مرتعُ آمالى فى ذُراه خَصِبًا ، وسهم مطالبى فى ثغر النجاح مصيبًا ، وأمانىَّ لا تجدُ « لابن ليلى » دونه فى بيت « نُصَيْب(٧) » نصيبًا .

وإنما لقيتُ من وعثاء السفر ، ولقاء(٨) الخطر(٩) ، وابتغاء الظفر ، قبل

(١) ابن جامع : مثل مخارق ، وكانا يغنيان فى عصر الرشيد .
(٢) فى الأصـل هكذا : وبى .
(٣) السوم : فى المبايعة .
(٤) فى الأصل : واستجمد المزج والعقار . والمرخ والعفار : نوعان من الشجر يتخذ الزند منهما ، وهو مثل يضرب فى تفضيل بعض الشىء على بعض .
(٥) فى الأصل : مصر .
(٦) العثير : الغبار .
(٧) يشير إلى مديح نصيب لابن ليلى وهو عبد العزيز بن مروان ، والى مصر لأخيه عبد الملك ، وكان ممدحاً للشعراء يؤمونه من الحجاز والعراق ونجد .
(٨) فى الأصل : وإلقاء . (٩) فى الأصل : الحضر

حلولى بهذه الحضرة النضرة حضرة القائد أبى القاسم الأجل الذى إن ألبس قلمه المداد ، عَرِى من الفصاحة « قُسُّ إياد » ، وأنطقَ طِرْسَه الرسائلَ ، أخرس عن الخطابة « سحبان وائل » . يلزم لديه « ابنُ العميد » سَمْتَ العبيد ، ويغدو عليه « عبد الحميد » غير حَمِيد ، ويقول له « الصاحب » أنا عبد لا صاحب ، ونهاية « الصابئ » أنه بألفاظه صابئ ؛ حتى لو انقلب الديوانُ ديوانَ شعر ، والقرطى[1] أقراطَ شَذْر ، لكان هو المقرّط المعلَّى والمقرظ المحلَّى — ما أوجبَ ذاك الشكو الذى دخل بهذا الشكّ ، وجاء بهذا الشكر . فالحمد لله حمداً تقصر الألفاظُ عن حصر معانيه ، ويعيى النيةَ منتهاه عن قدر وسعها فتعانيه ، وصلى الله على محمد وآله ما خفق آل ، وحقق الآمال فى هـذا الحساب مال ومآل .

ومنها فى وصف البحر :

إنى لما تسنَّمتُ[2] الأمواجَ فى ذات الألواح ، وتقسَّمت الإزعاجَ من ذات الأرواح[3] ، قلت السلامة إما ميلاد[4] / ومَعاد ، أو يوم معاد ، وعجبت من حالى ، [٥٤و]
فى حلى وترحالى ، فتشوقتُ الوطنَ والوطر ، وكلَّفتُ الخاطرَ وصف ذلك الخَطَرِ ، فقال :

لو لم يحرِّم على الأيام إنجادى ... ما واصلتْ بين إتهامى وإنجادى[5]
طوراً أسيرُ[6] مع الحيتان فى لجج ... وتارةً فى الفيافى بين آساد
إما بطائرةٍ فى ذا ورازمةٍ[7] ... أو فى قتادٍ على هـذا وأقتاد[8]

(١) كذا فى الأصل ولعلها والقريض .
(٢) فى الأصل : انتسمت . (٣) ذات الأرواح : الرياح .
(٤) فى الأصل : ميلا ، ومعاد : رجوع ، ويوم المعاد : يوم القيامة يكنى به عن الموت .
(٥) إنجاد الأولى : من النجدة ، والثانية : من نجد وكذلك إتهامى : من تهامة .
(٦) فى الديوان : أطير .
(٧) الرازمة : الناقة الهزيلة من كثرة السير ، وفى الأصل : وطارمة .
(٨) القتاد : شجر له شوك كالإبر ، والأقتاد : جمع قتد ، وهو خشب الرحل .

والناس كُثْرٌ ولـكنْ لا يقدَّرُ لى … إلا مرافقةُ المـــلَّاحِ والحادى
هذا وَلَيْتَ طريقىْ ما رُميتُ(١) به … مسلوكتان لرُوَّاد ووُرَّاد
وما أسيرُ إلى رومٍ ولا عربٍ … لـكنْ لريحٍ وإبراقٍ وإرعاد
أقلعتُ والبحرُ قد لانت شكائمه … جداً وأقلعَ عن موجٍ وإزباد
فعادَ لاعادَ ذا ريحٍ مُدَمِّرَةٍ … كأنها أختُ تلك الريح فى عاد(٢)
ولا أقولُ أبى لى أن أفارقكم … فحيثما سرتُ يلقـــانى بمرصاد
وقد رأيتُ به الأشراطَ(٣) قائمةً … لأن أمواجه تجرى بأطواد
تعلو فلولا كتابُ الله صحَّ لنـــا … أن السمواتِ منها ذاتُ أعماد
ونحن فى منزلٍ يَسْرى بساكنه … فاسمعْ حديثَ مقيمٍ بيتُه غادِى

ومنها :

لا يستقرُّ لنـــا جنبٌ بمضجعه … كأن حالاتنا حالاتُ عُـــبَّاد(٤)
فكم يُعَفَّرُ(٥) خَدٌّ غير مُنْعَفِرٍ … وكم يخرُّ جبين غير سَجَّادِ
حتى كأنا وكف النَّوْء تقلقنا … دراهمٌ قَلَّبَتْها كفُّ نَقَّاد
وإنما نحنُ فى أحشاء جاريةٍ … كأنما حَمَلت منَّـــا بأولاد

ومنها :

يا إخوتى ولنا من ودِّنا نَسَبٌ … على تباين آباء وأجـــــداد
نقرا حروفَ التهجِّى عن أواخرها … ونحنُ نخبطُ منها فى أبى جاد
ولا تلاوةَ إلا ما نكرره … من مبتدا النحلِ أو من منتهى صاد

(١) فى الديوان : مررت .
(٢) يشير إلى ما جاء فى القرآن الكريم من وصف ريح عاد وأنها كانت صرصراً عاتية
(٣) يريد أشراط الساعة .
(٤) هكذا فى الديوان ، وفى الأصل أعياد .
(٥) هكذا فى الديوان ، وفى الأصل : فلم يصعر .

متى تُنَوِّرُ آفاقُ المنـــارة لى ... بكوكبٍ فى ظلام الليل وقّاد
وأَلْحَظُ المُشرِفاتِ البيضَ مشرقةً ... كالبيضِ مشرفةً فى هامِ أنجاد
وأستجدُّ من الباب القديم هَوىً ... عن الكنيسة فيه جلُّ إسنادى
بحيث أَنْشُدُ آثاراً وأُنْشِــدُهَا ... فَيُبْلغ العـذْر نشدانى وإنشادى
القصرُ فالنخلُ فالجمَّاءُ بينهما[1] ... فالأثلُ فالقصباتُ الخضرُ فى الوادى
متى[2] أروحُ وأغـدو فى معاهدها ... كما عهدتُ سماها الرائحَ الغادى
متى تقرُّ[3] ديارُ الظاعنين بهمْ ... والبينُ يطابهمْ بالماء والزاد

ومن النثر فى وصف المركب وأهله :

ثم إن البحر تخبّطه شيطانُ الموجِ من مسِّ الريح ، فلو رأيته وقد شابَ فى عنفوان شبابه ، وشَابَهَ فروعَ الأطواد بأصولِ هضابه ، والحَنِيَّة[4] تدوِّى بأهلها ، كالخليَّة بنحلها ، ونحن نصلى لمؤنس يونس وعلى لوح نوح ، لاسترشدتَ رأىَ من آثرَ الجبلَ فى العصمة وما لحقتَ[5] بأبيه — لولا وحى الله عز وجل — ولقلت الصخر ، يقى أىَّ حضر . هل غنًى لمجنوبته[6] عليه إلا المنية ؟ ولم يزل يدنو كالمجنون ، ونداريه من الجنون ، حتى كسته الرُّخَاء ثوبَ وقارها ، وأمسكت الزعزعُ عنه كاسَ عُقارها ، فصحَّ وصحا بعد جنونه وسكره ، ونطق منا بلسان المجاز بالحقيقة بعـد

---

(١) شطر من بيت لأبى قطيفة الذى نفاه ابن الزبير عن المدينة إلى دمشق ، فـكث يكتب فيها متشوقا ومن شعره :

القصر فالنخل فالجماء بينهما ... أشهى إلى القلب من أبواب جيرون

والقصر قصر سعيد بن العاص فى المدينة ، والجماء : مرتفع صخرى تسيل منه المياه ، ويشتهر العقيق بجماوات ثلاث . وجيرون : دمشق .

(٢) فى الأصل : عنى . (٣) فى الديوان : تعود .

(٤) الحنية : المركب لانحناء شكلها وتقوسها وفى الأصل : الحلية .

(٥) فى الأصل : وألحقت . (٦) المجنوبة : يريد بها السفينة .

المجاز[١]، فوصلنا طرف الجزيرة بمَسِّينَ[٢] غرّةَ شعبان سنة ثلاث وستين وخمسمائة.

بلدٌ أعارتْهُ الحمـامةُ طوقها   وكساهُ حُلَّةَ ريشه الطاووسُ
فـكأنما الأنهارُ منه سـلافةٌ   وكأن ساحاتِ الديارِ كؤوسُ

ومن شعره فى الزهر الباسم قصيدة[٣] مطلعها :

رافقها مطربُ الأغاريدِ   فاسْـترقَتْ هِزَّةَ الأماليدِ[٤]
ودَبَّ خمرُ السُّرى بأذرعها   فَهْى على البيدِ فى عرابيـد
وغادرتْها الصبا بمهلكةٍ[٥]   تفجِّرُ الماءَ فى الجلاميـد
تحملُ عن روضِ عالجٍ[٦] خبراً   تسـنده عن ظبائه الغيد
أجرى عليه السحابُ دمع شَجٍ   ومزّقَ البرقُ جَيْبَ مَغْمود
فأغرق الريحَ بين أربعها   موجُ وجيفٍ ببحر توحيـد

ومنها :

فى ذمة الشوق مهجةٌ ركضتْ   تتبعُ زُوراً من المواعيـد
أَهْدَوْا إليها الخيالَ إذ كَحَلُوا   جفونَ أحداقِها بتسهيد
وانعطفوا للأراكِ وَهْىَ عَلَى   عهـدٍ من البانِ غيرِ معهود
عذرٌ يهزُّ الجفاءُ دوحتَـه   تحت صَدوح الملالِ غِرِّيد
/ وناصحٍ يمحض المودةَ لى   وليس فى نصـحه بمودود [٥٤ظ]
ظنَّ فؤادى معى فأنبَهَـهُ   وَهْوَ من الوجدِ غيرُ موجود
سار وجيشُ الغرامِ يتبعـه   تحت لواء عليـه معقود

(١) المجاز : يعنى به المضيق الواقع بين صقلية والبر الإيطالى .
(٢) مسينى : بلد بجزيرة صقلية فى ركنها الشرقى ولها مرسى كبير تجتمع اليه السفن الكبار والمسافرون والتجار .
(٣) هذه القصيدة ليست فى الديوان ، والديوان فى حقيقته مختارات .
(٤) الأماليد : الأغصان الناعمة .   (٥) المهلكة : المفازة .
(٦) عالج : موضع به رمل .

ومنها :

عَرَّجَ عنها الصباحُ منطلقاً — وغادرَ الليلَ رهنَ تقييد
لا يعرف الثعلبُ المقيم بها — لولا الثريا مكانَ عنقود
من عُلَقِ البيضِ صارمَتْ يَدَهُ — حبالُ تلك الغدائر السود
وَعِمَّةُ الشيبِ لا خُدِعْتَ بها — أخلقُ شيءٍ أوانَ تجديد
واللهوُ خدنُ الصبا فمُذْ[1] فُقِدَتْ — أيامُهُ لم يكنْ بمحمود
وأغبنُ الناس من ألَمَّ به — فَقْدُ سوادٍ وفوْتُ تسويد[2]
وفى بنى الدهر كلُّ مُعْضِلَةٍ — من الذى فات والمواجيد
إن أسكرونى بخمر لومهمُ — فقد رَموا عِرْضَهم لعربيد
ومُوعِدٍ صاح بى فقلتُ له — ربَّ وعيدٍ يَطيحُ فى البيد
قد أقسم الحمدُ لا يسيرُ إلى — غيرِ أبى القاسم بن حَمُّودِ
فى يده للنوالِ معركةٌ — أرَى بها البخلَ صارِمَ الجيد
وعنده للضيوفِ نارُ قِرًى — تعرفها البُزْلُ[3] كلما يُودى[4]

ومنها :

وتلتقى كُتْبُه الكتائبَ فى — جيشٍ من الخطّ صائدِ الصيد
بكلِّ لفظٍ كأنه نفَسٌ — غيرُ مُمِلٍّ بطولِ ترديد
صحَّتْ معانيه فاقتسمنَ إلى — فضلِ ابتكار وحسن توليد
وربما استضحك الخميسُ به — عن أهرت[5] الماضغين صنديد

(١) فى الأصل : فقد .
(٢) السواد : سواد الشعر كناية عن الشباب والتسويد : الخضاب .
(٣) البزل : الإبل .
(٤) يريد كلما ذبح البزل للضيفان .
(٥) أهرت : من الهرت وهو التمزيق .

يهوى قَوامَ القناة ذا هَيَف   ووجنةَ القَضْب ذات توريد

ومنها :

دوحةُ مجدٍ تميدُ ناضرةً   لمحسناتٍ بحسنٍ تجديد

عرضتُ منها لنار تجربتى   عودًا ففاحت روائحُ العود

ومن قصيدته المورَدة الثانية كِلْمة مطلعها :

نَعَمْ هُوَ البرقُ على الأنعُمِ[1]   فاشْقَ به إن شئت أو فأَنْعِمِ

لاح بأعلى هضبة خافقًا   خَفْقَ لواء البطل المُعْلَمِ

وزلَّ عن صَهْوَة طِرْفِ الدجى   سقطةَ جُلٍّ الفرسِ الأدْهَمِ

حتى إذا قابلَ وادى الغَضا   أغضى على مدمعه المثجِم[2]

واستقبلَ السفحَ وكم فوقه   من مقلةٍ سافحةٍ بالدمِ

فحينما شقَّ كنوز الربى   عن ذلك الدينار والدرهم

قام نساءُه[3] الحى يجنينَهُ   بين فرادى منه أو توأمِ

فأشكل النُّوران من مَبْسِمٍ   تَعْبَقُ ريَّاه ومن مَنْسِمِ[4]

واشتبه الروضان فى نضرة   إلى حياه وحيًا ينتمى

ما بين جناتٍ إلى أعينٍ   وبين خيْرِىٍّ[5] إلى حَيْرَمِ[6]

ومعركٍ بينهما لم يزلْ   يفتكُ فيه الظبىُ بالضيغم

---

(١) الأنعم : موضع فى عالية نجد .

(٢) المثجم : من أثجمت السماء : سال مطرها ودام .

(٣) فى الديوان : فرادى .

(٤) منسم : من نسم المكان : عبق بالأريج .

(٥) الخيرى : نوع من الزهر .

(٦) الحيرم : البقر الوحشى ، وفى الأصل : حرم .

بين حِمًى بات كليبٌ[1] به مجرَّدًا من شمـلةِ المحتمى
يمنعُ ضيفَ العين منه القِرَى وهو مباحٌ ليَـدٍ أو فم
يا عاقرى النيبِ[2] لضيفانهم غلطتمُ فى كبدِ المغـرم
أتلفتمُ قلبى فماذا الذى خفَّفَ عنكمْ ثِقَلَ المَغْرَم
كم من دمٍ باتَ به[3] حيُّكم كأنه ملتقط العنـدم
وكم عيونٍ أصبحت عنـدكم معدودةً من جملة الأسهم
لا طرَقَتْ ربعَكُمُ غارةٌ يَسْأَلُ فيهـا معشرى عن دمى
ولا سرتْ نحوكمُ أُسْرةٌ تأْسِرُ بالداهيةِ الصـيلم[4]
من كل من تصدُرُ أسيافُهُ بضربةٍ مثـل دم الأهتم[5]
يقول إن جرَّ كعوبَ القنا تأَبَّطَ الضـيغمُ بالأرقم
لو لم تكنْ من فتَكاتِ الهوى شَقَّتْ على الحافرِ والمَنْسم
ما هـــذه أوَّل ما ردَّنى عنه بلا أجـــرٍ ولا مغنم
فخلِّ عن عتبك لى إنهـــا شِنْشِنَةٌ تُعْرَفُ من أخْـزَم[6]
أقسمتُ بالله ولولا عُـــلا مجـــدِ أبى القاسم لم أُقْسِم
إن أبنَ حَمَّـــودٍ له راحةٌ تستجلب الحمدَ من المِرزَمِ[7]
المجمِلُ[8] المنعمُ إن حُــبِّرَتْ مدائحٌ فى المجمـــل المنعم

(١) يشير هنا إلى كليب وما كان عليه من زهو شديد فكان يحمى مواقع السحاب ، فلا يرعى حماه ، ولذلك يقال فى المثل (أعز من كليب) .
(٢) فى الديوان : البيت وهو تحريف .
(٣) هكذا فى الديوان وفى الأصل : بكم . (٤) الصيلم : السيف .
(٥) الأهتم : لقب سنان بن خالد لأن ثنيته هتمت يوم الكلاب .
(٦) مثل يضرب فى قرب الشبه .
(٧) المرزم : نوء ونجم من الشعريين وهما من نجوم المطر .
(٨) المجمل : الذى يصنع الجميل .

والكعبةُ الغراء لكنها[١] … تُحِلُّ ما يَحْرُمُ للمحرم
فى كل يومٍ لوفود الندى … ببابه[٢] مُجتمَعُ الموسم
للمالِ من راحته عندهم … أضعافُ ما للماء من زمزم
/ يفيض بحرُ الجود من كفِّهِ … فَيَزْدَرِى بالزاخر الخِضْرِمِ [٥٥ و]
سائلُهُ أو سَلْهُ تجد عندهُ … هُدَى جهولٍ وغِنَى مُعْدِمِ

ومنها :

ولو أعارَ الليلَ آراءه … ما احتاجَ ساريه إلى الأنْجم
فضائلٌ كادتْ لإفراطِها … تُنْطِقُ بالشكرِ فمَ الأبكم
ما بدأ الإحسانَ فاحتاج أنْ … يقول راجيه لهُ تَمِّمِ
يا من يجاريه إلى غايةٍ … سالِمْهُ وارْجِعْ دونه تَسْلَمِ
لا يرتقى للنجم ذو سُلَّمٍ … فكيف من كانَ بلا سُلَّمِ
يا سيدًا أفعالُهُ غُرَّةٌ … فوق جبينِ الزمن الأدهم
صُمْ وافرَ الأجْرِ وصِمْ[٣] حاسدًا … يشجوه قولى لكَ صُمْ أو صِم
وابقَ وزدْ واعلُ وسُدْ واصطنعْ … وأردفْ[٤] وجُدْ وابدأْ[٥] وعِدْ واسْلَمِ

وله من قصيدة :

زَهَرْنَ[٦] فاعجب لروضٍ ماله زَهَرُ … إلا المباسمُ والألحاظُ والطرَرُ
ولا تقلْ لهبُ الوجْناتِ يَحْرِقُها … فللعذارِ[٧] على أرجائها نَهَرُ

---

(١) فى الديوان : لكنه . (٢) فى الديوان : بنانه .
(٣) صم : من الوصمة وهى العيب والعار .
(٤) فى الديوان : وارق .
(٥) فى الديوان : وابد .
(٦) فى الديوان : سفرن ، وسفر وزهر : أضاء . (٧) فى الديوان : فللمقود .

أَحْسِنْ بها غُرَرًا قالت محاسنهـا　　　بالنفسِ يُحْمدُ فى أَمثالِى الغَرَرُ(١)
سفرْنَ(٢) والليلُ طِرفٌ أدهمٌ فَجرَتْ　　　فيه الحجولُ من الأنوارِ والغُرَرُ
وقُمْنَ(٣) يَحْمِلنَ فى الأجفانِ مرهفةً　　　لو كانت البيضَ قلنا إنها البُتُرُ
وكان من فعلها بالسحرِ أَنْ فعلتْ(٤)　　　على العِشاء بما يأتى به السَّحَر
فما ارتقبتُ الدرارى إذ سهرت لها　　　الأ كاصدافِ يمٍّ(٥) حشوُها دُرَر
ولا اجتليتُ بدورَ الأفق عن كَلَفٍ　　　إلا بمن أُتْلِفَتْ فى صَوْنِهِ البِدَرُ
وفى الحشا والحشايا صبوةٌ كَبرتْ　　　فزادها عنفوانًا ذلك الكِبَر
تورى زنادَ اشتياقٍ ما استطارَ به　　　لى من مشيبِىَ بل من أدمعى شَرَر
وفى فؤادىَ لا فَوْدِى قتيرُ(٦) هوىً　　　لم يُخْفِهِ الشَّعْرُ إن لم يبده الشَّعَر

ومنها :

أنا المحبُّ وما بى من يقالُ له　　　أولى لك العذلُ لا أولى لك العُذُر
إن قلتُ ماسَ فما قصدى به غُصُنٌ　　　أو استنارَ فما قصدى به قَمَرُ
المالُ عند ذوى الإقتارِ(٧) مُحْتَقَبٌ　　　والمالُ عند ذوى الأَقْدارِ محتقر
فإن عدمتُ الذى صاروا به عُدُمًا　　　فما افتقرتُ وعندى هذه الفِقَر
ولم أُقَلْقِلْ ركابى أَنْ نأى(٨) وطَنٌ　　　ولا أطلتُ اغترابى أن نبا وطر
لكن بنو الحَجْرِ استدعت مكارِمُهُمْ　　　عزْمى وقد كاد يُسْتَدْعَى بها الحَجَر
نادى لسانُ الندى منهمْ فأسمعنى　　　فقمتُ أعبر بحرًا(٩) كله عِبَر

(١) الغرر : الخطر　　　(٢) فى الديوان : ولحن .
(٣) فى الديوان : وقلن .　　　(٤) فى الديوان : هجمت .
(٥) فى الأصل : صم .　　　(٦) القتير : الشيب .
(٧) فى الأصل : الأقدار ، وفى الديوان : الأوزار .
(٨) فى الأصل : نبا .
(٩) فى الديوان : سحر .

ومنها :

ترى المواخرَ تجرى فى زواخرِهِ — فترتقى فى أعاليـــه وتَنْحَدِرُ
من كل سـوداءَ مثلِ الخالِ يحملها — بوجنةٍ منـــه فيها للضحى خَفَرُ
لذاكَ جادوا نَدًى فيه أَجَدْتَ بنا — فليس يُعْرَفُ لا حَصْرٌ ولا حَصَرُ

ومنها :

والشعرُ منـه قصيرٌ عمره زَهَرٌ — يَذْوى ومنه طويلٌ عمره زُهُرُ(١)
وكالمواعظِ سهلٌ صَوْغُها زُبُرٌ — وكالحديدِ ثقيـــلٌ وزنه زُبَرُ(٢)
أو كالعيونِ فهذى حظُّها حَـوَلٌ — يَغُضُّ منها وهـذى حظُّها حَوَرُ

ومنها :

لله درُّ حياء(٣) حزته وحِبًا(٤) — كأنك العَضْبُ منه الأَثْرُ والأَثَرُ
وفى يمينك يجرى كيف تأمره — ما يحسد الذكَرَ عنه الصارمُ الذَّكَرُ

ومنها :

أنالنى فى اغترابى كلَّ مُغْربة — فما النفيرُ بمعدومٍ ولا النَّفَرُ
وشـد أزرى فما أخْفَى بنائبةٍ — تقولُ أبياتهـا هيهات لا وَزَرُ
من بعد ما قرَعَتْنى كلُّ قارعة — أيامها الحمرُ(٥) من أعيانها الحُمُرُ
وبت أضرب بالأشعارِ طائفةً — لو أنهمْ ضُربوا بالسيف ما شعروا
إذا نحتُّ القوافى من مقاطعها — قالوا تكلّفْ لنا أنْ يَفْهمَ البقرُ

---

(١) زهر : نجوم كناية عن الخلود .
(٢) الزبر الأولى : الكتب ، والثانية : قطع الحديد .
(٣) فى الديوان : حياً قد حزته .
(٤) الحبا : العطاء .
(٥) الأيام الحمر : الشديدة أو المجدبة .

وقال من قصيدة يصف فيها البحر وركوبه وقَصْدَه أيام وفوده :

سَفَرَتْ عنكَ أوجُـه الأَسْفَارِ   وجَرَتْ بالمنى إليك الجوارى
فرفعنا لكَ الـكواكب يا بد   رَ الدياجى على الهلالِ السارى
وركبنا على عَذَاب بحـارٍ   أنزلتنا على عِذابِ بحـار
واعتسافُ الأخطار(١) يحْمِلُ(٢) ما كا   ن طريقاً إلى ذوى الأخطار
ما امتطينا أخت السحائب إلا   لتوافى بنـا أخا(٣) الأمطار
كل نونٍ من المراكب فيهـا   أَلِفَاتٌ مصفوفة للصـوارى(٤)
تَقْسِمُ المـاء والهواء لساقٍ(٥)   وجناحٍ من عائمٍ طيـار
وهى ضِدّانِ من جوانح ليـلٍ   قد أُقيمَتْ ومن جناحَىْ نهار(٦)
[٥٥ ظ] / صُوِّرت كالفيولِ لولا قلوعٌ   أبرزتها فى صورةِ الأطيـار
عَوَّضَتْنا الأوطانَ عندك والأو   طارَ بعد الأوطانِ والأوطار
فاستحقّتْ بأنْ تُعَوَّضَ عودا   بعد عُود وعنـبراً من نار

ومنها :

وأياديك إنهنَّ ثمـارٌ   حَمَلَتْهَا معاطفُ الأحـرار
ومساعيـك إنهنَّ نجومٌ   مشرقاتٌ على سماء الفخار
أَنتَ فى الفضل فى بنى الحجر السا   دةِ مثلُ الياقوتِ فى الأحجار

---

(١) فى الأصـل : يحمل . (٢) ما : هنـا ظرفية زمانية .
(٣) فى الأصل : أخو .
(٤) رواية الديوان : ألف مستقيمة للصـوار . والصوارى : جمع صارية وهى العمد التى يشد إليها الشراع أو القلع .
(٥) فى الديوان : بساق .
(٦) يشير إلى ظاهر السفينة ، وما كانوا يضعون عليها من قار ، وإلى قلاعها وشراعها .

ومنها فى القلم :

وبيمناك طَيْرُ يُمْنٍ[١] وسَعْدٍ   أصفرُ الظهر أسودُ المنقـار

قـلمٌ دبّرَ الأقاليم فالكتْـ   ـبُ به من كتائب المقدار[٢]

يا طرازَ الديوان والملكِ أصبحـ   ـتَ طرازَ الديوان فى الأشعار

وبنوكَ الذين مهما دجا الخطـ   ـبُ أرَوْنَا مطالعَ الأقمار

فأبو بكرٍ الذى أحـرز المجـ   ـدَ بسعى الرَّواحِ والإبتِكار

وتلاه فيما تلاه أخـوه   عُمَرٌ عاش أطولَ الأعمـار

ولعثمانَ حـــظٌّ عثمانَ إلا   فى الذى دار من حديث الدار[٣]

ومنها :

وإذا شئت فالمجـرّةُ بَحْرٌ   لىَ فيه بناتُ نعشٍ سَمارِى[٤]

وبكفِّى من النجومِ كثيرٌ   هُوَ ما قَدْ وهبتَ من دينار

ومن نثره فيه :

ولما أُذن لشوالٍ فى أن تُشالَ[٥] الكؤوس، ويُوضعَ[٦] فى طاعة الخمر بالرءوس، خلعنا عن سوالفِ الخلاعة عذارَ[٧] العذَلِ، وركبنا خيْلَ الفتك والمجونِ على أرض الجذَل، وقلبنا لبطن العفة ظهر المِجَنِّ، وسرنا نَبْعَجُ[٨] تحت عجاجِ النُذُرِ[٩] وِدَاجَ[١٠] الدنِّ.

(١) هكذا فى الديوان وفى الأصل : سعد. (٢) فى الديوان : الأقدار.

(٣) يشير إلى قصة محاصرة الثوار لدار عثمان ثالث الخلفاء الراشدين ، وهى محاصرة انتهت بقتله. (٤) سمارى : جمع سمير وخفف للشعر. (٥) تشال : تحمل.

(٦) يوضع : من أوضع البعير فى السير ، وأوضع : أسرع.

(٧) فى الأصل : عذر. (٨) نبعج : نشق بالسكين.

(٩) فى الأصل : البدور ، والنذور : جمع نذر ، وهو الوعد ، وهو أيضاً العقل فى الثأر. (١٠) الوداج : عرق فى العنق.

وله فى وصف بركة :

بركةٌ بوركتْ فنحنُ لديها   نَسْتَفِيدُ الغِمارَ[١] فى ضحضاحِ
قطرتْ من قرارها بعيونٍ   غادرتْنا بأسرع الإلتماحِ
تسرق اللحظة اختلاساً وتمضى   نظرةَ الصبِّ خافَ إنكارَ لاحِ
قد صَفَتْ واعتلى الحَبَابُ عليها   فَهْىَ سيان مَعْ كؤوسِ الراحِ
أىُّ درعٍ مصونةِ النسجِ تمتد السواقى فيها[٢] بمثل الصفاح

ومنها :

ومغنٍّ تناولتْ يدُه العو   دَ فعادت[٣] بنا إلى[٤] الأفراح
جَسَّ أوتارَهُ فأصلح منَّا   صالحاً صارَ فى يدِ الإصلاح
بين ريحٍ من المزامير أسْرَى   بين أجسامنا من الأرواح
وصِبَاحٍ قد عقدُوا طُرُزَ الليـ   ـل جمالاً على الوجوه الصِّبَاح
يبعثُ الروضُ منهمُ حركاتٍ   سَرَقَتْ بعضها طوالُ الرماح
هكذا هكذا وإلا فلا لا   طُرُقُ الجِدِّ غيرُ طُرُقِ المِزَاح

وله فى وصف مغن :

لا أشربُ الراحَ إلاَّ   ما بين شادٍ وشادنْ[٥]
وإن فَنِيتُ فعندى   إلى مَعَادٍ مَعَادنْ
قمْ يا نديمى فأنْصِتْ   والليلُ داجٍ لداجنْ[٦]

(١) الغمار : جمع غمر ، وهو الماء الكثير. (٢) فى الأصل : عليها .
(٣) فى الأصل : لنا . (٤) فى الأصل : على .
(٥) الشادن : الغزال إذا طلع قرناه .
(٦) داجن : مغن .

غـــنَّى وناح فـنزَّه   تُ ثوبَ خاشٍ مُخَاشِن[(١)]
طاوِعْ على القصفِ والعزْ   فِ كلَّ حاسٍ مُحَاسِن[(٢)]
وانهض بطيشك عن سَمْ   تِ ذى وقارٍ وَقَارِنْ
هاتِ الـكميتَ[(٣)] وأهلاً   منها بصافٍ وصـــافن
أنورُ من ذى ومن ذا   بكل غاب بغـــابن[(٤)]
وإن رمتـنى الليالى   يوما بداهٍ أُداهِـــن

وله فى ذم زامر :

تعبتَ وما أتيتَ لنا بشىء   فـكيف تكون ساعة تَسْتَرِيحُ
فلا تُـكْثِرْ علينا فى مُحَالٍ   بِزَمْرِكَ ، صَحَّ أن الزمرَ ريح

وله :

ينافرُ إيقاعهُ صـــوتَهُ   فهـذا يزيدُ وذا ينقصُ
ويتبعه زامرٌ مثـــلُهُ   تبيـعٌ[(٥)] له نَفَسٌ أوْقَص[(٦)]
فإن قامَ ما بيننا راقصًـــا   فـكلٌّ إلى بيتـــهِ يرقص[(٧)]

وله فى مغن :

تَثَنَّى فلاميْس[(٨)] الغصونِ ولينها   ورجَّعَ أصواتاً فلا تَذْكُرِ الوُرْقَا
وأعجبُ [إذ تحتث[(٩)]] يمناهُ طارة   فتسمعها رعـداً وتبصرها برقَا

---

(١) فى أعيان العصر : حاش محاسن .   (٢) فى أعيان العصر : وحاسن .
(٣) الـكميت : الخمر والفرس . وجاء فى آخر البيت بصفتى « صاف وصافن » مناسبتين لهذين المعنيين على التتابع .
(٤) فى أعيان العصر : فى كل غاب وغابن .   (٥) فى الأصل : تليع .
(٦) أوقص : قصير .   (٧) يرقص : يسرع .
(٨) هكذا فى الديوان ، وفى الأصل : تغنى فلا تنس ، وهو تحريف .
(٩) زيادة من الديوان ، سقطت من الأصل ، واحتث : حرك ، والطارة : الدف .

وله القصيدة السيارة التى مطلعها :

أَلْحِقْ بنفسجَ فجرى وَرْدَتَىْ شَفَقِ(١)   كافورة الصبح فتّتْ مسكةَ الغسَقِ
قد عطّلَ الحسنُ(٢) من أسمار(٣) أنجمه   فاعقدْ بخمرك فينا حِلْيَةَ الأُفُقِ
قم هاتِ جامك شمساً عند مصطبح   وخلِّ كاسكَ نجمًا عند مغتبق
واقسمْ لكل زمان ما يليقُ به   فإن للزَّند حليًا ليس للعنق
هبَّ النسيمُ وهبَّ الريمُ فاشتركا   فى نكهةٍ من نسيم الروضة العبِق
واسترقصتنىَ كاسترقاصِ(٤) حاملها   فخضرةُ الوُرْقِ فى مخضرّة الوَرَقِ
[٥٦ و] وبتُّ(٥) بالكأس أغنى الناسِ كلِّهمِ   / فالخمرُ من عسجدٍ والماء من وَرِق
كم وَرَّدَت وجنات الصِّرفِ فى قدحٍ   [فتحتْ بالمزج ما تعلوه من حدق](٦)
يسعى بها رشأٌ عيناه(٧) مذ رمقت   لم يُبْقِ فىَّ ولا فيها سوى الرمق
حبابُها وأحاديثى ومبسِمُه   ثلاثةٌ كلها من لؤلؤٍ نَسَق
حتى إذا أخذتْ منى(٨) بسَوْرتها   ما يأخذُ النوم من أجفان ذى أرق
ركبتُ فيه بحاراً من مجانبها   أنّى سلمتُ ولم أشعرْ(٩) من الغرق
ولم أزل فى ارتشافى منه ريقَ فمٍ   [أطفأْتُ فى برْده مشبوبةَ الحُرَق](١٠)

(١) الشطر فى الديوان هكذا : ألحق بنفح فجرى وردتى شفق ، وهو تحريف .
(٢) فى الديوان وأعيان العصر ٢ /٢٣٣ : الأفق .
(٣) أعيان العصر : أسماط .
(٤) هكذا فى الديوان وأعيان العصر وفى الأصل : واستقرضتنى كاستقراص .
(٥) فى الديوان : فصرت .
(٦) بياض فى الأصل ، والتتمة من أعيان العصر ، والبيت غيرموجود فى الديوان .
(٧) فى الديوان : إن عينه رمقت .
(٨) فى أعيان العصر : منا .
(٩) فى أعيان العصر : وما أدرى .
(١٠) فى الأصل بياض ، والتتمة من أعيان العصر ، والبيت غير موجود فى الديوان .

يا ساكنَ القلب عما قد رميت به ... من ساكنى الجزع[1] مَعْ ما فيه من قلق

[لا تعجبنَّ لكل الجسم كيف مضى ... وإنما أعجب لبعض الجسم كيف بقى][2]

لم أسترِق بمنامى وصلَ طيفهمُ ... فما له صار مقطوعاً على السَّرَق

من شعر أبى محمد بن سنان الخفاجى[3] حيث يقول :

إذا سكنتمْ فقلبي دائمُ القلق ... وإن رقدتمْ فطرفى دائمُ الأرَق

سرقتُ بالنوم وصلاً من خيالكمُ ... فصار نوْمِىَ مقطوعاً على السَّرَق

ومن[4] قصيدة ابن قلاقس :

فى الهندما[5] قيل أسيافُ الحديدِ ولو ... لا هندُ ما قيلَ أسيافٌ من الحَدَقِ

وبتُّ بالجزع فى آثارهم جَزِعًا ... إن جُرِّدَ البرقُ إيماضاً على البُرَق[6]

فى نارِ وجدىَ معنًى من تلهبه ... وفى فؤادىَ ما فيه من الوَلَق[7]

وله من قصيدة فى مدح وزير[8] صاحب صقلية :

جرت خيلُ النسيمِ على الغديرِ ... ورُدَّت تحت قسطلة[9] العبيرِ

وعبَّ الصبحُ فى كأس الثريا ... وكان براحةِ القمرِ المنير

وقام على جبين الشمس يهفو ... كما يهفو اللواء على أمير

ودارَ بهِ[10] على يده فكانت ... كطَوْق الجام فى كفِّ المدير

---

(١) الجزع : منعطف الوادى وقرية عن يمين الطائف .

(٢) الزيادة من أعيان العصر .

(٣) من أدباء القرن الخامس للهجرة ، وهو من تلامذة أبى العلاء ، ومن أشهر مؤلفاته سر الفصاحة . توفى سنة ٤٦٦ هـ .

(٤) فى الأصل : وله من ، وكلمة له زائدة .

(٥) أعيان العصر : قد . (٦) البرق : جمع برقة وهى الروابى .

(٧) الولق : الطعن .

(٨) سماه جردنا فيما يلى وربما كان فى كلمة وزير شىء من التجوز .

(٩) فى الديوان : قسطال ، وكلاهما الغبار . (١٠) فى الديوان : بها .

وَمَجَّتْ فى زجاج الماء لوناً هى(١) انتزعته من حَلَب العصير
فقمنا نستقيم(٢) إلى قلوبٍ تناجَتْ تحت أستار الصدور
نُحَقِّقُ بالمنى عِدَةَ الأمانى ونملأُ بالرضى حُبَّ السرور
إلى أن غادرَتنا الكأسُ صرعى نفرٌ من الكبير إلى الصغير

ومنها :

وجرَّدنا(٣) المدائح فاستقرتْ على أوصاف جُرْدَنَّا(٤) الوزير
فنظَّمْنا المفاخرَ كاللآلى وحلَّينا المعالىَ كالنحور
وقمنا فى سماء العز نرعى جبين الشمس فى اليوم(٥) المطير
وأعجبُ ما جرى أنَّا أمِنَّا ونحن بجانب الليثِ الهَصُور
وأرسلنا من الأقداح ريحاً(٦) تهزُّ بها المعاطفَ من ثَبِير(٧)
وقلَّدناهُ دُرًّا جاء منه كذاك الدُّرُّ جاء من البحور

ومنها :

لهيبُ صواعقِ العَزَماتِ منه يكادُ يذيبُ أفئدةَ الصخور
وماء مكارم الأخلاقِ منه يكادُ يردُّ صاعدةَ الزفير
وأغراسُ الأمانى فى يديهِ تهزُّ معاطفَ الدَّوْحِ النضير

(١) فى الديوان : قد . (٢) فى الديوان : نستتيم ، ولعلها محرفة عن نستنيم .
(٣) فى الديوان : وجودنا .
(٤) Giordano ، وليس فيما بين أيدينا من مصادر ما يدل على أن رجلا بهذا الاسم كان وزيراً للملك غليالم الثانى ، ولكنه اسم شائع فى صقلية فى العصر النورمانى . وفى الديوان : يزجرد .
(٥) فى الديوان : الغيث .
(٦) فى الديوان : وأرسلنا من الأشعار نشراً .
(٧) ثبير : جبل بظاهر مكة .

١١ – الشيخ أبو الحسن

على بن أبى الفتح بن خلف الأموى

لا شك أنه من ساكنى صقلية فإن ابن قلاقس أورده فى الزهر الباسم، وقال: هو حدَقةُ العلم الناظرة، وحديقة الأدب الناضرة. وإنما ذكرته أنا فى أهل مصر حيث اقتضاه هذا الموضع للمكاتبات التى جرت بينه وبين ابن قلاقس.

قال: كتب لى أبو الحسن على بن خلف الأموى رقعة أنفذها لما أردت الرحيل عن صقلية:

يا ماجداً طَبْعُه أحلى من الماذِى[1] ... ومن يفوقُ ذكاء أهلَ بغداذ
وَهِمْتُ فى رُقْعَةٍ سيَّرْتُها عجلاً ... إليك ما بين تلميذٍ وأُستاذ
فأَبسُطْ لىَ العُذْرَ واعلم أننى قلِقٌ ... ذو خاطرٍ لنواكم آلِمٌ هاذى

قال: فأجبت، ولو أطعت الخجل لاحتجبت:

هذى المحاسنُ قد أُوتيتَها هذى ... فكلُّ شخصٍ تعاطى شأوَها هاذى
أقسمتُ بالنحل إنَّ النحل قائلةٌ ... ما ذى الحلاوةُ مما يُحْسِنُ الماذى
أنفذتَ شعرًا فأنفذْتَ القوى فجرى ... شكوٌ وشكرٌ لإنفادٍ وإنفاذ
وقتَ لى من جفاء من صَقَلِّيَةٍ ... بلطفِ مصرَ عليهِ ظَرْفُ بَغداذ
إن كان طبعُك من ماء ورقَّته ... فإن ذاك فِرِنْدٌ بينَ فُولاذِ[2]
وما وهمتُ وفى التلميذ معرفتى ... حقًّا لأنك معروفٌ بأُستاذى
الله يعلمُ لولا أنتَ ما جُعِلَتْ ... يدى على كبدٍ للبينِ أفلاذِ

قال: وفاض بحر آدابه فيضاً، فكتب إلىّ أيضاً:

أيا شمسَ الجلالِ على اقتصادِ ... ويا بدر الكمال لدى اتِّقادِ

---

(١) الماذى: العسل الأبيض.
(٢) هكذا فى الديوان وفى الأصل: بولاذ.

[٥٦ ظ] ويامن بذَّ فى الأشعار مَن قد / أبادَ الدهرُ مِن أزمانٍ عادِ
لقد أصبحتَ لى خلاًّ صَفِيًّا وحبُّك قد تمكَّن فى فؤادى

ومنها :

يعزُّ علىَّ أن تنأَى وأبقى فريداً مستهامًا للبعاد
وإن حكَمتْ بفرقتنا الليالى وقِدْمًا فرَّقتْ أهلَ الوداد
فودِّى ثابتٌ أبداً مقيمٌ على مرِّ الليالى فى ازدياد
ولولا طِيرَةٌ للبين تُخْشَى لبستُ لذاك أثوابَ الحداد

قال : فأجبت ، وليتنى أبجبت :

هو النادى وأنت به أنادى فيامُرْوِى الحيَا مُورِى الزناد
لسانُكَ أمْ سنانُكَ دارَ فيما أُراه من الجدالِ أو الجِلاد
تُبرِّزُ فى اضطلاع واطلاع وتَبْرُزُ فى انتقادٍ وانْتِقاد
وكم لك فى الفصاحة من أيادٍ مَلَكْتَ بها الفخار على الإيادى(١)

ومنها :

مِنَ الشعراء قلبى منك أضحى يهيمُ صبابةً فى كل واد
تَخِذْتُكَ من صَقَلِّيَةٍ خليلاً فكنتَ الوردَ يُقطَفُ من قتاد
وَشِمْتُكَ بين أهليها صَفِيًّا فكنتَ الجمرَ يُقْبَسُ من زِناد
فإنْ وَسِعَتْكَ حيزومٌ(٢) وإلاَّ فما ضاقت حيازيمُ البلاد
فديتك كلنا فيها غريبٌ وذا نسبٌ يضاف إلى الوداد
مُرادى أن أراك ولست أشدو (عذيرَكَ من خليلِكَ من مُرادِ)(٣)

(١) يريد قس بن ساعدة الإيادى .
(٢) الحيزوم : الأرض الصلبة ، والصدر .
(٣) عجز بيت من الشعر يقال إن علىَّ بن أبى طالب كان يردده إذا رأى ابن ملجم ، وصدره : أريد حياته ويريد قتلى .

ومنها :

وإنى عنك بعد غدٍ لغادٍ وقلبى عن فِنائك غيرُ غاد
فأبعدُ بعدنا بُعْدُ التدانى وأقربُ قربنا قربُ البعاد

وذكر غير هذا مما كتبه والجوابَ عنه .

١٢ — ابن المنجم

من مصر

نشو الدولة على* بن مفرج المنجم

سمعت القاضى أبا القاسم حمزة(١) بن عثمان(٢) سنة إحدى وسبعين بدمشق ، وقد وفد إليها بمهمّة(٣) ، يقول : بمصر شاب مبرز فى الشعر مجيد وقد وَخَطه الشيب ، وانتفى عن أدبه العيب ، وله بديهة مليحة ، وفكرة صحيحة ، وذكاء وقريحة ، وإنما أفسدَ حاله أنه ضمن الصابون والملاهى ، وارتكب فى عسف الناس المناهى ، فاستغاثوا منه واستعدَوْا عليه ، وامتدت ألسنتهم فيه ، فعُذِّبَ بالنفى إلى عَيْذاب ،

(*) نشأ ابن المنجم على اللهو والمجون ، وله أخبار كثيرة فى بدائع البدائه لابن ظافر وهى تدل على أنه كان لا يكاد يفترق عن ابن الذروى وابن قلاقس وقال السيوطى فى حسن المحاضرة (طبع بولاق ١٢٩٩ هـ) ١/٣٢٦ : كان أشعر أهل زمانه وأفضل أقرانه ، مدح الملوك والوزراء ، وفيه فضائل ، ولد عام ٥٤٩ وتوفى عام ٦٢٠ هـ . وانظر المغرب نسخة (دار الكتب) المجلد الثانى الورقة ١٧٢ ولم يزد ابن سعيد شيئا عن العماد ، وانظر ترجمة أسامة بن منقذ فى ابن خلكان .

(١) ترجم له ابن سعيد فى المغرب (نسخة دار الكتب) المجلد الثانى الورقة ١٠٥ وقال إن بنى عثمان يتقدمون حتى عصره (القرن السابع) فى الدواوين المصرية ، ثم أشار إلى أن أبا القاسم هذا كان عميد الأسرة وأنه توفى سنة ٦١٦ هـ

(٢) هكذا فى ديوان ابن سناء الملك وفى الأصل : عمان .

(٣) فى الأصل : بعيته .

وهذَّب بها الأهداب[١] ، ثم وصل إلى الشام فى خدمة الملك المعظم تورانشاه ابن أيوب من اليمن فلقيته ، واستنشدته من شعره فأنشدنى كثيراً منه ، وعرفنى أن القصيدة العينية التى كتب بها شمس الدولة من تيماء منصرفه من اليمن إلى أخيه الملك الناصر بدمشق هى له .

وتسايرنا فى طريق مصر فأنشدنى لنفسه من قصيدتين بيتين فى الخضاب ، وهما :

وما خضب الناسُ البياض لقبحهِ ... فأقبحُ منه حين يظهر ناصِلُهْ
ولكنما مات الشبابُ فسُخِّمَتْ[٢] ... على الرسم من حُزْنٍ عليه منازِلُهْ

وأما العينية التى كتبها عن شمس الدولة إلى أخيه فهى :

ولما تمادتْ مُدَّةُ البين بيننا ... ونازعنى قلبٌ إلى الشام نازعُ
ركبت اشتياقاً مُوضِعًا حين شاقنى ... هوى ساكنيها لم تَسَعْني المواضع
فهل لأخى بل مالكى علمُ أننى ... إليه وإن طالَ التردُّدُ راجع
وإنى بيومٍ واحدٍ من لقائه ... لمُلْكى على عُظْمِ البريّةِ بائع
ركبتُ إليه الليلَ وهْو غياهبٌ ... وجُبْتُ إليه الأرضَ وهْىَ بلاقع
ولبّيته لما دعانى مسارعًا ... بنفسى ومالى والمشوقُ مسارع
فيابرقُ طالِعْهُ بأنِّىَ واصلٌ ... إليه ونجمُ القُرْبِ بالوصلِ طالع
ولم يبقَ إلاَّ دون عشرين ليلةً ... وتَجْنِي المُنَى أبصارُنا والمسامع
لدى مَلِكٍ تعنو الملوكُ لبأسهِ ... وتخشعُ إعظامًا له وهْو خاشع

ومنها :

وتضطربُ الدنيا لبثِّ جنوده ... سوى ما حواهُ مُلْكُه فهو وادِعُ

---

(١) فى الأصل : الأذهاب .

(٢) فى النجوم الزاهرة طبع دار الكتب ٥٦/٦ : فسوِّدت .

١٣ — الفقيه البليغ

أبو عمران

موسى بن على السخاوى

من الأعمال الغربية بمصر ، وسَكَنُه الإسكندرية . ذكره لى الأمير عز الدين محمد بن مصال فى سنة سبعين وأثنى على فضائله وقَرَّظها ، وأنشدنى من أشعاره التى حفظها ، وذكر أنه الآن شاعر تلك المَدَرَة(١) ، وبسماعِ قلائده جلاء الأفهام الصَّدِئَةِ / وصفاء القرائحِ الكَدِرة . [٥٧ و]

فمن قصيدة له قوله :

هـذى ديارهمُ وتلك نوارُ   نأت النوى وتدانت الأوطارُ
فأرِحْ متونَ العيسِ من دَوِّيَّةٍ   تسرى الرياحُ بأرضها فتحار
يتجشَّم المشتاقُ شمَّ ترابها   ويضلُّ فيها الكوكبُ السَّيار

ومنها :

ولرب موحشةٍ قطعتُ ومؤنسى   طِرْفٌ أغرّ وكوكبٌ غرّار

وذكر بعد ذلك ليلة ، ووصفها إلى أن قال :

حتى استجاشَ على نَجاشىِّ الدُّجى   من قيصرىِّ السُّدْفَةِ(٢) الإسْفَارُ
وأتى بزى الترك [يرْفُلُ(٣)] فى قبَا   والشهبُ حول جيوبه أزْرارُ

ومنها :

هذا هو الخبرُ اليقينُ فإن تُرِدْ   عِلْماً فعنـد جُهَيْنَةَ الأخبارُ

وكان الممدوح قد أوقع بعرب الصعيد ومن جملتهم جهينة

(١) المدرة : المدينة . (٢) فى الأصل : السدفا وهو تحريف .
(٣) ساقطة من الأصل وزدناها ملاءمة السياق .

ولما وصلتُ إلى القاهرة سنة اثنتين وسبعين دخلت إلى القاضى الفاضل يوماً وعنده للبليغ السخاوى [قصيدة[١]] قد مدحه بها فى جمادى الأولى وهى جامعة للإحسان فتأملتها ، وهى :

أَغْضَى وأَذْعَنَ حينَ عَنَّ الرَّبْرَبُ ... حتى تَصَيَّدَهُ الغزالُ الأَشْنَبُ
فطوى حشاه على جَوَى جَمْرِ الغَضَا ... مما جنى من جمرةٍ تتلهَّبُ
وصَبَا فأشْرَاه[٢] الغرامُ وذاده ... عن وِرْدِهِ وهو الهزبرُ الأَغْلَبُ
وصبتْ إليه من الصبابة لوعةٌ ... تَغْرِى بكلِّ مُحَرَّبٍ[٣] لا يُغْلَبُ
وهى التى ما زال يجنى حُلْوَهَا[٤] ... من مُرِّها فعذابُها مُسْتَعْذَبُ
ويعدها من كل أحوَى أحْوَرٍ ... ما منه يرتاع الكمىُّ المُحْرَبُ[٥]
إنى على أَنِّى الأبىُّ فؤادُهُ ... فالرعبُ مما ليس منه يَقْرُبُ
أدنو وأشجع إذ دنَتْ أُسْدُ الشرى ... وتعنُّ لى العِينُ الحسانُ فأَرْهَب
وأميلُ من خجل إلى وجلٍ به ... أُضْنَى فذا يكسو وهذا يَسْلُبُ
وأهابُ من أهوى فأستجدِى كما اسْتَجْدَى لفضلِ الفاضلِ المُسْتَصْعِبُ
المستبدُّ بكل فضلٍ فضلُهُ ... فجنابه المأمولُ أخضرُ مُخْصِبُ
والمسترقُّ حرائرَ الشِّيَمِ التى ... أبداً تُصَانُ عن الأنام وتُحْجَبُ
مُتَحَسَّدٌ من لفظِهِ وبلاغةٍ ... طَفِقَتْ بأبكار المعانى تَثْعَبُ[٦]

---

(١) ساقطة من الأصل .
(٢) فى الأصل : فأسره ، وأشرى : أمال .
(٣) المحرب : الأسد والشجاع . (٤) فى الأصل : حولها .
(٥) المحرَّب : الذى دُلَّ على ما يغنمه من الحرب .
(٦) تثعب : تسيل .

كالنارِ إلا أنهـــا لا تنطفى ... والبحر إلا أنه لا يَنْضَبُ
وعليه من نورِ السكينةِ حُـلَّةٌ ... وَثِقَ الزمانُ بأَنَّهـا لا تُسْلَبُ
يَسِمُ اليراعة بالبراعـةِ وَسْمَةً ... عند[1] الخطوب وحين يُعْرِبُ يُغْرِبُ
ويقولُ إلا أنه القولُ الذى ... أعيـا وأعجزَ فهْوَ لا يُتعقَّبُ
أضحى على سحبانَ يسحَبُ ذيلَهُ ... تيهاً وعن إعراب يَعْرُبَ يُعْرِبُ
وحسـامُه القلمُ الذى لم يُمْضِه ... إلا وذلَّ له الحسـام المِقْضَبُ[2]
عارٍ وليس بمُخْـرِمٍ ، ومُنطَّق ... تلقاه وَهْو أصمُّ أبكمُ يَخْطُبُ
يَقْرِى[3] بريقته المنـايا والمنى ... أبدًا ويُرْضِى إذ يَهُزُّ ويُغْضِبُ
كالحية النضـناضِ إلا أنه ... يَسْعَى فيُرْجَى حيث كانَ ويُرْهَب
وتراه يصمتُ حين يُرجى راجلاً ... أبدًا وينطق راكبًا إذ يَشْرَبُ
ويظلُّ ينظرُ من ظلامٍ فى ضُحًى ... فكأنما لحظُ النهار الغَيْهَبُ
واشٍ[4] بمكنون الضمير وعلمُهُ ... عنـه وعن فِطَنِ الأنام مُغَيَّبُ
فإذا وَشَى [وشَّى[5]] المهارقَ أحرفًا ... هن الرياض أصابهن الصَّيِّبُ[6]

ومنها :

وإذا الكرام الكاتبون تصفَّحوا ... صفحاتِه كُتِبَتْ رَضُوا ما يكْتُبُ[7]
وتشرَّفَ الخطُّ الأصيلُ بأنَّهُ ... يُعْزَى إلى عبد الرحيم ويُنْسَبُ
فلذاك سالمَهُ الزمانُ ولم يكن ... إلا على أحكامه يتقلَّبُ
وتقاصرت همَمُ الرجالِ عن الذى ... لم يرضَ مركبه وعما يَرْكَبُ

(١) فى الأصل : غرر .
(٢) المقضب : القاطع .
(٣) فى الأصل : يعدى .
(٤) فى الأصل : وشى .
(٥) ساقطة من الأصل .
(٦) الصيب : السحاب الممطر .
(٧) فى الأصل : يكتبوا .

وعَنَتْ له الدنيا ودانت وهْيَ إذْ مَلَأَتْ يَدَيْهِ بعضُ ما يَسْتَوْجِبُ

وذكرها جميعها وهى طويلة(١) :

قال : وسمعت الملك الناصر يثنى على بلاغته ، وبديهته فى براعته ، وأنه سمى بليغا لنثره الذى هو أحسن من شعره . وتوفى فجأةً — وُجِدَ ميتاً فى فراشه فى منزله فى ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين .

١٤ — الصالح أبو الغارات

طلائع(*) بن رُزِّيك

سلطانُ مصرَ فى زمان الفائز وأول زمان العاضد . مَلَكَ مصر ، واستولى على صاحب القصر ، ونفق فى زمانه النظم والنثر ، واسترقَّ بإحسانه الحمدَ والشكر

---

(١) يظهر أن هذه العبارة من كلام الناسخ فهى مزيدة على الخريدة ، ويكون معنى ذلك أنه اختصر القصيدة .

(*) هو طلائع بن رزيك الأرمنى كان واليا بمنية خصيب فى الصعيد فلما قتل عباس الصنهاجى الخليفة الظافر كما أسلفنا لجأ إليه أهل القصر واستصرخوه ، فأقبل ، وملك مصر واستقل بالأمور فى عهد الخليفة الفائز (٥٤٩ — ٥٥٥ هـ) ولما مات الفائز وبويع العاضد استمر ابن رزيك وزيره ، وزوجه ابنته ، وكان صغيراً ، فاستبد بالأمر دونه ، وقطع أرزاق الخاصة فدبرت له مؤامرة لقتله ، فقتل سنة ٥٥٦ هـ . ووزارته صفحة مشرقة فى تاريخ مصر قبل استيلاء صلاح الدين الأيوبى عليها ، إذ وجه كل همه لحرب الصليبيين وأجلاهم عن بلاد كثيرة فى فلسطين ، ولذلك لقب أبا الغارات . وكان شاعراً مجيدا ، ويقول ابن خلكان إنه رأى ديوان شعره فى مجلدين ، وفى عقد الجمان للعينى أن أكثر أشعاره فى مدح أهل البيت ، وفى الوافى بالوفيات أنه كان يجمع العلماء ويناظرهم على الإمامة وكان يرى القدر وصنف كتابا سماه (الاجتهاد فى الرد على أهل العناد) يقرر فيه قواعد الرفض ، وفى ابن الأثير أنه كان إماميا ولم يكن على مذهب العلويين المغربيين . انظر ترجمته فى عقد الجمان النسخة المصورة بدار الكتب المصرية فى وفيات سنة ٥٥٦ وكذلك فى النجوم الزاهرة ، وابن الأثير ، وفى ابن خلكان ٣٣٧/١ وفى الوافى بالوفيات النسخة المصورة بدار الكتب الجزء الخامس فى القسم الأول منه الورقة ٢١٣ والمغرب لابن سعيد نسخة الجامعة العربية الورقة ١١ وما بعدها ، ويقول ابن سعيد إنه كان ينسب نفسه إلى غسان ويمدحه الشعراء بذلك . وترجمته أول ترجمة افتتح بها صاحب الجنان كتابه ، وقد بنى عمارة اليمنى كتابه النكت العصرية عليه وعلى حياته وأمجاده .

[٥٧ ظ] /وقرّبَ الفضلاء ، واتخذهم لنفسه جُلَساء ، ورحل إليه ذوو الرجاء ، وأفاض على الداني والقاصي بالعطاء . وله قصائد كثيرة مستحسنة أنفذها إلى الشام ، يذكر فيها قيامه بنصر الإسلام . وما يصدِّقُ أحدٌ أن ذلك شعره لجودته ، وإحكام مباني حكمته ، وأقسام معاني بلاغته ، فيقال إن المهذبَ(١) بن الزبير كان ينظم له وإن الجليس بن الحباب كان يعينه ؛ وله ديوان كبير ، وإحسان كثير . مَلَكَ سنة تسع وأربعين ، وفُتِكَ به فى دهليز القصر فى سنة ست وخمسين وخمسمائة بالقاهرة ؛ وانكسفت شمس الفضائل الزاهرة ، ورخص سِعْرُ الشعر ، وانخفض عَلَمُ العِلْم ، وضاق فضاء الفضل ، واتسع جاهُ الجهل ، وانحلّ نظام أهل النظم ، وانتثر عِقْد ذوى النثر ، واستشعر [الفاقة(٢)] الشعراء ، وعدم البُلْغَة البلغاء ، وعُدَّ الفضل فضولا ، والعقل عَقولا . وظل الفحل القارح من قريحةِ الحبابِ مقروحاً مجنوباً ، وطلبَ المهذَّبُ مذهباً فى الذهاب محبوباً ، ومركبا فى النجاة مجنوبا ، وأضلَّ(٣) الرشيدُ طريقَ رشده فاحترق بشرار شرِّ شاور من بعده ، وعاد ابن الصياد إلى حرفة أبيه ، ونبا المقام بالنبيل النبيه ، وعجَّلَ ابنُ رواحة الرواح ، حين تأمل دفتر تأميله فلاحَ أنْ لا فلاح . [وعضل المهذب(٤)] بالشام أخت الكافيّة

(١) ستأتى ترجمة المهذب وكذلك الجليس بن الحباب وغيره من الشعراء المصريين الذين أشار إليهم .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) ستأتى ترجمة الرشيد وقد قتله شاور .

(٤) فى الأصل بياض وقد وضعنا الزيادة ملائمة للسياق وذلك أن المهذب عبد الله بن أسعد الموصلى الشافعى مدح طلائع بقصيدة كافية ، ويقول العماد فى ترجمته له بالخريدة بين شعراء الموصل: الفقيه المدرس بحمص ، وقد سارت كافيته بين فضلاء الزمان كافة فشهدت بكفايته وسجلت بأن أهل العصر لم يبلغوا إلى غايته ، ثم أنشدها العماد . وأشار إليها أيضا الصفدى فى ترجمته لطلائع .

الكافية لما عدم كفؤها الأيِّد[١] ، وحصر الحصكفى[٢] الكفى عدة قصائد فلم يَسْمُهَا[٣] من قريته لقطر[٤] مصر البعد ، وطفق فضلاء الحضرة يغيبون لحضور الناقصين ، وكرب أدباء[٥] تلك المدرة يذوبون لجود الغامضين الغامصين ، وعاد السّرّ شُورَى ، والعيدُ عاشورا ، والسخف منشورا ، والعسف مأثورا ، والقريض مقروضا ، ويد الرفض مقبوضة ، وعين الحمد مغضوضة ، وعمّ رزء ابن رُزِّيك ، وملك صَرْفُ الدهر ذلك المَلِيك ، فلم تزل مصر بعده منحوسة الحظّ منسوخة[٦] الجدّ ، منكوسة الراية ، معكوسة الآية ، إلى أن ملكها يوسف الثانى ، وجملها مغانىَ المعانى ، وأنشر رَميمها ، وعطَّر نسيمها ، وأَرَّج رَيَّاها ، و بلَّج مُحَيَّاها ، وأعلى سَناها ، وأحلى جَناها ، وأعادماءها ، وأباد أعداءها ، وافترع عُذْرَتها ، وفرع ذِرْوَتها ، ونفى سُودَها[٧] ، وعفى أُسودها ، وخلَّص فتوحها ، ولخص شروحها ، وتسلم قصرها ، والتزم[٨] خصرها . فليفتح الصالح عينه ليعاين مُلْكَ الصلاح ، ناهضا بجَناح النجاح ، خافقا فى الخافقين بقوادم الإقدام ، طائرًا من قدّام بأسه بخَوافى الخوْف قلبُ الباسل الهمام . قال : جرى لى جود الخاطر فى جواد البيان ، ومضمار هذا الميدان ، وأخرجنى من شرط الكتاب ، إلى بسط هذا الباب ، فلنقطع أطناب الإطناب ، ولنورد ما نلقطه[٩] من الأشعار المنسوبة إليه ، فمن جيده القصيدة الطائية التى كتبها إلى الأمير مؤيد الدولة فى جواب قصيدة طائية كتبها إليه ، ومطلعها فى غاية الحسن ، وهى قوله :

---

(١) فى الأصل : إليه .

(٢) هو يحيى بن سلامة خطيب ميافارقين من كبار الأدباء والشعراء فى عصره وكان ضريرا توفى سنة ٥٥١ .

(٣) فى الأصل : يسمها . (٤) فى الأصل : بقصد .

(٥) فى الأصل : وكربا . (٦) فى الأصل : منحوسة .

(٧) يعنى ما كان فى مصر من السودان فى العصر الفاطمى .

(٨) التزم : عانق . (٩) فى الأصل : نلقطها .

هى البدرُ لـكنّ الثريا لها قُرْطُ ... ومن أنجُمِ الجوزاء فى نَحْرِها سِمْطُ
مشتْ وعليهـــا للغمامِ ظلائلٌ ... تُظِلُّ ومن نَسْجِ الربيـع لها بُسْط
تؤم صريعًـــا فى الرجال كأنه ... من السقم ، والأيدى تقلّبُه ، خَطُّ
فما اُخضرَّ ثوبُ[١] الأرض إلا لأنها ... عليـــه إذا زارت بأقدامها تخطو
ولا طابَ نشرُ الأرض إلا لأنه ... يُجَرُّ عليـــه من جلابيبها مِرْط
ولا طار ذكر الظّبْىِ إلا وقد غدا[٢] ... يصدُّ كما صدَّتْ ويَعْطو كما تعطو
من البيضِ مثلُ الصبح ما للظلام فى ... محاسنها — لولا ذوائبها — قِسْط
إلى العَرَبِ الأمحاض يُعْزَى[٣] قبيلها ... وقد ضمها فى الحسْنِ مَعْ يوسفٍ سِمْطُ
ولما غدت كالعاج زَيَّنَ صَدْرُها[٤] ... بحُقَّينِ منها قد أجادهما الخَرْط
وأُرْسِلَ فوق الخدِّ صُدْغٌ مُكَلَّلٌ ... كما أُرْسِلَتْ فى الروض حَيَّاتُهُ الرُّقْطُ
ذوائبُ زان الخصرَ منهنَّ فاحمٌ ... تَحَدَّرَ لا جعـدُ النَّباتِ ولا سَبْط

ومنها وهى طويلة :

وظلماء للشهب الدرارى إذا سَرَتْ ... هناك مع السارين فى جُنْحها خَبْطُ
كما أوَّلُ الفجرين يَسقُطُ يُسَلُّ مِن ... /حشاها كذاك البرق فى جوّها سَقْط[٥] [٥٨ و]
سللنا بها البيضَ السيوفَ فلاح فى ... شباب الدجى لما بدا لَمْعُها[٦] وَخْطُ
سيوفٌ لها فى كل دِرْعٍ وجُنَّةٍ ... إذا ما اعتلت قدٌّ[٧] أو اعترضت قَطُّ

---

(١) هكذا فى الأصل ويمكن أن تقرأ أيضا : ترب .
(٢) فى الأصل : عدا .
(٣) فى الأصل : معزى .
(٤) فى الأصل : صدورها .
(٥) فى الأصل : مقط ، وسقط النار ما يسقط منها عند القدح وكذلك الولد ما يسقط قبل تمامه .
(٦) فى الأصل : إلفها .
(٧) فى الأصل : قدا ، والقد : الشق طولا ، والقط : القطع عرضا .

ومنها :

وحربٌ لها الأرواح زاهقةٌ لِمَا … تُعايِنُ والأصوات من دَهَشٍ لَغْطُ
إذا أرسلت فرعًا من النقع فاحمًا … أثيثًا فأسنانُ الرماح لها مُشْط
كأن القنا فيهــا أناملُ حاسب … أجدَّ بها فى السرعة الجمعُ واللقْط

ومنها فى القطع وذكر القصيدة :

على أنها تشتط إن هى ساجلت … أحبةَ قلبى إن تدانَوْا وإن شَطوا

يشير إلى مطلع قصيدة مؤيد الدولة[1] .

ومن شعر الصالح فى الغزل :

ومهفهفٍ ثملِ القوام سَرَتْ إلى … أعطافِهِ النَّشَــواتُ من عينيهِ
ماضى اللحاظِ كأنما سَلَّتْ يدى … سيفاً[2] غداةَ الروع من جفنيه
الناسُ طوع يدى وأمرى نافذٌ … فيهمْ وقلبى الآنَ طوعُ يديه
فاعجبْ لســلطان يَعُمُّ بعدله … ويجورُ ســلطانُ الغرام عليه
قد قلتُ إذ كتبَ العذارُ بخدِّهِ … فى وَرْدِهِ[3] أَلِفَيْـهِ لا لاميه
ما الشَّعْرُ لاح بعارضيه وإنما … أصــداغه نفَضَتْ على خدَّيْه
والله لولا اسمُ الفــرار وأنَّه … مستقبحٌ لفررتُ منه [إليه[4]]

(١) يريد أسامة بن منقذ الشيزرى أحد أبطال الحروب الصليبية وشعراء عصره المهمين ، دخل مصر أواخر العصر الفاطمى فكان مؤمرا مشاراً إليه بالتعظيم ، واشترك فى المؤامرات ، وفر مع عباس الصنهاجى إلى الشام ، ولحق عصر صلاح الدين وتوفى سنة ٥٨٤ هـ .

(٢) ذكر أغلب من ترجموا لطلائع هذه الأبيات وجاءت فيها هذه الكلمة : سيفى .

(٣) فى الأصل : وردتى وفى ابن خلكان والوافى بالوفيات وغيرهما من المراجع :
قد قلت إذ خط العذار بمسكه … فى خــده ألفيه لا لاميه

(٤) فى الأصل بياض ، والزيادة فى كل المراجع .

وقال فى الزهد :

خُضْ بحار الموتِ فى النُّقْلةِ من دارِ الهوانِ
واُحملِ النفسَ من الصبر على حدِّ السنانِ
واُجتهد ألاّ يراكَ الناسُ مبسوطَ البَنَانِ
فعسى الرحمن يُغْنى عن فلانٍ وفلانِ

ونقلت من دَرْج بخط الصالح بن رزيك قصيدة له أعارنيه ابن أخته مما نظمه سنة خمس وخمسين ، أوّلها :

أبى الله إلا أن يكون مؤيّدا مدى الدهرِ منصورَ اليدين على العِدَا
وكم جاهلٍ قد زاده الحلمُ عزةً على غيره لما فَسَحْتُ له المَدَى
فأوردته من راحتى موردَ الندى ولما أسرَّ الغَدْرَ أوردْتُه الرَّدَى
وهاجَرَ فاستدرجتُه ودفعتُه بحلمى أناةً وانتظارًا به غَدَا
عسى هو أن يَصْحو من الجهلِ أو يُرَى عليه الحسامُ المشرفىُّ مُعرْبِدَا

ومنها فى وصف حسام :

فعاجَلَهُ مستحكِمُ الرأىِ قد غدَا لقهرِ الأعادى فى الحروبِ مُؤيَّدَا
رميتُ به سهمًا مصيبًا وإنه لدى الحرب ما زال القويمَ مُسَدَّدَا
هوِ الأسَدُ الوَرْدُ الذى عاد سَبْقُهُ إلينا من الضربِ الدراكِ الموردا
فلا يغترِرْ بى بعدها ذو جهالة فليثُ الشَّرَى يُخْشَى و إن كانَ مُلْبِدَا

وأعارنى درجاً فيه بخط الصالح قصيدة أخرى منها :

توالت علينا فى الكتائب والكُتْبِ بشائرُ من شرقِ البلاد ومن غَرْبِ
بشائرُ تهدى للمُوالى مَسَرَّةً وتُحْدِثُ للباغين رُعبا على رعب

ففى[1] كبدٍ من حرها النارُ تلتظى وفى كبد أحلى من البارد العـــذب

ومنها :

جعلنا جبالَ القدس فيها وقد جرَتْ عليها عتاقُ الخيل كالنفنفِ[2] السُّهْبِ
فقــد أصبحتْ أوعارُها وحُزُونها سهولاً تُوَطًّا للفوارس والركب
ولما غــدتْ لاماء فى جنباتها صببنا عليها وابلاً من دمٍ سَكْبِ[3]
وجادت بها سُحْبُ الدروعِ من العِدَا نَجيعاً فأَغْنتها الغداةَ عن السُّحْبِ
وأَجْرَتْ بحاراً منــه فوق جبالها ولكنْ بحارٌ ليس تَعْذُبُ للشرب
فقــد عمَّها خِضْبٌ به من رءوسهم بها ولكم خصْبٍ أضرّ من الجدْبِ
وقد روَّعَتْها خيلنا قبل هــذه مراراً وكانت قبلُ آمِنــةَ السِّرْب
وأخفى صهيلُ الخيل أصواتَ أهلها فعاقَتْ نواقيسَ الفرنج عن الضَّرْبِ

ومنها :

وأبطالِ حربٍ من كُتَامةَ[4] دوَّخوا بلادَ الأعادى بالمسوَّمةِ[5] القُبِّ
وعادوا إلينـــا بالرءوس على القنا وأغناهمُ كسبُ الثناء عن الكسب

ومنها :

وإنا بنو رزِّيكَ ما زالَ جارُنا يحُلُّ لدينا بالكرامة والخِصْبِ
ونفتِكُ بالأموال فى السِّلْمِ دائماً كما نحن بالأعداءِ[6] نفتك بالحرب

---

(١) هكذا فى المغرب وفى الأصل : أفى .
(٢) النفنف : المفازة ، والسهب : المستوى من الأرض .
(٣) فى الأصل : سماب .
(٤) هكذا فى المغرب وفى الأصـل : كنانة وكتامة قبيلة مغربية جاءت مع الفاطميين من بلاد المغرب . (٥) المسومة : المعلمة ، والقب : جمع أقب وهو من الخيل الضامر .
(٦) هكذا فى المغرب وفى الأصل : فى الأعداء .

وذكر عمارة اليمنى قال دخلت عليه السادس [عشر[١]] من شهر رمضان سنة ست وخمسين قبل موته بثلاثة أيام بعد قيامه من السماط فدخل وخرج وفى يده قرطاس قد كتب فيه بيتين من شعره قد عملهما فى تلك الساعة :

نحن فى غفلةٍ ونومٍ وللموْ   تِ عيونٌ يقظانةٌ لا تنامُ
قد رحلنا إلى الحِمَامِ سِنِيناً   ليت شعرى متى يكون الحِمَامُ ؟

/ قال عمارةُ : ومن عجيبِ الاتفاقِ أننى أنشدتُ ولده فى تلك الليلة [٥٨ ظ] قصيدة منها :

أبوكَ الذى تسطو الليالى بحده   [وأنتَ[٢] يمِينٌ] إن سطا وشمالُ
لرتبته العُظْمَى وإنْ طالَ عمره   إليكَ مصيرٌ واجبٌ ومآلُ
تخالسك اللحظ[٣] المصون ودونها   حجابٌ شريفٌ لا انْقضَى[٤] وحِجَالُ

فانتقل الملك إليه بعد ثلاثة أيام

ومن شعر الصالح فى مملوك له رآه يوم العيد ، فى السلاح لابس الحديد[٥] :

لبس الحديدَ فزاد فى إعجابهِ   بدرٌ تَظَلُّ الشمس من حُجَّابهِ
لا مطمعٌ فى أنْ يرقَّ وقلبُهُ   أقسى على العُشَّاق من جلبابه
قد كان يُغْنِيهِ سيوفُ لحاظه   عن حمل صارمهِ ليوم ضِرَابه
لو جاد لى فوق اللثام بقبلةٍ   تشفى فؤادَ الصبِّ من أوصابه
رَوَّيْتُ ظامئةَ الرماحِ من العِدَا   وضَنيتُ من ظمإٍ لبَرْدِ شَرابهِ

---

(١) فى الأصل بياض والزيادة من النكت العصرية لعمارة اليمنى طبع درنبرغ ص ٤٩ .
(٢) فى الأصل بياض والزيادة من النكت .
(٣) هكذا فى النكت وفى الأصل : تجالسك الحظ .
(٤) هكذا فى النكت وفى الأصل : الانقضا وهو تحريف ، والحجال : جمع حجلة ، وهى البيت الذى يزين للعروس .
(٥) فى الأصل : الجديد .

وقال :

عاذلى عذلُكَ سهمٌ فى الحشَا   كيف كتمانى وسرِّى قد فشَا
صار مابى من غرام كامنٍ   ظاهراً ينقـله واشٍ وَشَى
من رأى قبلىَ يارِيمَ الفلاَ   أسـداً يقْنِصهُ لحظُ رَشَا

ومنها :

وجهكَ الرَّوْضة آنَتْ نَرْجِسًا[1]   وجَنىُّ الوَرْدِ فيهـا فُرِشَا
خفتَ أن يُجْنَى فوَكَّلْتَ بها   عقرَباً طوراً وطوراً حَنَشَـا

وقال :

ألا إن أشواق بقلبىَ برَّحتْ   فأصبحتُ فى بحرٍ بعيدٍ من الشاطى
قَلِقتُ وقد جدَّ الفراق لبُعْدِكُمْ   كأنى على جمرِ الغَضا بَعْدَكمْ واطى
ولا غروَ فيكم أن أقِضَّتْ مضاجعى   وقد بانَ فى حُبّى لكمْ وجهُ إفراطى

وقال :

وفاتر الطرف فى الخدِّ الأسيلِ له   وردٌ جنىٌّ حمَتْهُ أسْهُمُ المُقَلِ
نَهَبْتُهُ بفَمِى لثماً وقـد غفلتْ   عينُ الرقيب وكلّتْ ألْسُنُ العذَل
وخاف أنْ يفطنَ الواشى بنا وبه   فعادَ يُخْلِفُ ما قد مَنَّ بالخجل
إن مال عنى فقد مال النعيمُ وإن   يَمِلْ إلىَّ أجِدْه غايةَ الأمل
هابتْ سطَاىَ ليوثُ الغاب غاديةً   ورحت من لحظاتِ الظَّبْيِ فى وَجَلِ
فرَّجْتُ ضَنْكَ الوغى فى كلِّ معركةٍ   بحدِّ سيفى وضاقتْ فى الهوى حِيَلى

---

(١) آنت ، أثمرت .

وقال :

ظبى يُحَيِّرُ فى الملاحةِ كلما ... كَرَّرْتُ طرفى فى بديع فنونهِ
أشكو إليه صبابتى فيجيبنى ... ورِدْ يُبَرِّدُ لوعتى بمَعِينه
قسماً به وبوردةٍ فى خده ... وتمامِ قامته وسحر جفونه
لو أن ركباً فى الفلاة تحيروا ... لسَرَوْا بضوء من هلالِ جبينه

وأنشدنى زين الدين بن نجا[1] الواعظ الدمشقى له فى غلام سابق على حصان أخضر أشقر :

ولما حضرنا للسباق تبادرتْ ... خيولٌ ومن أهواه أَقْدَمُهَا سبقَا
على أشقرٍ شِبْهِ اللهيبِ توقداً ... ولوناً فقلنا البدرُ قد رَكِبَ البرْقَا

وأنشدنى زين الدولة الحسين بن الوزير أبى الكرام قال : كتب الصالح ابن رزيك إلى والدى بعد عوده من مصر إلى الشام سنة إحدى وخمسين :

أحبابَ قلبىَ إن شطَّ المزارُ بكمْ ... فأنكم فى صميم القلب سكّانُ
وإن رجعتمْ إلى الأوطانِ إنَّ لكمْ ... صدورَنا عِوَضَ الأوطانِ أوطانُ
جاورتمُ غيرنا لما نأتْ بكمُ ... دارٌ وأنتم لنا بالودِّ جيران
وكيف ننساكمُ يوماً لبعدكمُ ... عنا وشخصكمُ للعين إنسان

وأنشدنى له :

وإذا تشبُّ النارُ بين أضالعى ... قابلتُها من أدمعى بسيول
فأنا الغريقُ بل الحريقُ أموت فى ... هذا وذا كذبالة القنديل

وكان قد ذكر عنده بيتاً من نظم عوام بغداد مِنْ كَانْ وكَانْ[2] وهو :

---

(١) هو زين الدين أبو الحسن على بن إبراهيم بن نجا الحنبلي الواعظ ، وله شهرة مدوية فى عصره ، توفى سنة ٥٩٩ هـ

(٢) ذكر ابن ظافر فى بدائع البدائه ص ١٣٣ هذه الحادثة ؛ وقال إن بعض جلساء الصالح أنشده بيتا من الأوزان التى يسميها المصريون الزكالش ، ويسميها العراقيون كان وكان .

النارُ بين ضلوعى وانا غريقٌ مدامعى
كأنى(١) فتيلة قنديلٍ أموتُ حريقٌ غريقُ(٢)

فأنشد ابن الحباب أبو المعالى الجليس فى المعنى :

هل عاذرٌ إن رمتُ خلعَ عذارى فى شمِّ سالفةٍ ولثم عِذار
تتآلفُ الأضدادُ فيه ولم تزلْ فى سالفِ الأيام ذاتَ نِفارِ
فله من الزفرات لفحُ صواعقٍ تُرْدى وبالعبرات سحُّ بحار(٣)
كذبالة القنديل قدَّرَ هُلْكَها ما بين ماء فى الزجاج ونار

فقال المهذب بن الزبير فى المعنى :

كأنى وقد فاضتْ(٤) سيولُ مدامعى فَشَبَّتْ(٥) حريقا فى الحشا والترائب
ذبالةُ قنديلٍ تعومُ بمائها وتُشْعَل فيها النارُ من كل جانب

/ وحدثنى أبو الذكاء(٦) البعلبكى ، وكان رسولاً بمصر ، قال : لما جلس الصالح بن رُزِّيك فى دست الوزارة نظم هذه الأبيات :

أُنظُرْ إلى ذى الدارِكمْ قد حلَّ ساحَتَها وزيرُ
ولكمْ تبختَرَ آمناً وَسْطَ الصفوفِ بها أميرُ
ذهبوا فلا والله ما بقىَ الصغيرُ ولا الكبيرُ
ولمثلِ ما صاروا إليه من الفناء غداً نصيرُ

---

(١) الشطر فى البدائع : كأنى . (٢) فى البدائع : غريق وحريق .
(٣) الشطر فى البدائع : وله من العبرات لج بحار .
(٤) فى البدائع : سالت . (٥) فى البدائع : فأذكت .
(٦) ذكره السلفى فى معجمه (نسخة دار الكتب المصورة) الورقة ٣٣٢ ، وقال أبو الذكاء فهم بن حسان بن أحمد اليمنى الدمشقى كان من أهل الفهم والأدب قدم الثغر ، وسافر إلى الأندلس ، ثم رجع إلينا وتوجه إلى الشام .

قال زين الدين الواعظ : عمل فارسُ المسلمين أخو الصالح له دعوةً فى شعبان من السنة التى قتل فيها فعمل هذه الأبيات وسلمها إلىّ :

أنست بكمْ دهراً فلما طَمَنْتمُ اُسْــتَقَرَّتْ بقلبى وَحْشَةٌ للتفرق

وقال :

وأعجبُ شىء أننى يومَ بينكمْ بقيتُ وقلبى بين جَنْبَىَّ ما بقى
أرى البعــدَ ما بينى وبين أحبتى كبُعْدِ[١] المدى ما بين غربٍ ومَشْرِقِ
ألا جَدِّدى يا نفسُ وجــداً وحسرةً فهذا فراقٌ بعْــدَهُ ليس نلتقى

قال : فلم يبق بعدها لهم اجتماعٌ فى مسرة ، وقتل فى شهر رمضان . قال : ومما نظمه :

يادهرُ حَسْبُكَ ما فعلتَ بنا أَتُرَاكَ تَطْلُبُ عندنا إِحَنَــا
كم نَتَّقِيكَ بكل سابغــةٍ وسهامُ كيــدِكَ تخرق الجُنَنا[٢]
ما تنفعُ الدرع الحصينةُ مَنْ عمَّا قليل يَلْبَسُ الكفنا
كلا ولا الأيام تَقْبَلُ عن أرواحنا رَشْــوًا ولا ثمنا
لو بالثُّرَيَّا حَــلَّ مُعْتَصِمٌ منها لَكانَ له الثَّرَى وَطَنا
ولقد يهوِّنُ ما أصــابكمُ فقدُ الحسينِ الطهرِ والحَسَنَا
وبَنِيهِمُ إذ طوَّحَتْ بهمُ أيدى زمانهمُ هُنا وهُنــا
وأرى الأئمــةَ جار دهرهمُ فى فعــله بهمُ فكيف أنا
لِى أسوةٌ بهمُ الغــداةَ إذا أصبحتُ فى الأجداثِ مُرْتَهِنَا

وقال :

ياراكباً ظَهْرَ المعــاصى أَوَمَا تخافُ من القصاصِ
أَوَمَا ترى أســباب عمــرك فى انتقاضٍ وانتقاصِ

(١) فى الأصل : لبعد .
(٢) الجنن : جمع جنة وهى ما يستتر فيه من سلاح .

وقال :

يا نائماً فى هذه الدنيا أما آن انتباهُكْ

المالُ[١] لا يُغْنيك فى الأخرى ولا يُنْجِيكَ جاهُكْ

وقال :

مشيبُكَ قد نَضَا صبغَ الشبابِ وحلَّ البازُ فى وَكْرِ الغُرابِ[٢]

تنامُ ومقلةُ الحدثانِ يَقْظَى وما نابُ النوائبِ عنك نابِ

وكيف بقاء عمرِك وهْوَ كنزٌ وقد أنفقتَ منه بلا حساب

وقال :

أيا دهرُ أينَ الملوكُ الذين كانوا فأَضْحَوْا كأَنْ لمْ يكونوا

وكانت قصورهمُ لا ترامُ فتلك قبورهمُ لا تبينُ

وقال :

أيها المغرورُ لا تَغْـتَرّْ فمرعاكَ خبيثُ

سائقُ الموت وإن طال بنا العمرُ حثيثُ

إنَّ من جادت على الخلق بجدواه غيوثُ

وأولو المجد القديم العهد منهم والحديثُ

أصبحَ اليوم حديثاً وغداً نحن حديثُ[٣]

---

(١) فى الأصل : لا المال . (٢) فى الوافى : العقاب .

(٣) الى هنا تنتهى نسخة نور عثمانية وجاء فى آخرها هذه العبارة (تم الجزء التاسع من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر ، ويتلوه فى الجزء العاشر منه إن شاء الله تعالى شعر الأمير أبى المهند حسام بن قضة بن مبارك العقيلى من المصريين) .

١٥ — الأمير أبو المهند حسام* بن مبارك بن قصة العقيلي

لم يكن في مصر أفخم منه شأنا ، وأعظم سلطانا ، أيام سلطنة ابن رزيك وهو ابن أخت الصالح ، كان مقدم عسكره ، في مورده ومصدره ، وحسامه الفاصل .

من شعره من أبيات عاتب بها خاله :

أُجِلُّكَ أنْ يُلِمَّ بك العِتابُ وأن يَخْفَى — وحاشاكَ — الصَّوابُ

ومنها :

وإنّى في يَمينِكَ حين تَسْطُو حُسَـــامٌ لا يُفَلِّلُهُ الضِّرابُ
وكَمْ أرْسَلْتَنى سَهْماً مُصِيباً فأَحْرَقَ ضِدَّكم منّى شهابُ

١٦ — أبو القاسم* هبة الله بن عبد الله بن كامل

كان داعى الدعاة بمصر للأدعياء ، وقاضى القضاة لأولئك الأشقياء ، يلقبونه بفخر الأمناء ، وهو عندهم في المحلة العلياء ، والمرتبة الشماء ، والمنزلة التى فى السماء ،

(*) نقلنا هذه الترجمة عن عود الشباب لعلى الرضا وهو مختصر للخريدة ، وفى دار الكتب المصرية نسخة منه ، وكذلك فى التيمورية تحت عنوان طبقات العلماء لابن أبى طى ، وهو خطأ ، وقد ترجم عمارة اليمنى فى النكت العصرية لصاحب الترجمة (ص ١٠٩) وأشاد به طويلا ، وقال إنه كان يلي بعض مراكز الصعيد ، ثم ولى البحيرة ، ثم الصعيد ثانية ، وذكر عمارة له فيه شعراً كثيراً يصف فيه كرمه وشجاعته .

(*) نقلنا هــذه الترجمة عن كتاب الروضتين ١ / ٢٢٤ حيث روى الترجمة عن العماد بنصها ، ولابن كامل ترجمة مقتضبة فى مختصر الخريدة ، وترجم له المغرب لابن سعيد نسخة دار الكتب فى الورقة ١٦٢ من المجلد الثانى ومقدمة الترجمة منقولة عن العماد لكنها مختصرة أيضاً وإن كان قد زاد بعد بيتى العماد أبياتاً أخرى نقلها عن ابن أبى الإصبع وغيره ، أما البيتان اللذان رواهما العماد فقال إنهما لابن القابلة السابق ، ولعل هذا هو السبب فى أن ابن كامل كان ينكرهما وترجم له أيضاً الصفدى فى الوافى بالوفيات نسخة دار الكتب ، ولم يذكر البيتين اللذين شك فيهما ابن سعيد (انظر المجلد الثانى من الجزء السابع الورقة ٣١٠) ، وكذلك ترجم له ابن العماد فى شذرات الذهب ٤ / ٢٣٥ .

حتى انكدرت نجومهم ، وتغيرت رسومهم ، وأقيم قاعدهم ، وعضد عاضدهم ، وأخليت منهم مصرهم ، وأجلى عنهم قصرهم ، لحرك ابن كامل ناقص الذب عنهم والشد منهم ، فأمال قوما على البيعة لبعض أولاد العاضد ، ليبلغوا به ما تخيلوه من المقاصد ، وسولوه من المكايد ، فأثمرت بجثثهم الجذوع ، وأقفرت من جسومهم الربوع ، وأحكمت فى لحومهم النسوع[١] . وهذا أول من ضمه حبل الصلب ، وأمه فاقرة الصلب ، وهذا صنع الله فيمن ألحد ، وكفر النعمة وجحد ، وذلك غرة رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة . سمعت الملك الناصر صلاح الدين يذكره وقد ذكروه عنده بالفضل والأدب ونسبوا إليه هذين البيتين فى غلام رفاء وأنشدهما الملك الناصر وذكر أنه كان ينكرهما :

يا رافيـــا خَرْقَ كلِّ ثَوْبٍ ويا رَشاً حُبُّـــهُ اعتِقادى[٢]
عَسَى بكفِّ[٣] الوصال تَرْفُو ما مَزَّقَ الهَجْرُ من فؤادى

١٧ — الوجيه* ابن الذِّرْوى أبو الحسن على بن يحيى

شاب نشأ فى هذا الزمان ، موصوف بالإجادة والإحسان ، له فى أحدب :

يا أخى كيف غَيَّرَتْكَ الليـــالى وأحالتْ ما بيننا بالمِحَـــال

(١) النسوع : جمع نسع وهو سير من جلد .

(٢) فى المغرب : اعتمادى . (٣) فى المغرب : بخيط .

(*) نقلنا هذه الترجمة عن المغرب لابن سعيد نسخة دار الكتب المجلد الثانى الورقة ١٧٠ ولم ننقلها عن مختصر الخريدة ، لأنه أشد اختصاراً ويبدو من المغرب أن هذا كل ما قاله العماد فى الخريدة ، وقد عقب عليه بنقول أخرى من كتاب الذيل والسيل للعماد وهو ذيل له على الخريدة ، وبنقول ثانية من ديوان ابن الذروى نفسه وقال : إنه قرأ فى ديوانه مدح العاضد الفاطمى ، وصلاح الدين ، والقاضى الفاضل ، وابن شكر ، ونقل أيضاً فى ترجمته من كتب أخرى . وفى كتاب الروضتين أشعار له كثيرة وأكثرها فى مدح القاضى الفاضل . وقد توفى ابن الذروى سنة ٥٧٧ هـ . انظر ترجمته فى المغرب وفى كتاب الروضتين ٢ / ٢٧ ومواضع متفرقة منه وفوات الوفيات (طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ) ٢/٩٤ وحسن المحاضرة ١/٣٢٦ .

حاشَ لله أن أُصافى خليلا ... فيرانىْ فى ودِّه ذا اختـلال
زعمـوا أننى أتيتُ بهجوٍ ... معرب فيك عن شَنِيع المقـال
كذبوا إنمـا وصَفْتُ الذى فيـ ... ـك من النُّبْلِ والسَّنا والـكمالِ
لا تظنَّنَّ حَدْبَةَ الظهر عَيْبـًا ... فَهْى للحسْنِ من صفات الهلال
وكذاك القسىُّ مُحْـدَوْدِبَاتٌ ... وهْىَ أنكى من الظُّبَا والعوالى
ودنانى[1] القُضاةِ وهْىَ كما تَعْـلَمُ كانتْ موسومةً بالجمـال
وأرَى الإنحناء فى مَنْسِرِ الكا ... سر يُلْفَى ومِخْلَبِ الرِّئْبالِ
وأبو الغُصْنِ أنت لا شك فيه ... وهْوَ رب القوام والإعتدال[2]
كَوَّنَ الله حَدْبَةً فيك إن شئْـ ... ـتَ مِنَ الفضل أو من الإفضالِ
فَأَتَتْ ربوة على طود حـلمٍ ... منك أوموجة ببحـر نوالِ
ما رأتْهـا النساء إلا تمنَّتْ ... لو غدَتْ حِلْيَةً لـكل الرجالِ
وإذا لم يكن من الهجر بُدٌّ ... فعسى أن تزورنى فى الخيالِ

وهذه الأبيات لم يقل مثلها فى أحدب وهى فى ابن أبى حصينة الذى أصله من المعرة . وله فى المهذب جعفر المعروف بشلعلع[3] :

لا تَصْحَبَنَّ سوى المهذَّب جَعْفَرٍ ... فالشيخُ فى كل الأمور مُهَذَّبُ
طَوْرًا يُغَنِّى بالرَّبَاب وتارةً ... تأتى على يده الرَّبابُ وزينبُ

(١) دنية القاضى : قلنسوته .
(٢) بعد هذا البيت فى الروضتين:
قد تحليت بانحناء فأنت الـ ... ـسرا كم المستمر فى كل حال
وتعجلت حمل وزرك فى الظهـ ... ـر فأمناً فى موقف الأهوال
إن حمل الذنوب أهون فى الدنـ ... ـيا على أنه من الأثقال
(٣) أحد شعراء الدولة الأيوبية ، وله ترجمة فى المغرب نقلها عن العماد . وسيأتى ترجمته فى الخريدة .

١٨ – القاضى الجليس* أبو المعالى عبد العزيز بن الحسين ابن الحباب الأغلبى السعدى التميمى

جليس(1) صاحب مصر ، فضـله مشهور ، وشعره مأثور ، وقد كان أوحد عصره فى مصره نظما ونثراً ، وترسلا وشـعراً ، ومات بها فى سنة إحدى وستين ، وقد أناف على السبعين . ومن شعره :

لا تعجبى من صَـدِّهِ ونفارِه لولا المشيبُ لـكنت من زُوّارِهِ
لم تترك الستون إذ نزلتْ به من عهد صبوتِه سوى تذ كارِه

وله :

حَيَّى بتفاحةٍ مخضَّـبةٍ من شَفَّنى حبُّهُ وتَيَّمَنى
فقلتُ ما إن رأيتُ مشبهها فاحمرَّ من خجلة فكذَّبنى

ومن شعره :

وسما يكفُّ الحافظُ أَلــمنصورُ عنا المَحْلَ كَفَّا
آواهمُ كرمًا وصـا نَ حريمهمْ فعفَا وعَفَّا

(*) أول هـذه الترجمة غير موجود فى النسخة المصورة بدار الـكتب وقد أخذناه عن الروضتين ١ / ١٤١ ومختصر الخريدة والمغرب نسخة الجامعة العربية الورقة ١٠٩ ، فقد احتفظت كل من هذه النسخ بترجمة الجليس ناقلة لها عن الخريدة . والجليس من ذرية بنى الأغلب التميميين سلاطين إفريقية تولى ديوان الإنشاء مع الموفق بن الخلال الذى ستأتى ترجمته للخليفة الفاطمى الملقب بالفائز (٥٤٩ — ٥٥٥ هـ) فى عهد وزيره طلائع بن رزيك . وقد أشاد به عمارة اليمنى فى النكت العصرية ص ٤٣ ومدحه بأشعار مختلفة وقال : إنه دخل اليمن (انظر ص ٥٩٥) ولعله ذهب إلى هناك برسالة فاطمية . وانظر ترجمته فى فوات الوفيات لابن شاكر الـكتبى ١ / ٢٧٨ والنجوم الزاهرة ٥ / ٢٩٢ وكذلك ٥ / ٣٧١ وحسن المحاضرة ١ / ٣٢٤ .

(١) هو الفائز فقد كان يجالسه ويسامره ، وفى النجوم الزاهرة : كان يجالس خلفاء مصر من بنى عبيد فسمى الجليس .

وأنشدنى له الأمير نجم الدين بن مصال من قصيدة يقول فيها :

ومن عجبٍ أن السيوفَ لديهمُ تحيضُ دماءً والسيوفُ ذكورُ
وأعجب من ذا أنها فى أكفهمْ تأجّجُ ناراً والأكفُّ بحور

وأنشدنى له الشريف إدريس[١] الإدريسى قصيدة سيّرها إلى الصالح بن رزيك قبل وزارته يحرّضه على إدراك ثأر الظافر ، وكان عباس وزيرهم قتله وقتل أخويه يوسف وجبريل ، يقول فيها :

فأين بنو رزيك عنها ونصرهم وما لهمُ من منعـة وزياد
فلو عاينتْ عيناك بالقصر يومهمْ ومصرعهمْ لم تكتحِلْ برُقادِ
تداركْ من الإيمان قبلَ دُثُورِهِ حُشَاشَـةَ نفسٍ آذنت بنفاد
فمزّقْ جمـوعَ المارقين فإنها بقايا زروعٍ آذنت بحصـادِ

وله فيه من أخرى فى هذه الحادثة :

ولما ترامى البربرىُّ بجهلِهِ إلى فتكةٍ ما رامها قطُّ رائمُ
ركبْتَ إليه مَتْنَ عزمتك التى بأمثالها تلقَى الخطوبُ العظائمُ
وقُدْتَ له الجُرْدَ الخِفافَ كأنما قوائمُها عنـد الطِّرَادِ قوادِمُ[٢]
/ وتنصلُ منها والعجاجُ خضابُها هواد لأركان [البلادِ هَوا] دِمُ [١ و]
تجافتْ عن الماء القَراحِ فريُّها دماءُ العِدَا فهى الصوادىْ الصوادم
وقمتَ بحقِّ الطالبيِّينَ طالبًا وغيرُكَ يُغْضِى دونه ويُسالِمُ
أعدت إليهمْ مُلْكَهُم بعد ما لوى به غاصبٌ حقَّ الأمانةِ ظالِمُ

(١) ترجم له ابن سعيد فى المغرب ولم يزد عن أن العماد ترجم له فى (الذيل والسيل) وأنشد له بعض الشعر مما ذكره العماد . انظر الورقة ٩ من نسخة الجامعة العربية .

(٢) إلى هنا ينتهى النقل عن المراجع السابقة ، وتبدأ نسخة باريس ويتبين من تسلسل أرقام صفحاتها أنها ورق دشت ، وقد رتبناها على أساس مختصر الخريدة الذى أشرنا إليه مرارا .

فما غالبٌ إلا بنصرك غالبٌ ... وما هاشمٌ إلا بسيفك هاشم
فأدرِكْ بثأرِ (١) الدِّينِ منه ولم تزلْ ... عن الحقِّ بالبيضِ الرِّقاقِ تُخاصِمُ

وأنشدنى الأميرُ العضدُ مرهفٌ (٢) للجليس (٣) يخاطبُ الرشيدَ بن الزبير فى معنى [نكبة (٤)] خالِهِ الموفَّق :

تسمَّعْ مقالىَ يا ابن الرشيدِ ... فأنت حقيقٌ بأن تَسْمَعَه
بُلينا بذى نَشَبٍ سائلٍ ... قليلِ الجدَا فى أوانِ الدعه
إذا ناله الخيرُ لم نَرْجُه ... وإن صفعوه صُفِعْنا معه

وأنشدنى بعض فضلاء مصر لابن الحباب :

سيوفُكَ لا يُفَلُّ لها غِرارُ (٥) ... فنومُ المارقين بها غِرارُ (٦)
يُجَرِّدُها إذا أُخْرِجْتَ سُخْطٌ ... على قومٍ ويُغْمِدُها اغتفار
طَرِيدُكَ (٧) لا يفوتُكَ منه ثارٌ ... وخصمك لا يُقالُ له عِثار
وفيما نلتَه من كلِّ باغٍ ... لمن ناواك — لو عَقَلَ — اعتبار
فمُرْ يا صالحَ الأملاكِ (٨) فينا ... بما تختارُه ، فَلَكَ الخيارُ
فقد شَفَعَتْ إلى ما تَبْتَغيهِ ... لك الأقدارُ والفَلَكُ المُدَار

(١) فى الأصل : ثأر .

(٢) الأمير مرهف : هو مرهف بن أسامة بن منقذ وقد تقدم التعريف بأبيه ، وهما من أعيان شيزر .

(٣) فى الأصل : الجليس .

(٤) زيادة يدل عليها الكلام فى ابن خلكان إذ يقول : كان الموفق يوسف بن الخلال على ديوان الإنشاء فى أواخر العصر الفاطمى ، وكان يعاونه القاضى الجليس والرشيد بن الزبير وهو ابن أخته ، ويستطرد ابن خلكان فيقول : إن ابن الحباب كان حصل له بسبب نكبة ابن الخلال صداع ، فنظم هذه الأبيات .

(٥) الغرار : حد السيف . (٦) الغرار : النوم القليل .

(٧) فى الأصل : طريد .

(٨) يريد طلائع بن رزيك وكان يلقب بالملك الصالح ، فهذه الأبيات فى مديحه .

/ ولو نوتِ النجـومُ له خِلافاً   هوَتْ فى الجو [يذروها (١)] انتثارُ   [١ ظ]

ومنهـا :

عدلتَ وقد قَسَمْتَ وكم ملوكٍ   أرادوا العدلَ فى قَسْمٍ فجاروا
ففى يدِ جاحدِ الإحسانِ غُلٌّ   وفى يد حامدِ النعْمى سِوَار
لقد طَمَحَتْ بطرخانٍ (٢) أمانٍ   له ولمثله فيهـــا بوار
وحاول خطةً فيهـــا شماسٌ   على أمثـــاله وبها نِفار
هل الحسبُ الفتىُّ بمستقلٍ   إذا ما عزَّهُ الحسب النضـار
أتتك بحائنٍ قدماهُ سعيًا   كما يَسْعَى إلى الأسدِ الحمـار
وشان قرينَـــه لما أتاه   كما قد شـــان أسرته قُدَارُ (٣)

وأنشدنى بمصر ولده القاضى الأشرفُ أبو البركات عبد القوى لوالده الجليس من قطعةٍ كتبها إلى ابن رزيك فى مرضه يشكو طبيبًا يقال له ابن السديد (٤) على سبيل المداعبة :

وأصْــلُ بليتى من قد غزانى   من السقم الْمُلِحِّ بعَسْكَرَيْنِ
طبيب طِبُّـهُ كغرابِ بين   يفرِّقُ بين عافيــتى وبينى
أتى الحمى وقد شاخَتْ وباخَتْ   فردَّ لها (٥) الشـباب بنسختين
ودبَّرَها بتـــدبيرٍ لطيفٍ   حكاهُ عن ســنانٍ (٦) أو حُنين (٧)

(١) بياض بالأصل

(٢) هو طرخان بن سليط والى الإسكندرية ثار على طلائع فجرد له جيشا بقيادة الأمير أبى المهند حسام بن مبارك العقيلى الذى مرت ترجمته ، فقضى عليه (انظر النكت العصرية ص ٧٣ ، ١١١ ، ١١٣ ، ٣٣١) إذ انتهت ثورته بصلبه .   (٣) قدار بن سالف عاقر ناقة صالح .

(٤) فى الأصل هكذا : ابن سريه . وابن السديد كان طبيب الخلفاء الفاطميين وعاش بعدهم طويلا حتى توفى سنة ٥٩٢ هـ .

(٥) فى المغرب : فألبسها ، وفى الفوات : فعاد لها .

(٦) هو سنان بن ثابت بن قرة .   (٧) هو حنين بن إسحق .

وكانت نوبةً فى كلِّ يومٍ فصيَّرها بحِذْقٍ نوبتَين

[٣٢و] / وأنشدنى أيضاً لوالده فى مدح طبيب :

يا وارثاً عن أبٍ وجَدٍّ فضيلةَ الطبِّ والسدادِ
وكاملاً ردَّ كلَّ نفسٍ هَمَّتْ(١) عن الجسم بالبعاد
أُقسمُ أنْ لو(٢) طببتَ دهراً لعادَ كوناً بلا فسادِ

ورأيتُ من كلامه فى خطبة ديوان الصالح بن رزيك : هو الوزير الكافِى والوزيرُ الكافل ، والملكُ الذى تُلْقَى بذكره الكتائب ، وتهزم باسمه الجحافل ، ومن جدَّدَ رسومَ المملكة ، وقد كاد يخفيها دثورُها ، وعاد به إليها ضياؤها ونورُها :

وقد خَفِيَتْ من قبله معجزاتُها فأظهرها حتى أقرَّ كفورُها(٣)
أعَدْتَ إلى جسمِ الوزارة روحَهُ وما كان يُرْجَى بعثُها ونُشُورُها
أقامتْ زماناً عند غيركَ طامثاً وهذا أوانُ قُرْئها وطُهورها
من العدلِ أن يحيا بها مُسْتَحِقُّها ويخلعها مردودةً مُسْتَعيرها
إذا خطبَ الحسناءَ من ليس أهْلَها أشارَ عليه بالطلاق مُشيرُها

فقد نشرت أيامه مطوىَّ الهمم ، وأنشرت رفات الجودِ والكرم ، ونفقتْ بدولتِهِ سوقُ الآداب بعد ما كسدت ، وهبَّتْ ريحُ الفضلِ بعد ما ركدت . إذا لَهَا الملوكُ بالقيان والمعازف ، كان لَهْوُهُ بالعلوم والمعارف ، وإنْ عَمَرُوا أوقاتهم بالخَمْر والقَمْر(٤) ، كانت أوقاته معمورةً بالنَّهْىِ والأَمْر :

(١) هكذا فى الفوات ، وفى الأصل : سمت .
(٢) فى الفوات : لو قد بدلا من : أن لو .
(٣) فى الروضتين ١ / ١٤٢ أن هذه الأبيات تمثل بها الجليس وهى لصردر فى ديوانه من قصيدة يمدح بها وزير الخليفة ببغداد فخر الدولة أبا نصر محمد بن محمد بن جهير ويهنئه بعودته إلى الوزارة .
(٤) القمر : القمار .

مليكٌ ، إذَا أَلْهَى الملوكَ عن اللُّهَا … خُمَارٌ ، وخمرٌ ، هاجَر الدَّلَّ والدَّنَا

/ولم تُنْسه الأوتادَ أوتار قينــةٍ … إذا ما دعاه السيفُ لم يَثْنِهِ المَثْنَى [٣٢ظ]

ولو جادَ بالدنيا وعادَ بضعفها … لظنَّ من استصغاره أنه ضَنَّا

ولا عيبَ فى إنعامه غــيرَ أنهُ … إذا مَنَّ لم يُتْبِعْ مواهِبَهُ مَنَّا

ولا طعنَ فى إقدامه غيرَ أنه … لَبُوسٌ إلى حاجاته الضربَ والطَّعْنَا

لاشكَّ أنَّ هذه الأبيات لغيره .

ومن أبياته فى الغزل :

ربَّ بيضٍ سللن باللحظ بيضاً … مرهفاتٍ جفونُهُنَّ الجفونُ

وخدودٍ للدمع فيها خدودٌ(١) … وعيونٍ قد فاض منها عيونُ

وله :

تُرَى أَخْلَسَتْ فيه الفَلَا بعضَ رَيَّاها … ففاتَ فتيتَ المسكِ نشرُ خُزَامَاها

أَلَمَّتْ بنا(٢) والليلُ يُزْهَى بلمة … دجوجيَّةٍ لم يكتحلْ بعــدُ فَوْدَاها

فأشرقَ ضوءُ الصبحِ وهو جبينها … وفاحتْ أزاهيرُ الرُّبا وهْىَ ريَّاها

إذا ما اجتنتْ من وجهها العينُ روضةً … سَفَحْتُ(٣) خلالَ الروضِ بالدمعِ أمواها

وإنى لأَستسقى السحابَ لربعها … وإن لم تكن إلا ضلوعىَ مأواها

إذا استعرتْ نارُ الأسى بين أضلعى … نضحتُ على حرِّ الحشا بردَ ذكراها

ومابىَ(٤) أنْ يَصْلَى الفؤادُ بحرِّهَا … ويُضْرَمَ لولا(٥) أنَّ فى القلبِ مأواها(٦)

(١) الخدود : الشقوق .
(٢) هكذا فى المغرب والفوات ، وفى الأصل : بها .
(٣) فى المغرب والفوات : أسالت .
(٤) هكذا فى المغرب والفوات ، وفى الأصل : لى .
(٥) هكذا فى المغرب وفى الأصل : إلا .
(٦) فى المغرب : مثواها وفى الفوات : سكناها .

وله فى غلام تركى :

ظبىٌ من الأتراكِ أجـــفانُهُ   تسطو على الرامحِ والنــــابلِ
سيان منـــــه إنْ رَمَى أو رَنَا   ليس من السهمين من وائل[1]
يفرُّ منه القِرْنُ خــوفاً كما   يفرُّ ظبىُ القاعِ من حابلِ
يا ويحَ أعـــدائك ما هالَهُمْ   من غُصُنٍ فوقَ نقاً هائل
لا تَفْرَقُوا صَـــوْلَةَ نُشّابهِ   فربَّ سَهْمٍ ليس بالقاتل
وحاذروا أسْهُمَ أجـــفانه   فسحرُ ذا النابلِ من بابل

وله فى النرجس :

وَفَدَ الربيعُ على العيونِ بنرجسٍ   يحكى العيونَ فقـــد حباها نَفْسَها
علقَتْ على استحسانه أبصارُنَا   شغفاً إذِ الأشـــياء تعشقُ جنسها
يُلهِى ويُؤْنِسُ مَنْ جفاهُ خليلُه   كم مِنَّـــةٍ فى أُنْسِهِ لم أنْسَها
فارضَ الرياضَ بزورةٍ تلهو بهـــا   واحْثُ على حَدَقِ الحدائقِ عَكْسَها[2]

وله :

زارَ وجنحُ الليلِ مُحْلَوْلِكٌ   داجٍ فحَيَّاه مُحَيّـــــاهُ
مُلَثَّماً يُبْـــدِيه لألآؤُهُ   والبدرُ لا يكتمُ مَسْرَاهُ
نمَّ عليه طِيبُ أنفاسِهِ   كما وَشَى بالمِسْكِ رَيَّاهُ

وله :

قد طُرِّزَتْ وَجَنَاتُهُ بعـــذارهِ   فكساه[3] روضُ الحَزْنِ من أزهارِهِ

---

(١) وائل : مخلص وعاصم .   (٢) عكس الحدق : القدح .

(٣) يشير شعراء العرب دائماً إلى جمال روض الحزن وتفوقه على روض السهل ، ولهذا اختار هنا روض الحزن .

وتألَّفَتْ أضــــداده فالماء فى ... خَــدَّيْهِ لا يُطْفِى تَلَهُّبَ نارِهِ
/ وحكيتُهُ فمدامعى تَهْمِى على ... نارِ الحَشَا وتزيد فى استسعارِهِ [٣٣ظ]

ومنها :

وإذا بدا فالقلبُ مشغولٌ بهِ ... وإذا انثنى فالطرفُ فى آثاره
فتى أُعانُ على هواه بنَصْرَةٍ ... وجوانحى للحَيْنِ من أَنْصارِهِ

وله من قصيدة :

وكم طامحِ الآمال هَمَّ فقصَّرَتْ ... خُطَاهُ به إن العلا صَعْبَةُ المَرْقَى
وظنَّ بأن البُخْلَ أَبقى لوَفْرِهِ ... ولو أنه يدرى لـكانَ النَّدَى أَبْقَى
ظهرتَ فكنتَ الشمسَ جلَّى ضياؤُها ... حنادسَ شِرْكٍ كان قد طَبَّقَ الافْقَا
علوتَ كما تعــلو ، وأشرقتَ مثلما ... تضيء ، ونرجو أَنْ ستبقى كما تبقى
وهُنِّئَتِ الأعيادُ منك بماجــدٍ ... تباهتْ به العَلْيا ، وهامتْ به عِشْقا
مواسمُ قد جاءتْ تباعاً كأنما ... ترى الفجرَ فى لُقْياكَ يا خيرَ من يُلْقَى
توالتْ بدارٍ تعتفيك كأنَّما(1) ... ترومُ لفرط الشوق أن تُحْرِزَ السبقا
وكان لها الأضحى إماماً أمامَها ... فأرهقــــه النوروزُ(2) يَمْنَعُهُ الرفقا
وكم همَّ أنْ يعــدو مراراً فرُعْتَهُ ... فأبقى ، ولولا فَرْقُ بأسِكَ ما أبقى
أبى اللهُ فى عصرٍ تـكونُ عميدَهُ ... وسائسَهُ أن يسبق الباطلُ الحقَّا
فجاءك هــذا سابقٌ جالَ بَعْدَهُ ... مُصَلٍّ وكانا للذى تبتغى وفقا
وأعقبه عيدُ الغديرِ(3) فلم نَخَلْ ... لِقُرْبِ التدانى أنَّ بينهما فَرْقا

---

(1) فى الأصل : كما .

(2) النوروز : أول يوم فى السنة القبطية وكانت تتعطل فيه الأسواق وتفرق فيه الكسوة لرجال الدولة والرسوم من المال وحوائج النوروز (خطط المقريزى طبع بولاق ١ / ٤٩٣)

(3) كان فيه تزويج الأيامى وفيه الكسوة وتفريق الهبات وعتق الرقاب وغير ذلك ، وهو من أعياد القبط المهمة ، وكان الفاطميون يحتفلون به احتفالا مشهوداً (خطط ١ / ٤٩٢)

وقوله :

[٣٤و] / خُذْهَا إليكَ بماء الطبعِ قد شَرِقَتْ ... لو مازجَ البحرَ منها لفظة عَذُبَا

جوّالةٌ بنواحى الأرضِ مُمْعِنَةٌ ... فى السير لا تشتكى أيناً ولا نَصَبَا

ألفاظُها الدُّر تحقيقاً ومن عَجَبٍ ... تُغْلِي(١) على البحرِ درَّ البحر مُجْتَلَبَا

وقوله من قصيدة أولها :

دعِ البينَ تحـــدونا حثاثُ ركابه ... فغيرِىَ من يشجوه صوتُ غرابِهِ

سأركبُ ظهرَ العزْمِ أو أرْجِعَ المنى ... برجعـــةِ موفورِ الرجاء مُثَابِهِ

فإمّا حياةٌ يسحبُ المرء فوقها ... ذيولَ الغنى والعزِّ بين صحابه

وإما مماتٌ فى العُـــلا يتركُ الفتى ... يقالُ ألا للهِ درُّ مُصَـــابِهِ

ومنها :

وأروعَ يشكو الجودُ طولَ ثَوَائِهِ ... لديه ، ويشكو المالُ طول اغترابِهِ

تَصُدُّ الملوكُ الصيدُ عن قصدِ أرْضه ... فَيَزْجِمُهَـــا محروبةٌ(٢) بحرابه

ويَعْطِفُهَا ميلَ الرِّقابِ مهابةً ... ولم تكتحل أجـــفانُهُ بترابه

وأغْزُو بأبكارِ القصائدِ وَفْرَهُ ... فأرجعُ قد فازتْ يَدِى بِنِهَابِه

وقوله :

أما وجيادِكَ الجُرْدِ العَوَادى ... لقد شَقِيَتْ بِعزْمَتِكَ الأعادى

رأوا أن الصعيدَ لهم مَـــلاذٌ ... فلم يَحْمِ الصعيدُ من الصِّعَادِ(٣)

[٣٤ظ] / وراموا من يدَيْكَ قِرًى عتيداً ... فأهْدَيْتَ الحُتوفَ على الهوادى

---

(١) فى الأصل : على . (٢) محروبة : مسلوبة .

(٣) الصعاد : جمع صعدة ، وهى القناة المستوية .

وقوله وقد جمع ثمان تشبيهات فى بيت واحد :

بدا وأرانا منظراً جامعاً لِمَا   تفرَّقَ من حُسْنٍ على الخلق مُونِقا
أقاحاً وراحاً تحت وردٍ ونرجسٍ   وليلاً وصُبْحًا فوق غصن على نقَا

وقوله يصف الخمر :

معتقةٌ قد طالَ فى الدنِّ حَبْسُهَا   ولم يَدْعُهَا شُرَّابُهَا بنتَ عامِها
وقد أشبهتْ نارَ الخليلِ لأنها   حكتها لنا فى بَرْدِهَا وسَـلَامِها

وذ كر ابنُ الزبير فى كتابه أنه كَتَبَ إليه مع طيبٍ أهداه :

بعثتُ عِشاء إلى سـيدى   بما هو مِن خُلْقِه مُقْتَبَسْ
هديةَ كلِّ صحيـحِ الإخاء   جرى منه وُدُّكَ مجرى النَّفَس
فجُدْ بالقبولِ وأيقِنْ بأنَّ   لفَرْطِ الحيـاء أتتْ فى الغَلَس

وله يصف خيلاً :

جنائبُ[1] : إنْ قِيدَتْ فأُسْدٌ ، وإن عَدَتْ
بأبطالها فهْىَ الصَّــبا والجَنَائبُ
أثارتْ بأكنافِ المُصَلَّى عجاجةً   دَجَتْ وبَدَتْ للبيضِ منها كواكب

وله يهجو :

وكم فى زَبيدٍ[2] من فقيه مُصَدَّرٍ   وفى صَدْرِه بحرٌ من الجهل مُزْبِدُ
إذا ذابَ جسمى من حَرُورِ بلادكم   عَلِقتُ على أشـعارِكم أتَبَرَّدُ

وله يصف معركة :

/ تكادُ من النقـعِ المثارِ كُماتُها   تَنا كَرُ أحيانا وإن قَرُبَ النَّحْرُ [٣٥و]

(١) الجنائب : الخيل ، وأيضاً : الرياح الجنوبيه .
(٢) مدينة باليمن أحدثت فى أيام المأمون ، ولعل فى هذا ما يدل على ما قلناه فى التعريف به من أنه زار اليمن .

عجاجٌ يظلُّ الملتقى منه فى دُجًى وإن لمعَتْ أسيافُه طلَعَ الفجر
وخيل يلف النشْرَ بالتربِ عَدْوُهَا وقتلى يعافُ الأكلَ من هامِها النسر

ومن شعره يرثى بعض أهله :

ما كان مِثْلَكَ من تغتالُهُ الغِيَرُ لو كان ينفع من ضَرْبِ الرَّدَى الحَذَرُ

ومنها :

قد أعلن الدهرُ ، لكن غالنا صَمَمٌ عنه ، وأنذرنا ، لو أغْنَتِ النُّذُرُ
يَغُرُّنا أَمَلُ الدنيا ويخدعنا إن الغُرور بأطماعِ المُنَى غَرَرُ

ومنها :

قد كان أنفسَ ما ضَنَّتْ يداهُ بهِ لو كان يعلمُ ما يأتى وما يَذَرُ
أغالبُ القولَ مجهودًا وأيسرُ ما لَقِيتُهُ مِن أذاه العِيُّ والحَصَرُ

وقال يرثى أباه ، ومات غريقا فى البحر لريح عصفَت :

وكنتُ[(١)] أهدِى مع الريح السلامَ لهُ ما هبت الريحُ فى صُبْحٍ وإمساء
إحدى ثقاتى عليه كنتُ أحسبُها ولم أخَلْ أنها من بعضِ أعدائى

ومن شعره فى العتاب والاستبطاء والشكوى قوله :

كم من غريبةِ حكمةٍ زارَتْكَ مِن فكرى فما أَحْسَنْتَ قطُّ ثوَابَها
جاءتْكَ ماطرَقَتْ وفودُ جَمالِها الـأسماعَ إلاّ فُتِّحَتْ أبوابُها
/فتَنَتْكَ إعجاباً فحين هَمَمْتَ أنْ تحبو سويداء الفؤادِ صَوابَها [٣٥ظ]
وافَتْكَ من حَسَدٍ وساوسُ حكمةٍ جعلت لعينك كالمشيب شبابها
فثَنَيْتَ طرْفَكَ خاشيًا لا زاهدًا ورددتها تشكو إلىّ مآبها

(١) فى المغرب : قد كنت .

وأراكَ كالعنِّينِ همَّ بكاعبٍ بِكْرٍ وأعجـــزه النكاحُ فعابَها

وله فى الغزَل :

أُشَجِّعُ النفسَ على حربكم تقاضيًا والسلمُ يَزْوِيها
أسومها الصبرَ وألحاظكم قد جعَلَتْها من مراميها
وكيفَ بالصبرِ على أسْهُمٍ نصَّـــلَها بالجمْرِ راميها

١٩ — القاضى الرشيد أحمد[*] بن على بن الزبير

من أهل أسوان الساكن بمصر

كان ذا علمٍ غزيرٍ ، وفضلٍ كثيرٍ . أنشدنى الأميرُ نجمُ الدين بن مصال بن سليم بن مصال له ، ونحن فى المخيَّمِ الملكى الناصرى بظاهر بَعْلَبكَّ فى ثانى رمضان سنةَ سبعين وخمسمائة ، من قصيدة :

إذا ما نَبَتْ بالحُرِّ دارٌ يَوَدُّها ولم يرتحلْ عنها فليس بذى حَزْمِ
وَهَبْهُ بها صَبًّا ألم يَدْرِ أنها[(١)] سيزعجه منها الحِمَامُ على رغْمِ

(*) من أسرة أسوانية اشتهرت بالعلم والشعر ، ولد بأسوان وهاجر منها إلى مصر فاتصل بملوكها ومدح وزراءها وتقدم عندهم ، وأنفذه الخليفة الحافظ إلى اليمن داعياً له سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، ويقال إنه حاول أن يدعو لنفسه بالخلافة هناك فضربت له السكة ، ثم قبض عليه وأرسل إلى مصر فعفى عنه . وكان من أفراد الدهر فضلا فى فنون كثيرة من العلوم وله رسالة (منية الألمعى وبلغة المدعى) وهى مطبوعة وتدل على معرفته بالفقه والنحو واللغة والأنساب والمنطق والهيئة والموسيقى والطب . وكان إلى ذلك شاعراً مجيداً ، وهو ابن أخت الموفق بن الخلال كبير كتاب ديوان الإنشاء الفاطمى كما مر ، ولعل ذلك سبب العفو عنه . وقد تقدم فى عهد طلائع ابن رزيك ، وولى النظر بثغر الإسكندرية فى الدواوين السلطانية سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وقتله شاور سنة اثنتين وستين (وفى ابن خلكان سنة ثلاث وستين) ظلماً لميله لأسد الدين شيركوه . انظر ترجمته فى معجم الأدباء لياقوت ٤ / ٥١ وابن خلكان (طبع ديسلان) ١ / ٧٥ والطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد طبع المطبعة الجمالية بمصر ص ٤٧ وشذرات الذهب ٤ / ١٩٧ و ٤ / ٢٠٣ ومعجم السلفى (نسخة مصورة بدار الكتب المصرية) الورقة ٢٢ .

(١) فى الطالع السعيد وابن خلكان : أنه .

ولولا الأجلُّ الكاملُ الملكُ أَرْقَلَتْ[1]   بِيَ العيسُ فى البيداءِ والسفْنُ فى اليمّ
ولم تكنِ الدنيا تضيقُ على فتًى   يرى الموتَ خيراً من مقامٍ على هَضْم [٣٦و]

لم يعملْ بشعرِهِ ، ولم يرحل من ضُرِّه ، وهذا ممدوحُهُ الكاملُ ولد شاور الذى لم ينجُ من شره ، فإن شاورَ قتله صبراً فى سنة اثنتين وستين ونَسَبَ إليه أنه شارك أسَدَ الدين شيركوه فى قصده ، فكافأه مكافأةَ التمساح وجعل قتله له مقام رِفْدِهِ .

وله الرسالةُ التى أَوْدَعَها من كلِّ علمٍ مُشْكِلَهُ ، ومن كلِّ فنٍّ أفضلَهُ . ذكره لى محمد[2] بن عيسى اليمنى ببغداد سنة إحدى وخمسين وقال : وفد اليمنَ رسولاً وأقام بها سنتين قال : وهو أستاذى فى علم الهندسة . وأنشدنى لنفسه باليمن :

لئن خاب ظنى فى رجائك بعد ما   ظننتُ بأنى قد ظفرتُ بمنصفِ
فإنكَ قد قلّدْتنى كلَّ مِنَّةٍ   ملكتَ بها شُكرى لدى كلِّ مَوْقِفِ
لأنكَ قد حذّرْتنى كلَّ صاحبٍ   وأعلمتنى أنْ ليْسَ فى الأرض من يفى

وأنشدنِى الشريف إدريس الإدريسى الحسنىُّ بدمشق سنة إحدى وسبعين للقاضى الرشيدِ بن الزبير فى مدح الصالح بن رزيك من قصيدة أولها :

ما للغصون تميدُ سكرا   هل سُقِّيَتْ بالمُزْنِ خمرا

منها فى المدح :

/ جارى الملوكَ إلى العلا   لكنهمْ ناموا وأسْرَى [٣٦ظ]

(١) أرقلت : أسرعت ، والكامل المذكور فى البيت هو الكامل شجاع بن شاورو قد قتله العاضد بعد قتل والده سنة ٥٦٤ هـ .

(٢) فى النكت المصرية لعمارة اليمنى ص ٥٦٦ : ورد بغداد فى سنة خمسين وخمسمائة ، وهو فاضل مهندس ، لكن له طبع شرس ، . وترجم له العماد فى الخريدة ، القسم الخاص باليمن .

سائلْ به عَصَبَ النفـــا ق غداةَ كان الأمرُ إمْرا(١)
أيامَ أضحى النكرُ معـــروفاً وأمسى العُرْفُ نكرا

ومنها :

قسماً بمن طافَ الحجيـــجُ ببيته شُــعْثا وغُبْرا
لولا طـــلائعُ لم نكنْ نرجو لمَيْتِ الدينِ نَشْرا

وأنشدنى ابن اخته القاضى محمد بن القاضى محمد بن إبراهيم المعروف بابن الداعى من أسوان وقد وفدتُ إلى دمشق سنة إحدى وسبعين قال : أنشدنى خالى الرشيدُ ابن الزبير لنفسه من قصيدة :

تواصَى على ظلمى الأنامُ بأسْرِهِمْ وأظْلَمُ من لاقيتُ أهلى وجيرانى
لـكل امرئٍ شيطانُ جِنٍّ يَكيدُهُ بسوء ولى دون الورى ألفُ شَيطانِ

وقد صنَّفَ كتاب جنان(٢) الجنان ورياض الأذهان ، وذيل به اليتيمه ، وطالعتُ منه جزءاً ، ذكر فيه شعرا .

٢٠ — ولده على* بن أحمد بن الزبير

رأيته فى الحضرة السلطانية(٣) فى القاهرة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وقد وقف ينشد الملك الناصر قصيدة قد اتخذها لقصده ذريعة/وجرَّ بها وفودَ النجح [٣٧و]

(١) إمرا : شديداً أو عصيباً وفى القرآن الكريم « لقد جئت شيئاً إمرا » .
(٢) سينقل المؤلف كثيراً عن هذا الكتاب ، وهو من أهم الكتب التى ألفت عن الشعر المصرى فى العصر الفاطمى واعتمد عليه العماد فى الخريدة ، وابن سعيد فى المغرب ، وكل من كتبوا من السابقين عن شعراء هذا العصر .
(*) ذكره الإدفوى فى الطالع السعيد ص ١٩٧ ولم يزد فى ترجمته عما ذكره العماد .
(٣) فى الأصل : السلطان .

إلى آماله فى تلك الشريعة شريعة ، وكشفت بحواره حُوَارَ(١) أدبِه ، وفصمت بسراره سِوارَ أَرَبه ، فما أحاطت معرفتى له بمعرفة ، ولا حصل لى من قدر قدره مَرَقُ رَمَقٍ فى مِغْرَفَة . لكننى لكونه ولدَ ذاكَ الكبير ، أوردت من القصيدة التى أحضرها أبياتاً تناسب عَرْفَ العبير .

مطلعها :

شَيَّدْتَ بالبيضِ والعسّالةِ الذُّبُلِ — مجداً أناف على النَّسْرَيْن والحَمَلِ(٢)

ومنها :

تَخْضَرُّ(٣) أكنافُ أرضٍ إن نَزَلْتَ وإن — نازلْتَ تَحْمَرُّ(٤) أرضُ السهلِ والجبلِ

ما زلتُ أفرى دجى ليلِ التمام سُرًى — ونورُ وجهك يَهْدينى إلى السُّبُل

بكل مهمهةٍ يبكى الغمامُ بها — خوفاً ويخفق قلبُ البرق من وَجَل

تخشى الرياحُ الذوارى(٥) من مهالكها — فما تهبُّ بها إلا على مهل

حتى أَنَخْتُ المطايا فى ذُرَى مَلِكٍ — يبشِّرُ النجح فى تأميله أَمَلى

ومنها :

خدمتكمْ ليكونَ الدهرُ من خَدَمِى — فما أحالَهُ عن حالاته الأُوَلِ

إنْ لم تَكُنْ بكمُ حالى مُبَدَّلَةً — فما انتفاعى بعلم الحالِ والبَدَلِ(٦)

---

(١) فى الأصل : عوار ، والحوار : النتاج .
(٢) النسران : كوكبان والحمل : برج فى السماء .
(٣) هكذا فى الطالع السعيد وفى الأصل : مخضر .
(٤) هكذا فى الطالع السعيد وفى الأصل : عمر .
(٥) هكذا فى الطالع السعيد وفى الأصل : الدرارى .
(٦) تصنع لاصطلاحات نحوية .

٢١ — المهذب أبو محمد الحسن*

ابن على بن الزبير

/هو أخو الرشيد ، مُحْكَمُ الشعر كالبناء المَشِيد ، وهو أشعرُ من أخيه ، وأعرف [٣٧ظ]
بصناعته وإحكام معانيه . توفى قبل أخيه بسنة ، لم يكن فى زمانه أشعر منه أحد وله شعر كثير ، ومحلٌ فى الفضل أثير . أنشدنى له نجم الدين بن مصال ببعلبك فى رمضان سنة سبعين من قصيدة فى الصالح بن رزيك يعرِّضُ بشاعره المعروف بالمفيد[١] :

لقد شكَّ طرفى والركائبُ جُنَّحٌ ... أأنت[٢] أم الشمسُ المنيرة أملَحُ

ومنها فى الغزل :

يَظلُّ جَنَى العُنَّابِ فى صحنِ خدِّهِ ... عن الوردِ ماءَ النرجسِ الغضِّ يَمْسَحُ

ومنها :

فياشاعرًا قد قال ألفَ قصيدةٍ ... ولكنها من بيته ليس تَبْرَحُ
ليهنِكَ — لا هُنِّئْتَ — أنّ قصائدى ... مع النجم تسرى أو مع الريح تَسْرَحُ

أنشدنى زين الحاج أبو القاسم[٣] قال: أرسلنى نورُ الدين إلى مصر فى زمان

(*) هو أخو الرشيد بن على بن الزبير ، وقد اختص بطلائع بن رزيك ، ويقول ابن خلكان فى ترجمته لأخيه الرشيد : أول شعر قاله سنة ست وعشرين وخمسمائة ، وقال ياقوت فى ترجمته : صنف المهذب كتاب الأنساب وهو كتاب كبير أكثر من عشرين مجلداً ، وهو غاية فى معناه ، وقال الإدفوى : له تفسير فى خمسين مجلدة ، ويقول ابن خلكان: إن الرشيد أعلم منه فى سائر العلوم ، وقد دخل اليمن كما دخل أخوه . وحصل له من طلائع مال جم . توفى سنة ٥٦١ هـ . انظر ترجمته فى معجم الأدباء ٩ / ٤٧ وابن خلكان ١ / ٧٥ وفوات الوفيات ١٢٤/١ والطالع السعيد ص ١٠٠ والنكت العصرية ص ٣٥ وحسن المحاضرة ٣٢٤/١ .

(١) فى الأصل هكذا : القيد ، والمفيد هو ابن الصياد أحد شعراء طلائع وسيترجم له العماد فيما بعد .

(٢) فى الأصل : إليك .

(٣) يلقب بأمين الدين ، وكان متولى الديوان عند نور الدين .

الصالح بن رزيك فلقيت المهذَّبَ بن الزبير فأنشدنى لنفسه :

وشادنٍ ما مثله فى الجنانْ   قد فاق فى الحسن جميع الحسانْ
لم أرَ إلا عينه جعبةً   للسيف والنصلِ وحدِّ السِّنانْ

[٣٨و] ووجدت فى بعض الكتب له/ من قصيدة فى مدح الصالح طلائع بن رزيك بمصر :

وتلقى الدهرَ منه بليث غابٍ   غدَتْ سمرُ الرماح له عرينا
تخالُ سيوفَه إمّا انتضاها   جداولَ والرماحَ لها غصونا
وتحسبُ خيلَهُ عِقبانَ دَجْنٍ   يَرُحْنَ مع الظلام ويغتدينا
إذا قَدَحَتْ بجنح الليل أوْرَتْ   سنًا يُعْشِى عيونَ الناظرينا
وإن جَنَحَتْ مع الإصباح عَدْوًا   أثارَتْ للعجاج به دُجُونا
كأنَّ الشمس حين تُثير نقعًا   تحاذرُ من سطاهُ أن تبينا
وما كُسِفَتْ بدورُ الأُفْقِ إلاّ   أسًى إذْ أبصرَتْ منه الجبينا
وما اضطربت رماحُ الخطِّ إلاّ   مخافةَ أن يُحطِّمها مُبينا(١)
وما تندقُّ يومَ الرَّوْع حتى   يَدُقَّ بها الكواهلَ والمتونا
عجبتُ لها تصافحُ مِنْ يدَيْهِ   — وتوصَفُ بالظَّما — بحرًا معينا
ويوردُها ولا يُخْطِى برأيٍ   نطافًا من دروع الدارعينا
وهل يَشْفَى لها أبدًا غليلٌ   وقد شَرِبَتْ دماء الكافرينا
إذا لَقِيَتْ عيونَ الروم زُرْقًا   حسبْتَ نصالَها تلك العيونا
وقائعُ فى العُداةِ له تُبارى   صنائعَ فى العُفاة المجتدينا
وإرغامٌ به أبكى عيونًا   وإنعامٌ أقرَّ به عيونا

(١) هكذا فى الأصل وربما كانت محرفة عن : ثبينا أى جماعات .

[٣٨ظ] / وله فيه قصيدة :

أَقْصِرْ — فَدَيْتُكَ — عن لَوْمى وعن عَذَلى
أَوْ لا فخذ لى أمانًا من يد[١] المقلِ

من كلِّ طَرْفٍ مريض الجفنِ تنشدنا ألحاظُه « رُبَّ رامٍ من بنى ثُعَل »[٢]

إنْ كان فيه لنا وهْو السقيمُ شِفاً فربما صحَّتِ الأجسامُ بالعِلَل[٣]

إن الذى فى جفونِ البيضِ إذ نَظَرَتْ نظيرُ ما فى جفون البيض والخِلَل[٤]

كذاك لم يشتبه فى القول لفظهما إلا كما اشتبها فى الفعل والعمل

وقد وقفتُ على الأطلال أحسبها جسمى الذى بعدَ بُعْدِ الظاعنين بُلِى

أبكى على الرسم فى رسم الديار فهلْ عجبتَ من طَلَلٍ يبكى على طلل

وكلِّ بيضاء لو مَسَّتْ[٥] أناملُها قميصَ يوسفَ يومًا قُدَّ من قُبُل

يُغنى عن الدُّرِّ والياقوت مَبْسِمُها[٦] لِحُسْنِها فلها حَلْىٌ من العطَل

بالخدِّ مِنِّىَ آثارُ الدموع كما لها على الخدِّ آثارٌ من القُبَل

كأنَّ فى سيفِ سيفِ الدينِ من خَجَلٍ من عزمه ما به من حُمْرة الخجل

هو الحسامُ الذى يسمو بحامله زهوًا فيفتكُ بالأسياف والدول

إذا بدا عاريًا من غِمْدِهِ خَلَعَتْ غِمْدَ الدماء عليه هامةُ البطل

وإن تقلَّدَ بحرًا من أناملِهِ رأيتَ كيف اقترانُ الرزقِ بالأجل

(١) فى الفوات والطالع السعيد : ظبا .

(٢) رواية الشطر فى الفوات : (يارب رام بنجد من بنى ثعل) وهذا الشطر مضمن من قصيدة لامرىء القيس يقول فيها :

رب رام من بنى ثعل مخرج كفيه من ستره

وبنو ثعل طائيون وهم مشهورون بجودة الرمى .

(٣) تضمين لشطر من قصيدة للمتنبى وصدر البيت : لعل عتبك محمود عواقبه

(٤) فى الطالع السعيد : والحلل ، والخلل : جمع خلة وهى جفن السيف ، أو بطانة مطرزة بالذهب

(٥) هكذا فى الطالع السعيد وفى الأصل . أمست .

(٦) هكذا فى الطالع السعيد وفى الأصل : لبستها .

من السيوفِ التى لاحتْ بوارقُها   فى أَنْمُلٍ هى سُحْبُ العارضِ الهَطِلِ
فجاءنا لبنى رُزّيك مُعْجِزُها   بآيةٍ لم تكن فى الأعْصُرِ الأُوَلِ
/تبدو شموساً همُ أقمارُها وترى   شُهْبَ القَنا فى سماء النقع لم تَفِلِ(١) [٣٩و]
قد غايَرَت فيهمُ السُّمرَ الرقاقَ رقا   قُ البيض خلفَ سُجوف النقع فى الكَلَلِ
إن عانقوا هذه فى يوم معركةٍ   لاحتْ لهم بتلظّى تلك كالشُّعَلِ
وقد لقوا كلَّ من غاروا بمُشْبِهِهِ   حتى لقوا النُّجْلَ عند العَرْضِ بالنُّجُلِ(٢)
وضارب الرومَ رومٌ من سيوفهمُ   وطاعَنَ العُرْبَ أعْرابٌ من الأَسَلِ
وهزَّهم لصهيل الخيل تحت صهيـ   ـل البيضِ ماهزَّ أعطاف القنا الخَطِلِ(٣)
فالدمُ خمرٌ وأصواتُ الجيادِ لهمْ   أصوات مَعْبَدَ(٤) فى الأهزاج والرَمَلِ
والخيـلُ قد أطرَبَتْها — مثلما طربوا —   أفعالُهمْ ، فهى تمشى مِشْيَةَ الثَّمِلِ
من كل أجردَ مختالٍ بفارسِـهِ   إلى الطِّعان جريحِ الصَّدْرِ والكَفَلِ
وكلِّ سَلْهَبَةٍ(٥) للريح نِسْبتُها   لكنها لو بَغَتْها الريح لم تَنَلِ
أفارسَ المسلمين اُسمعْ فلا سَمِعَتْ   عِداك غيرَ صليل البيض فى القُلَلِ
مقالَ ناءٍ غريبِ الدارِ قد عدم الـ   أنصارَ لولاك لم يَنْطِق ولم يَقُلِ
يشكو مصائبَ أيامٍ قد اتسعتْ   فضاقَ منها عليه أوسعُ(٦) السُّبُلِ
يرجوكَ فى دفعها بعد الإله وقد   يُرْجَى الجليلُ لدفع الحادث الجَلَلِ

(١) تفل : تأفل .
(٢) النجل : الأولى : العيون والثانية : الطعنات .
(٣) الخطل : من الخطَل ، وهو الاضطراب والتحرك .
(٤) مغن مشهور فى العصر الأموى .
(٥) السلهبة من الخيل : ماعظم وطال عظامه .
(٦) فى الطالع السعيد : واسع .

وكيفَ ألقى من الأيام مَرْزِئَةً … جَلَّتْ ولى من بنى رزِّيك كلٌّ ولى
لولاهمُ كنتُ أفرى (١) الحادثات، إذا … نابت، بنهضة ماضى العزم مُرْتجل؟
وكيف أخلع ثوبَ الذلِّ حيث كَفِيــــلُ الحرِّ بالعزِّ وَخْدُ الأينُقِ (٢) الذُّلُلِ
/ فما تخافُ الردى نفسى وكم (٣) رضيَتْ … بالعجز خوفَ الردى نفسٌ فلم تُبَل [٣٩ط]
إنى امرؤٌ قد قتلتُ (٤) الدهر معرفةً … فما أبيتُ على يأسٍ ولا أمَل (٥)
إن يُرْوِ ماء الصِّبا عودى فقد عَجَمَتْ … منى طَروقُ الليالى عُودَ مُكْتَهِل
تجاوزتْ بى مَدَى الأشياخِ تجربتى … قِدْمًا وما جاوزتْ بى سنَّ مُقْتَبِل
وأولُ العمر خيرٌ من أواخره … وأين ضَوْءُ الضحى من ظلمة الأُصُل
دونى الذى ظنَّ أنى دونَه فلهُ … تعاظمٌ لينال المجدَ بالحِيَــلِ
والبدرُ تَعْظم فى الأبصار صورتُه … ظنًّا ويَصْغُرُ فى الأفهام عَنْ زُحَلِ
ما ضرَّ شِعْرِىَ أنى ما سَبَقْتُ إلى … (أجابَ دمعى وما الداعى سوى طلل (٦))
فإن مدحى لسيف الدِّين تاهَ بهِ … زَهْوًا على مَدْحِ سَيْفِ الدَّولة البَطَل

للشعراء المهذَّبين المُذَهِّبينَ المُذْهَب، على هذا الوزن المعجز المعجب، قصائد، فرائد، قلائد. وهذا مُهَذِّبُ مَذْهَبِهم إذ هو وحيدُ العصر، مجيد النظم والنثر.

واستعرتُ من الأمير عز الدين (٧) حسام جزءاً فيه قصيدة بخط المهذب بن الزبير مدح بها الصالح بن رزيك سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ويصف أسطوله ونصرته فى البحر على الروم:

---

(١) فى الطالع السعيد: أفدى، ومعنى أفرى. أقطع.
(٢) الوخد للنوق: الإسراع وسعة الخطو.
(٣) فى الطالع السعيد: وقد. (٤) فى الطالع: بلمت.
(٥) فى الطالع: ملل.
(٦) هذا الشطر للمتنبى يقول ما ضر شعره أنه لم ينظم ما نظمه المتنبى كناية عن أنه لا يقل عنه.
(٧) هو الأمير أبو المهند حسام بن مبارك بن قضة العقيلى الذى ترجم له قبلا.

أَعلمتَ حين تجاورَ الحيانِ … أنَّ القــلوبَ مواقدُ النيران

[٤١ و] /وعرفتَ أنَّ صدورنا قد أصبحتْ … فى القومِ وهْىَ مَرابضُ الغزْلان

وعيوننا عِوَضَ العيون أمَدَّها … ما غادروا فيها من الغُدْران

ما الوَخْدُ هزَّ قِبابَهم بل هزَّها … قلبى عشــيةَ سار فى الأَظعان

وبمهجتى قمــرٌ إذا ما لاح للسّــارى تضاءَلَ دونه القَمَران

قد بانَ للعشـــاق أنَّ قوامَهُ … سَرَقَت شمائِلَهُ غصونُ البان

وأراكَ غصناً فى النعيم [تميل[1]] إذ … غُصْنُ الأَراكِ يميدُ فى نَعْمانِ[2]

للرمح نصــلٌ واحد ولقدِّهِ … من ناظريه إذا رنَا نَصْلانِ

والسيفُ ليس له سوى جَفْنٍ وقد … أضحى لصارم طَرْفه جَفْنانِ

والسهمُ تكفى القوسُ فيه وقد غدا … من حاجبيه للحظِهِ قوسان

ولربَّ ليلٍ خلتُ خاطفَ بَرْقِهِ … ناراً تلَفَّعُ للدُّجى بدخان

كالمائلِ الوسنان من طول السُّرَى … جوْزاؤهُ ، والراقصِ السكران

ما بانَ فيه من ثُرَيّاهُ سوى … إعجامِها والدّالُ فى الدَّبَران[3]

وترى المجرةَ فى النجوم كأنَّها … تَسْقِى الرياضَ بجدولٍ ملآن

لو لم يكنْ نهراً لما عامت به … أبداً نجومُ الحوت والسرطان

نادمتُ فيــه الفرقدين كأننى … — دون الورى — وجذيمةُ[4] أخَوان

وترفعتْ هِمَمِى فما أرْضَى سوى … شُهْبِ الدجى عِوَضاً من الخلاَّن

وأنِفتُ حين فُجعت بالأحباب أن … ألْهو عن الإخوان بالخوّان

[٤١ ظ] /واعتضتُ من جود الوزير مواهباً … أسْلَتْ عن الأوطارِ والأوطان

(١) ساقطة من الأصل وقد زدناها من الطالع السعيد .

(٢) نعمان : واد وراء عرفة .

(٣) الدبران : منزل للقمر .

(٤) قيل : كان جذيمة الأبرش ملك الحيرة لا ينادم إلا الفرقدين تكبراً عن منادمة الناس .

ومنها يحثه على قصد شام الفرنج :

يا كاسرَ الأصنام قُمْ فانهض بنا — حتى تصيرَ مُكَسِّرَ الصُّلْبان
فالشامُ مِلْكُكَ قد ورثت تُراثَهُ — عن قَوْمِكَ الماضين من غسّان
فإذا شككتَ بأنها أوطانُهُمْ — قدماً فسلْ عن حادثِ الجوْلانِ[١]
أوْ رُمْتَ أن تتلو محاسِنَ ذكرهم — فاسندْ روايتها إلى حسّان[٢]

منها فى وصف الزلزلة :

ما زلزلتْ أرضُ العِدا بل ذاك ما — بقلوبِ أهليها من الخفقان
وأقولُ إنّ حصونَهم سجدتْ لِما — أُوتيت من مُلْكٍ ومِنْ سلطان
والناسُ أجدرُ بالسجود إذا غدا — لعُلاكَ يسجدُ شامخُ البُنيان
ولقد بعثتَ إلى الفرنج كتائباً — كالأُسْدِ حين تصولُ فى خَفّان[٣]
لَبِسوا الدروع ولم نَخَلْ مِنْ قبلِهِمْ — أنّ البحار تَحُلُّ فى غُدْران
وتيمّموا أرضَ العدو بقَفْرَةٍ — جرداء خاليةٍ من السكان
عشرين يوماً فى المَفار وليلةً — يَسْرونَ تحت كواكبِ الخِرْصان[٤]
حتى إذا قطعوا الجفارَ[٥] بجحفل — هو فى الحديد ورملُهُ سِيّانِ
أغريتهمْ بحمى العِدا فجعلتَهُ — بسطاكَ بعد العزِّ دارَ هوان
عَجّلْتَ فى تلك العجول قِراهُمُ — وهمُ لك الضيفانُ — بالذيفان[٦]

---

(١) اسم إقليم فى شمال شرقى الأردن مقترن باسم الغساسنة كما يقترن باسم قريتهم أو مدينتهم «جابية الجولان». وكان طلائع ينسب الى الغساسنة ومن هنا قال الشاعر ما قال.

(٢) هو حسان بن ثابت الذى اشتهر بمدحه للغساسنة قبل الإسلام وخاصة جبلة بن الأيهم.

(٣) خفان : مأسدة قرب الكوفة.

(٤) الخرصان : جمع خرص وهو الرمح.

(٥) الجفار : الفلاة بين العريش ومصر.

(٦) الذيفان : السم القاتل.

[٤٠ و] / لما أبَوْا ما فى الجفان قرَيْتهمْ ... بصوارمٍ سُلَّتْ من الأجـفان
وثللتَ فى يوم العريش عُروشَهُمْ ... بشَبَا ضِرابٍ صـادقٍ وطعان
ألجأتَهُمْ للبحر لما أنْ جرَى ... مِنْـهُ ومن دمهمْ معاً بحْرَان
مُدِحَ الورى بالبأسِ إذْ خضبوا الظُّبَا ... فى يومِ حربهمُ من الأقران
ولأنتَ تخضب كلَّ بحرٍ زاخرٍ ... ممن تحاربُ بالنَّجيعِ القانى
حتى ترى دمهمْ وخضرةَ مائه ... كشقائقٍ نُثِرتْ على الرَّيحَان

فى وصف الأسطول :

وكأنَّ بحرَ الرُّوم خُلِّقَ وَجْهُهُ ... وطَفَتْ عليه منابتُ المَرْجان
ولقد أتى الأسطولُ حين غزا بما ... لم يأتِ فى حينٍ من الأحيان
أحْبِبْ إلىَّ بها شوانِىَ[١] أصْبَحَتْ ... من فتكها ولها العُـداةُ شوانى
شُبِّهْنَ بالغربانِ فى ألوانهـا ... وفعلن فعـل كواسر العقبان
أوقرْتَها[٢] عُدَدَ القتالِ فقد غدَتْ ... فيها القنا عِوضا من الأشْطان
فأتتكَ مُوقَرَةً بسبيٍ بينه ... أسْرَاهُمُ مغـلولةَ الأذقان
حربٌ عوانٌ حكَّمتْكَ من العدا ... فى كلِّ بكرٍ عندهمْ وعَوَان
وأعدتَ رُسْلَ ابنِ القسيمِ[٣] إليه فى ... شعبانَ كى يتلاءمَ الشعبان
والفالُ يشهد باسمه أن سوف يغـدو الشامُ وهو عليكما قِسْمَانِ

منها فى مدح نور الدين :

[٤٠ ظ] / وأراكَ من بعـد الشهيدِ أباً له ... وجعلتَه من أقربِ الإخوان
وهو الذى ما زال يفعَلُ فى العدا ... ما لم يكنْ لِيُعَدَّ فى الإمكان

---

(١) الشوانى : السفن الحربية .
(٢) أوقر: حمّل .
(٣) هو نور الدين صاحب الشام فى عصر طلائع وأستاذ صلاح الدين الأيوبى ومولاه .

ومنها فى وصف قتله البرنس ويصف رأسه على الرمح بمعنى بديع :

قَتَلَ البِرِنْسَ ومن عَصَاهُ أعانه   لما عتا فى البغى والعُـدْوان
وأرى البريّةَ حين عادَ برأسه   مُرَّ الجَنى يبـدو على المُرَّان
وتعجبوا من زرقةٍ فى طرفه   وكأنَّ فوق الرمح نصـلاً ثانى
فليهنه أنْ فازَ منك بسيـدٍ   أوْفَى برتبته على كيوان[١]
قد صاغَ من[٢] أرماحه لمسامع الـ   أملاك أقراطا[٣] من الخِرْصَانِ
والخيلُ تعلمُ فى الكريهةِ أنّه   قد حط هيكلها[٤] على الفرسان
عَجَبًا لجودِ يديه إذْ يبنى العلا   والسيلُ يَهْدِمُ ثابتَ الأرْكَانِ

[ومنها] يصف شعر الصالح :

وَلنَارُ فطنته تُرِيكَ لشعره   عـذبًا يُرَوِّى غُلَّةَ الظمآن
وعقـودَ درٍّ لو تجسّمَ لفظها   ما رُصِّعَتْ إلا على التيجان
وتنزهتْ عن أن تُرَى أفْرَادُهَا   لمواضـعِ الأقراط والآذان
من كل رائقةِ الجمال زَهتْ بها   بين القصائدِ عِزَّةُ السلطان
سـيارةٌ فى الأرض لا يعتاقها   فى سيرها قَيْدٌ من الأوْزَان
/ يا مُنْعِمًا ما للثنـاء ولو غلا   يومًا بمـا تُولى يداهُ يدَان [٤٢ و]
قَلَّدْتَ أعنـاقَ البرية كلَّهَا   مِننًا تحمَّلَ ثِقْلَهَا الثَّقَلاَن
حتى تَسَاوَى الناسُ فيكَ وأصْبح الـ   ـقاصى بمنزلةِ القـريب الدَّانى
ورحِمْتَ أهْلَ العجز منهمْ مثلما   أصبحتَ تَغفِرُ للمسىء الجانِى

وأنشدنى الشريف إدريس الحسنى للمهذب بن الزبير من قصيدة فى مدح ابن رزيك أيضا أولها :

(١) كيوان هو زحل وهو عند العرب مثل فى العلو والبعد .
(٢) فى الأصل : فى. (٣) فى الأصل : أخراصاً .
(٤) الأصل : مذ قط سكلها .

أَمَجْلِسٌ فى محلِّ العِزِّ أَمْ فَلَكٌ   هذا؟ وهل مَلِكٌ فى الدَّسْتِ أَم مَلَكُ

منها فى المدح :

أغنى عيانُ معانيه النواظرَ عن   قولٍ يُلفَّقُ فى قومٍ ويُؤتفَكُ(١)
يا واحدَ الدهرِ لا ردٌّ علىَّ إذا   ما قلتُ ذلك فى قولى ولا دَرَكُ(٢)
ما كان بعدَ أمير المؤمنين فتًى   فيه الشجاعة — إلاأنت — والنُّسُكُ
فالفعلُ منه(٣) ومنك اليوم مُتَّفِقٌ   والنعتُ منه ومنك اليومَ مُشْتَرَكُ
يُدْعَى بصالحِ أهل الدين كلِّهِمُ   وأنت صالحُ من بالدين يمتَسِكُ
لم ترضَ أسماءَ قومٍ أصبحوا رِمَماً   كأنَّ أَلقابَهُمْ من بعدهم تُرُكُ(٤)

ومنها :

وَافَى فأَرْدَى رجالاً بعد ما نَعِموا   دَهْراً وأحيا رجالاً بعد ما هَلَكوا

[٤٢ ظ] ليس فى هذا البيت مدح ولا ذم ، ولا له فى الثناء والإطراء سهم ، فإنه كما أحسن بالإحياء ، أساء بالإرداء ، فكفَّرَ بهلاك أولئك حياة هؤلاء ، ولو قال : أردى لئامًا بعد ما نعموا ، وأحيا كراماً بعد ما هلكوا ، لوفَّى الصنعة حق التحقيق ، وأهدى ثمرة المعنى على طبق التطبيق .

طلعتَ والبدرَ نصف الشهر فى قَرَنٍ   فأشرقتْ بكما الأرضُونَ والفَلَكُ
وأسفرَ الجوُّ حتى ظَنَّ مبصرُهُ   بأنَّ لَمْعَ السَّنَا فى أُفْقِهِ ضَحِكُ
يقودُ كلَّ مُجِنٍّ(٥) ضِغْنَ ذى تِرَةٍ   يكادُ من حَرِّه المــاذىُّ يَنْسَبِكُ

---

(١) يؤتفك : من الإفك وهو الكذب والاختلاق .
(٢) الدرك : التبعة .
(٣) فى الأصل : منك .
(٤) فى البيت تورية واضحة .
(٥) فى الأصل : مسن .

حتى أعادَ بحد السيفِ مُلْكَ بنى الــــزهراء واستُرْجِعَ الحقُّ الذى تركوا
فلو يكونُ لهم أمثـــالُهُ عَضُداً   فيما مضى ما غدت مغصوبةً فَدَكُ[١]

لقد أبطل فى هذا القول المؤتفَكَ ، وغفل عن سر الشريعة فى فَدَكَ ، وفضَّلَ ممدوحه على السلف فى الشرف ، وأدت به المبالغة فى الضلال إلى السَّرَف .

وأنشدنى الأمير مرهف بن أسامة بن منقذ للمهذب بن الزبير من أبيات :

باللّه يا ريحَ الشما   ل إذا اشتملتِ الليل بُرْدا
وحملتِ من نَشْرِ الخُزَا   مَى ما اغتدى للنَّدِ نِدَّا
ونسجت فى الأشجار بيـ   ـنَ غصونهنَّ هَوًى وودَّا
/هُبِّى على بَرَدَى[٢]   عَســاهُ يزيدُ من مَسْراكِ بَرْدَا [٤٣ و]
أحبابنـــا ما بالُكُمْ   فينا من الأعداء أعْدَى
وحيـــاةِ ودكمُ وتُرْ   بة وَصْلِكُمْ ما خُنْتُ عهدا

وأنشدنى له من قصيدة أولها :

رِيعَ الفؤادُ خلالَ تلك الأرْبُعِ   فكأنها أولى بها من أضلعى

منها فى المديح فى ابن رزيك الصالح وكان يغرى الشعراء بعضهم بالبعض :

يا أيها المَلِكُ الذى أوصافُهُ   غُرَرٌ تجلَّتْ للزمانِ الأسْفَعِ
لا تُطْمِعِ الشعراءَ فىَّ فإننى   لو شئتُ لم أجبن ولم أتَخَشَّعِ
إنْ لم أكن مِلْءَ العيون فإننى   فى القول يا ابن الصِّيد ملء المسمع
فليمسكوا عنى فلولا أننى   أبْقى على عِرْضى إذنْ لم أجْزَعِ

---

(١) يشير إلى ما كان من رأى أبي بكر وعمر فى أن فاطمة لا ترث (فدك) التى تركها الرسول لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ، والشيعة يرون أن أبا بكر وعمر أخطآ وأنه كان يجب أن يتركاها لفاطمة .

(٢) بردى : نهر دمشق .

وأَهَمُّ من هوى لهم مَدْحُ الذى   رفعَ القريضَ إلى المحلِّ الأرفع
ولو أنَّه نَاجِي ضميرىَ فى الكَرَى   طيفُ الخيال بريبةٍ لم أهجَع
وإذا بدا لِى الهجرُ لم أرَ شخصه   وإذا يقالُ لىَ الخنا لم أسمع
والناسُ قد علموا بأنى ليس لى   مذ كنتُ فى أعراضهم من مَطْمَع

ومنها فى صفة الشعر :

[٤٣ ظ] /فلأَ كسونَ عُلاكَ كلَّ غريبةٍ   وَلَجَتْ بلطفٍ سَمْعَ مَنْ لم يَسْمَعِ
خُتمت بما ابتُدِئَتْ به فتقابلتْ   أطرافها بمُوشَّحٍ ومُرَصَّع
والشعر ما إنْ جاء فيه مَطْلَعٌ   حَسَنٌ أُضيفَ إليه حُسْنُ المَقْطَع
كالوردِ : أوّلُه بزهرٍ مُونِقٍ   يأتى ، وآخرُه بماء مُمْتِع

وأنشدنى له القاضى الأشرف أبو القاسم حمزة بن القاضى السعيد بن عثمان ، قال أنشدنى والدى علىّ بن عثمان المخزومى ، قال أنشدنى المهذَّب بن الزبير لنفسه فى ابن شاور المعروف بالكامل :

وخاصمنى بدرُ السَّما فخَصَمْتُهُ   بقولىَ ، فاسمعْ ما الذى أنا قائلُ
أتى فى انتصاف الشهر يحكيك فى البها   وفى النورِ لكن أين منك الشمائل !
فقلتُ له يا بدرُ إنك ناقصٌ   سوى ليلةٍ ، والكاملُ الدهرَ كاملُ

وأنشدنى بعض المصريين له من قصيدة أولها :

أغارت علينا باللحاظِ عيونُ   لها الحسنُ من خَلْف النِّقابِ كمينُ
وسَلَّتْ علينا من غُمُودِ جفونِها   كذلك أسماءُ الغمودِ جُفُونُ

ومنها :

أعِرْ نظمَ شعرى منك عَيْنًا بصيرةً   ففى[1] طيِّه للكيمياء كُمُونُ

(١) فى الأصل : وفى .

/ فقد شاركتْنا فيه كَفُّكَ إذ غَدَتْ   عليه لنا عنـد العطاء تُعِين [٤٤ و]
تجودُ لنـا بالبرِّ ثم تردُّهُ   لهـا وهْوَ دُرٌّ بالمديحِ ثمين

وأنشدنى له أيضاً :

لقد جرَّدَ الإسلامُ منك مهنَّدًا   حديدًا شَبَاهُ لا يُداوَى له جُرْحُ
إقامةُ حَدِّ الله فى الخلقِ حَدُّهُ   إذا سَلَّهُ ، والصفحُ عنهم له صَفْحُ

وله :

وذى هَيَفٍ يُدْعى بموسى ، بطرفِهِ   بقيةُ سحرٍ تأخذ العين والسمعا
وحيَّاتُهُ أصـداغه ، وعِذَارُهُ   يُخَيَّـلُ لى فى وجهـه أنها تَسْعَى

وله فى غلام له خال بين عينيه :

ومهفهفٍ أسـيافُ مقلته   أبدًا تُريق من الجفون دما
عينـاهُ فى قلبى تنازعتـا   فسـوادُهُ قد ظَلَّ بينهما

وله فى غلام تغرغرت عيناه عند الوداع :

ومرنَّح الأعطاف تحسبُ أنَّه   رُمْحٌ ولـكنْ قدَّ قلبىَ قَدُّهُ
إن قلتُ إنَّ الوَجْهَ منه جَنَّةٌ   أضحى يكذِّبنى هنالك خَـدُّهُ
ولئن ترقرقَ دمعه يومَ النوى   فى الطَّرْفِ منه وما تناثرَ عِقْدُهُ
فالسيفُ أقطعُ ما يكون إذا غدا   مُتَحَـيِّرًا فى صفحتيه فِرِنْدُهُ(١)

وله :

هُمْ نصب عينى : أنجدوا أو غاروا   ومُنَى فؤادى : أنصفوا أو جاروا

---

(١) فرند السيف : جوهره .

[٤٤ ظ] /وهمُ مكانَ السرِّ من قلبى وإن ... بَعُدَتْ نوىً بهمُ وشَطَّ مزَار
فارقتهمْ وكأنهم فى ناظرى ... مما تُمَثِّلُهُمْ لىَ الأفكار
تركوا المنازلَ والديار فمالهم ... إلا القــلوب منازلٌ وديار
واستوطنوا البيدَ القفارَ فأصبحتْ ... منهم ديارُ الإنس وهْىَ قفار
فلئن غَدَتْ مصرٌ فلاةً بعدهم ... فلهمْ بأجواز(١) الفلاَ أمصار
أو جاوروا نجداً فلى من بعــدهمْ ... جاران : فيضُ الدمع والتذكار
أَلِفوا مواصلةَ الفلا والبيدِ مُذْ ... هجرتهمُ الأوطانُ والأوطار
بقلائصٍ(٢) مثل الأهلَّةِ عندما ... تبدو ، ولـكنْ فوقها أقمار
وكأنما الآفاقُ طراً أقْسَمَتْ ... أَلَّا يقر لهم عليــه قرار
والدهرُ ليلٌ مذ تناءت دارهمْ ... عنّى ، وهلْ بعد النهار نهار ؟
لى فيهمُ جارٌ يمتُّ بحرمتى ... إن كان يُحْفَظُ للقلوبِ جِوَارُ
لا بل أسِيرٌ فى وَثَاقِ وفائه ... لهمُ فقــــد قتل الوفاء إسار

ومنها :

أمنازلَ الأحباب غيَّرَكِ البلى ... فلنا اعتبارٌ فيك واســتعبار
سَقْيًا لدهرٍ كان(٣) منك تشابهتْ ... أوقاتُهُ فجميعه أســحار
قَصُرَتْ لىَ الأعوامُ(٤) فيه فمذ نأَوْا ... طالتْ بى الأَيامُ وهى قِصار
[٤٥ و] /يا دهرُ لا يَغُرُّكَ ضَعْفُ تجلدى ... إنى على غير الهوى صَــبَّار

وله :

كأنَّ قــدودهمُ أنبتتْ ... على كُثُبِ الرَّمْلِ قُضْبَانَها

(١) جوز الشيء : وسطه ومعظمه .
(٢) القلائص : جمع قلوص وهى الشابة من النوق .
(٣) فى الطالع : مرفيك . (٤) فى الطالع : بى الأيام .

حججنا بها كعبةً للسرورِ ترانا نُمسّحُ أرْ كانَها
فطوراً أعانقُ أغصانَها وطوراً أُنادم غزلانَها
على عاتقٍ (١) إن خبَتْ شمسُنا فَضَضْنا عَنِ الشمسِ أذْنانَها
وإن ظهرَتْ لكَ محجوبةً قرأت بأنفِكَ عُنوانَها
كُميْتٌ من الراحِ لكنّما جعلنا من الروح فرسانَها
إذا وجدت (٢)، حلبةٌ للسرورِ وكانَ مَدَى السُّكرِ مَيْدانَها
يطوفُ بها بابليُّ الجفونِ تفضحُ خَــدّاهُ ألوانَها
إذا ما ادّعَتْ سَقَماً مُقْلتَاهُ أقتْ بجسمي بُرْهانَها
بكأسٍ إذا ما علاها المزاجُ أحالَ إلى التبرِ مَرْجانَها
كأنَّ الحبابَ وقد قلّدَتْــهُ دُرٌّ يُفصِّلُ عِقْيانَها
ومُسْمِعَةٍ (٣) مثل شمس الضحى أضافت إلى الحسن إحسانَها
وراقصةٍ رَقْصُها لِلُّحُونِ عَرُوضٌ تُقيِّــدُ أوزانَها
ولما طوَى الليلُ ثوبَ النهارِ وجرَّتْ دَيَاجيه أرْدَانَها
جلونا عرائسَ مثلَ اللُّجَيْنِ صنعنا من النار تيجانَها
/ وصاغتْ مدامعها حِلْيَةً عليها تُوَشِّحُ جُثْمانَها [٤٥ ظ]
رماحاً من الشمعِ تفري الدجى إذا صقلَ الليلُ خُرصانَها
بها ما بأفئدةِ العاشقينَ فليستْ تفارقُ نيرانَها
وقد أشبهتْ رُقَباءَ الحبيبِ فما يدخل الغُمْضُ أجفانَها
وفيها دليلٌ بأنَّ النفوسَ تَبقَى وتُذْهِبُ أبْدانَها

---

(١) العاتق : الخمر وسيفسرها هو بنفسه .
(٢) يريد فهي حلبة .
(٣) المسمعة : المغنية .

ومن شعره ما أورده أخوه فى (الجنان) وهو قوله :

لم تنلْ بالسيوف فى الحرب إلا   مثلمـــا نلتَ باللواحظ مِنّا
وعيونُ الظِّبا ظُبًا وبهـــذا   سُمِّىَ الجَفْنُ للتشابه جَفْنـــا

وقوله :

وقد أنكروا قتلى بسيف لحاظه   ولو أنصفونى ما استطاعوا له جحدا
وقالوا دع الدعْوَى فما صحَّ شاهدٌ   عليها ولسنا نقبلُ الكفَّ والخدا
ولو كان حقاً ما تقـــولُ وتدعى   على مقلتيـــه عاد نَرْجسها وردا
وما علموا أن الحسامَ بِسَفْكِهِ   دمَ القِرْنِ يومًا عُدَّ أمْضَى الظُّبا حَدًّا

وقوله :

لقد طال هـــذا الليل بعد فراقه   وعهدى به لولا(١) الفراقُ قصيرُ
وكيف أُرَجِّى الصُّبْحَ بعدهُمُ وقدْ   تَوَلَّتْ شموسٌ منهمُ(٢) وبدور

وقوله :

[٤٦ و] / ليت شعرى كيفَ أنتمْ بَعْدَنا   أترى عندكمُ ماعنـــدنا
بِنتمُ والشـــوق عنَّا لم يَبِنْ   وظعنتمْ والأسى ماظَعَنـــا

ومنها :

قلْ لمسرورين بالبـين — وقد   شفَّنَا من أجلهمْ ما شفنا —
لم يهُنْ قطُّ علينا بُعْـــدُكُمْ   مثلما هانَ عليكم بُعْـــدُنا
ولقـــد كُنَّا نعزِّى النفسَ لو   كنتمُ قبلَ التنائى مثلنـــا
لم تُبالوا إذْ رحلتمْ غـــدوةً   أىَّ شىء صَنَعَ الدهرُ بنـــا

(١) فى الفوات : قبل .   (٢) فى الفوات : بعدهم .

سهرتْ أجفانُنا(١) بعدكمُ   فكأنّا ما عرفْنا الوسنا
لا رأتْ عينٌ رأتْ من بَعْدِكُمْ   غيرَ فيضِ الدمع ، شيئاً حسنا

ومنها :

وأخدعوا العينَ بطيفٍ مثلما   تخدعُ القلبَ أحاديثُ المُنى

وقوله :

ويا عجباً حتى النسيمُ يخوننى   ويُضرمُ نيرانَ الأسى بهبوبِهِ
تُحمِّلُهُ سلْمَى إلينا سلامَها   فيكتُمُهُ ألّا يَضُوعَ بطيبِه

وقوله من قصيدة :

أترى بأىِّ وسيلةٍ أتوسّلُ   لمْ تُجْمِلوا بى فى الهوى فتجمّلُوا(٢)
/أشكو وجورُكُمُ يزيدُ وما الذى   يُغنى المُتيّمَ أن يقول وتفعلوا [٤٦ ظ]
إنْ أصْبَحَتْ عينى لدمعى مَنْهَلاً   فالعينُ فى كل اللغات المَنْهَلُ(٣)

وقوله فى المديح من قصيدة :

عَضَدْتَ النّدَى بالبأسِ تَقْضى على العِدَا   سيوفُكَ ، أو تَقْضى عليكَ المكارمُ
سحائبُ جودٍ فى يديك تضمّنتْ   صواعقَ ظَنُّوا أنهنَّ صوارمُ
إذا ما عَصَتْ أمراً لهنَّ قلوبُهُمْ   ضَلالاً أطاعتْ أمْرَهُنَّ الجماجم

ومنها :

وغُرٍّ على غُرٍّ جيادٍ كأنما   قوائمها يوم الطِّراد قوادمُ(٤)

---

(١) فى الأصل : أجفانكم .
(٢) تجمل : بتشديد اللام تكلف الجميل ، ولم تجملوا : أى لم تصنعوا الجميل .
(٣) هنا تورية واضحة .
(٤) قوادم الطير : مقاديم ريشه وهى عشر فى كل جناح .

إذا ابتدروا في مأقِطٍ[1] فرحت بهم … صدورُ المذاكى[2] والقنا والصوارم

ومنها في صفة السيوف :

تريك بروقاً في الأكف تدلُّنا … على أنّ هاتيك الأكفّ غمائمُ

ومنها في صفة الرماح :

وسُمْرٍ عوالٍ زيّنتها أكفُّهمْ … فقد حسدَتْ منها الكعوبَ اللهاذمُ[3]

إذا عقلوها خِلْتَهمْ متوشّحِي … سلوخٍ وفي الأيمانِ منهمْ أراقم

تلوحُ نجوماً ، في النحور غروبها … إذا جَنّها ليلٌ مع النقعِ قاتم

ومنها في المدح :

اذا صُلْتَ قال الدينُ والعدلُ : منصفٌ … فإن جُدْتَ قال الجودُ والمالُ : ظالمُ

[٤٧ و] / وقوله :

مالَهُ من فتكِ راحتِهِ … كأعاديه على وَجَلِ
أبدًا تتلو مواهِبُهُ … خُلِقَ الإنسان من عَجَلِ[4]

وقوله في الوزير رضوان[5] بن ولخشى :

إذا قابَلَتْهُ ملوكُ البلا … دِ خرّتْ على الأرضِ تيجانُها
ولله في أرضه جنّةٌ … بمصرَ ورضوانُ رضوانُها

---

(١) المأقط : ميدان القتال .
(٢) المذاكى : من الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان .
(٣) اللهاذم : الأعالى .
(٤) هذا الشطر اقتباس من القرآن الكريم .
(٥) هو رضوان بن ولخشى وزير الحافظ (٥٢٤ — ٥٤٤ هـ) وقد قتله عام ٥٤٣ هـ إذ استولى على شئون الدولة وحجر على الحافظ فدس عليه السودان فقتلوه (النجوم الزاهرة ٥/٢٨١) .

وقوله من قصيدة فى المدح :

وَقَبْلَ كَفِّكَ — لازالتْ مُقَبَّلَةً — ما إنْ رأينا سحابًا قَطْرُه بِدَرُ[١]
أحْيَيتَ وأَرْدَتْ فمن أنوائها أبدًا صوبُ الندى والردى فى الناسِ مُنهمر
أعْيَيت صفاتُكَ فكرى وهى واضحةٌ كالشمس يَعْجِزُ عن إدرا كها البصر

وقوله من قصيدة :

جَمعَ الفضـائل كلَّها فكأنما أضحى لشخص المَكْرُماتِ مِثالا
ما كان يُبْقِي عـدلُهُ متظلِّمًا لو كان يُنْصِفُ جُودُهُ الأموالا
لا يرتضى فى الجُودِ سَبْقَ سؤال مَنْ يرجوهُ حتى يَسْـبِقَ الآمالا

وقوله من المراثى فى كبير ، عَقِبَ موْتهُ نزولُ مطرٍ كثير :

/بنفسى مَن أبكى السمواتِ موتُهُ[٢] بغيثٍ ظَنَنَّاهُ نوالَ يمينِـهِ [٤٧ ظ]
فما اسْتَعْبَرَتْ إلا أسًى وتأسُّفًا وإلا فماذا القطر فى غير حينه ؟

وقوله :

فإن تكُ قد غاضَتْ بجودٍ أكُفُّكُمْ عيونٌ ، وفاضتْ بالدموع عيـونُ
وخانتكُمُ — والدهرُ يُرْجَى ويُتَّقَى — حوادثُ أيامٍ تَفِى وتخـونُ
فلا تيأسـوا إنَّ الزمان صُروفَهُ وأحداثهُ مثـل الحديثِ شجون

وقوله من قصيدة :

هو الدهرُ ، فانظرْ أىَّ قِرْنٍ تحاربهْ وقد دهمتنا دُهْمُـهُ وأشاهِبُهْ[٣]
ليالٍ وأيامٌ يُغِرُّ بهـا الورَى وما هى إلا جُنْـدُهُ وكتائبه

---

(١) البدر : جمع بدرة وهى الصرة من النقود .
(٢) فى الفوات ومعجم الأدباء : فقده .
(٣) يريد الليالى والأيام على التشبيه بالخيل .

ومنها :

وما شِيَمُــهُ غيرُ الكرام كأنما   مناقِبُهُمْ — عند الفَخارِ — مثالبُهْ

ومنها :

لقد غابَ عن أُفْقِ العلا كلُّ ماجدٍ   له حاضرُ المجدِ التليدِ وغائبُــه
إذا ذكرتْهُ النفسُ بتُّ كأنني   أسيرُ عِدًا سُدَّتْ عليه مذاهبُــه
وكم ليــلةٍ ساهرْتُ أنجمَ أُفْقِها   إذا غابَ عنى كوكبٌ لاح صاحبه
يطولُ علىَّ الليــلُ حتى كأنما   مشارقُهُ للناظرين مغــاربه
وقد أسلمَ البدرُ الكواكبَ للدجى   وفاء لبــدرٍ أسلمَتْهُ كواكبه
[٤٨ و] / يُخَيَّلُ لى أنَّ الظلامَ عجاجةٌ(١)   وأنَّ النجومَ السارياتِ مواكبه
وأنَّ البرُوقَ اللامعاتِ سيوفُهُ   وأن الغيوثَ الهامعاتِ(٢) مواهبه

ومنها :

فقلْ لليالى بعد ما صَنَعَتْ بنا   ألا هكذا فليَسْلُبِ المجدَ سالبه

وقوله فى العتاب والهجاء من قصيدة :

خليلىَّ إن ضاقتْ بلادٌ برُحْبِها   ورائى فما ضاق الفضاء أماميــا
يظنُّ رجالٌ أننى جئتُ ســائلاً   فأسخطنى أنْ خابَ فيهمْ رجائيا
وما أنا ممن يُسْتَفَزُّ بمطمعٍ   فيُخْلِفُهُ منــه الذى كان راجيا
ولــكننى أصْفَيْتُ قومًا مــدائحى   فأصبحَ لى تقصيرُهُمْ بىَ هاجيــا
فإن كنتُ لا أُلْفَى على المَنْعِ ساخطًا   كذلك لا أُلْفَى على البَذْلِ راضيا
محاسنُ لى فيهمْ كثيرٌ عــديدُها   ولــكنها كانتْ لديهم مساويا

(١) العجاجة : غبار الحرب .   (٢) الهامعات : الهاطلات .

تُقَلِّدُهُمْ من دُرِّ نحرى قلائدًا   ولو شئتُ عادت عن قليلٍ أفاعيا

ومنها :

ولو كنتُ أنصفتُ المدائحَ فيهمُ   لصيَّرتُها للأكرمين مراثيا

وقوله :

لا ترجُ ذا نقصٍ(١) ولو أصبحتْ   من دونه فى الرتبةِ ، الشمسُ
كيوانُ(٢) أعلى كوكبٍ(٣) موضعًا   وهو — إذا أنصفتَهُ — نَحْسُ

/ وقوله فى ذم الزمان : [٤٨ ظ]

كم كنت أسمع أن الدهرَ ذو غِيَرٍ   فاليومَ بالخُبْرِ أستغنى عن الخَبَرِ

ومنها :

تشابهَ الناسُ فى خَلْقٍ وفى [خُلُقٍ](٤)   تَشَابُهَ الناسِ والأصنامِ فى الصُّوَرِ
ولم أبِتْ قطُّ من خَلْقٍ على ثِقَةٍ   إلا وأصبحتُ من عقلى على غَرَرٍ(٥)
لا تخدعَنِّى بمرئىٍّ ومُسْتَمَعٍ   فما أُصَدِّقُ لاسمعى ولا بصرى
وكيف آمَنُ غيرى عند نائبةٍ   يوماً إذا كنتُ مِنْ نفسى على حَذَرِ
تأبى المكارمُ والمجدُ المؤثَّلُ لى   من أنْ أُقيمَ ، وآمالى على سَفَرِ
إنى لأشْهَرُ فى أهلِ الفصاحة مِنْ   شمسٍ وأسْيَرُ فى الآفاق من قمرِ

---

(١) فى الفوات : نحس .

(٢) كيوان — فى رأى العرب كما قدمنا — أبعد الكواكب علواً وفى الوقت نفسه يجعلونه كوكب النحس والشؤم .

(٣) فى الأصل كوكباً .

(٤) ساقطة من الأصل والأبيات غير موجودة فى المراجع التى بين أيدينا وقد زدنا الكلمة ملائمة للسياق .

(٥) الغرر : الخطر .

وسوف أرْمِى بنفسى كلَّ مهلكةٍ … تَسْرِى بها الشهبُ إن سارَتْ على خطرِ
إمَّا العُـلَا ، وإليها مُنْتَهَى أملى … أو الرَّدَى ، وإليهِ مُنْتَهَى البَشَرِ

وقوله :

لا تُنْكِرَنَّ من الأَنَامِ تفاوُتاً … إذ كان ذا عَبْـــدًا وذلك سَيِّدَا
فالناسُ مثلُ الأرض منهـا بُقْعَةٌ … تَلْقَى بها خَبَثًا وأُخْرَى مَسْجِدا

وقوله :

ومن نكد الأيام أنِّى كما تَرَى … أُكابدُ عيشًا مثلَ دهرِىَ أنْـكَدَا
أَمِنْتُ عِدَاتى ثمَّ خِفْتُ أحبَّتى … لقد صدقوا ، إنَّ الثقاتِ هُمُ العِدَا

[٤٩ و] / ومن شعره فى عدة فنون قوله :

لا تَطْمَعَنْ فىَّ أرضٌ أنْ أُقيمَ بها … فليس بينى وبين الأَرضِ من نَسَبِ
حيث اغتربتُ فلى من عفَّتى وَطَنٌ … آوى إليـه وأهلٌ من ذوى الأدبِ
لولا التنقلُ أعْيا أنْ يَبينَ على … باقى الكواكبِ فضلُ السَّبْعَةِ الشُّهُب

وقوله فى شمعة :

ومصفرَّةٍ لا عن هَوًى غيرَ أنَّها … تحوزُ صفاتِ المستهامِ المُعَـذَّبِ
شجونًا وسُـقْمًا واصطبارًا وأَدْمُعًا … وخَفْقًـا وتسهيدًا وفرطَ تَلَهُّبِ
إذا جَمَّشَتْها(١) الريحُ كانت كمِعْصَمٍ … يردُّ سـلامًا بالبَنانِ المُخَضَّبِ

وقوله :

لئن زادنى قُرْبُ المَزَارِ تَشَوُّقًا … للقياك ، آذى فِعْلَهُ عَدَمُ الحسِّ
فما أنا إلا مثـلُ ساهرِ ليلةٍ … بدا الفجرُ فازداد اشتياقا إلى الشمس

(١) التجميش : الملاعبة والمغازلة .

٢٢ – القاضى أبو الفتح محمود* بن إسماعيل بن حميد الفهرى

وأَصْلُهُ من دمياط وذكره أبو الصلت فى رسالته وقال : محمود بن إسماعيل الدمياطى كاتبُ الإنشاء بالحضرة المصرية . قال القاضى الفاضل توفى سنة إحدى وخمسين ، وأنشدنى له أشعارًا محكمَةَ النسج / كالدرِّ فى الدرج . علق بحفظى من [٤٩ ظ] قصيدة هائية هذا البيت :

أَثَرُ المشيبِ بفَوْدِهِ وفُؤادِهِ ... ألجاه أَنْ يَبْغى لديها الجاها

وأنشدنى له فى ابن الزبير وكان أسود :

يا شبه لقمانَ بلا حكمَةٍ ... وخاسرًا فى العلم لا راسخا
سلخت أشعارَ الورى كلِّهِمْ ... فصرتَ تُدْعَى الأَسْوَدَ السالخا

وأنشدنى الأمير مرهف بن مؤيد الدولة أسامةَ بن منقذ لأبى الفتح ابن قادوس فى رجل كان يُكبِّرُ كثيرًا فى الصلاة :

وفاترِ النيَّةِ عِنِّينِهَا ... معْ كَثْرَةِ الرَّعْدَةِ والهزَّهْ
مُكَبِّرٌ سبعينَ فى مَرَّةٍ ... كأَنَّهُ صلَّى على حَمْزَهْ

وأنشدنى قوله أيضا :

ولائمٍ يلومنى ... يريدُ مِنِّى تَوْبتى
يقولُ لى : الموتُ غدًا ... فقلت : هذا حُجَّتِى

وأنشدنى قوله أيضاً فى طبيب :

عليلُه منه عَلَى ... حالَيْ خسارٍ يَحْصُلُ
تُؤْخَذُ منهُ دِيَةٌ ... وبَعْدَ هذا يُقْتَلُ

(*) فى حسن المحاضرة للسيوطى ١/٣٢٤ : كاتب الإنشاء بالديار المصرية وشيخ القاضى الفاضل وكان يسميه ذا البلاغتين

[١٣٥ و] / وأنشدنى قوله فى الهجو :

قد كنتَ علقًا نفيسًا   سمحًا تجـودُ بنفسكْ
إذْ جاءكَ الحظُّ فافخرْ   على أُبَيْناءِ جنسـك
وإنْ تذكَّرَ قومٌ   حديثَ أَمْسِكَ أَمْسِكْ

وله من قصيدة :

قمْ قبـــلَ تأذينِ النواقيسِ   وأَجـــلُ علينا بنتَ قسِّيسِ
عروسَ دَنٍّ لم يَدَعْ عِتْقُهَـــا   إلا شُعَاعًا غيرَ ملمـــوس
تُجْلَى علينـــا باسمًا ثغرُهَا   فلا تقابِلْهـــاَ بتَعْبِيس
مُذْهَبَـــةُ اللونِ إذا صُفِّقَتْ   مُذْهِبَـــةٌ للهمِّ والبُوس
نارٌ إلى النـــارِ دعا شُرْبُهَا   وشَرَّدَتْ بالعقـــلِ والكيس
لا غروَ ما تأتيه من ريبـــةٍ   لأنهـــا عُنْصُرُ إبليس
ليس لهـــا عيبٌ سوى أنها   حسرةُ أقـــوامٍ مفاليسِ
فى روضـــةٍ كانت أزاهيرُهَا   كأنَّهـــا ريشُ الطواويس
فاغتنمِ اللـــذاتِ فى دولةٍ   صافيةٍ من كل تَعْكيس
بقيتَ فى عمرٍ فسيحِ المـــدى   من كلِّ ماتَحْـــذَرُ محروسِ

وله من قصيدة :

خلعتُ عذارى والتُّقَى فى هواكمُ   فأصبحتُ فيكم مُعْجَبًا بذنوبى
[١٣٥ ظ] / وما مِثْلُ هذا الحبِّ يُحْمَلُ بَعْضُهُ   ولـكنَّ قلبى فى الهوى كَقُلُوبِ

وله :

لما تعلَّقَ ظبيـــةً   رُوداً[١] وظبياً أهْيَفَـــا[٢]

(١) الرود: الشابة الحسنة . (٢) أهيف : ذو هيف ، وهو ضمور البطن ورقة الخاصرة.

وتآلفـــا بفـؤادِهِ   صـار الفؤاد[١] مُصحَّفَا

وله :

وليلةٍ كاغتماضِ الطَّرْفِ قصَّرَهَا   وصلُ الحبيبِ ولم نُقْصِرْ عَنِ الأَملِ
بِتْنَا نجاذبُ أهْدابَ الظلامِ بها   كفَّ الملامِ وذكْرَ الصدِّ والملل
وكلما رامَ نُطقاً في معـــاتبتي   سَدَدْتُ فاهُ بطيبِ اللثمِ والقُبَلِ
وبات بدرُ تمامِ الحسْنِ مُعْتَنِقِي   والشمسُ في فلَكِ الكاساتِ لم تَفِلِ

ومنها البيت الذي سار له :

فبتُّ منها أرى النارَ التي سجدتْ   لها المجوسُ ، من الإبريق تسجدُ لي
راحٌ إذا سَفَكَ النَّدْمَانُ من دمها   ظَلَّتْ تقهقهُ في الكاساتِ من جَذَلِ
فقلْ لمنْ لامَ فيهـــا إنني كلِفٌ   مُغْرًى بها مثلما أُغْرِيتَ بالعَذَلِ

وله :

أأحمُدُكُمْ لك عندي يدٌ   كما انبعثَ الماءُ من جَلْمَدِ
قَصَرْتُ على شكرها مَنْطِقاً   رَطيبَ اللسانِ نَدِىَ[٢] النَّدِى[٣]
فلا تقطعَنْهـــا فإني أخافُ   تطـــيُّرَ قومٍ بقطعِ اليد

/ وأنشدني الأمير مرهف بن أسامة بن منقذ له : [١٣٦ و]

أَكْرِمْ بقلبي للأحبَّةِ منزِلا   رَبعُوا[٤] به أم أزْمعُوا مُترحِّلا
جادتْهُ أنواءُ الدموعِ فما أغْتَدَى   يوماً لمِنَّاتِ الحَيَا مُتحمِّلا
حفظي لعهدِ الغادرين أضاعَ لي   قلباً أقامَ غرامُهُ وترحَّـــلا

(١) تصحيفه قواد .
(٢) في الأصل : ند .
(٣) الندى : الصوت .
(٤) ربعوا به : وقفوا .

لا يَبْعُدَنْ زمنٌ مضى لو تُشْتَرى ... ساعاتُهُ بالعمر أجمعَ ما غَلَا
أيَّامَ أغصانُ القدودِ ، قطوفُهَا ... تُجنى ، وأقمارُ الملاحة تُجْتَلَى
ومهفهفٍ لولا سهامُ جفونه ... تُضْمِى لأَدْرَكَ عاشقٌ ما أمَّلا
كالبدرِ وجهاً والغـــزالِ تلفُّتًا ... والحِقْف(١) ردفاً والقضيب تَمَيُّلا
ويكادُ من طيبِ المُقَبَّلِ يَنْثَنى ... عود الأَراكِ من الثنايا مُبْدلا
إن كان يحكى البدرَ وجهاً إنه ... يحكيه أيضاً فى البروج تَنَقُّلَا
ولقد أُديلُ من الصبابة همتى ... وأشيمُ(٢) من شِيَمِى عليها مُنْصُلا
وأصونُ عقـدَ بلاغةٍ نَظَّمْتُهُ ... عن أن يُرَى بِسِوَى عُلاكَ مُفَصَّلا
يا من تساوتْ فى العـلا أقسامُهُ ... وسما بهمته فكانَ الأفضَـــلا
أرضٌ سعتْ قدماك فيها لا تزلْ ... لذوى الممالك قِبْـــلةً ومُقَبَّلا
ونداك ، كل مؤمِّلٍ ما أمَّلا ... إلا تجهَّمَ للعُفـــاةِ وأمَّلا
مَلِكٌ يلاقى الطيفَ وهْوَ مُدَرَّعٌ ... حزماً ، ويقتنصُ الفوارس أعزلا

[١٣٦ ظ] / وأنشدنى أيضاً لابن قادوس فى الرشيد بن الزبير وكان أسود :

إنْ قلتَ من نارٍ خُلِقْـ ... ـتَ وفُقْتَ كل الناسِ فَهْما
قلنا صـــدقتَ فما الذى ... أطفاكَ حتى صِرْتَ فحما ؟

وله :

مليكٌ تَذِلُّ الحادثاتُ لعـــزِّه ... يُعيدُ ويُبدى والليالى رواغمُ
وكم كربةٍ يومَ النزالِ تكشَّفَتْ ... بِحَمْلاته وهْىَ الغَوَاشى الغواشِمُ
تَشِيدُ بناءَ الحمدِ والمجدِ بيضُهُ ... وهنَّ لأساس الهوادى هوادم
رقاقُ الظُّبَا تجرى بآجالِ ذى الوَرَى ... وأرزاقِهِمْ ، فَهْى القواسى القواسم

(١) الحقف : المعوج من الرمل .
(٢) شام سيفه : استله .

[ومن قصيدة] فى صفة زاهد :

إذا قائمُ السيف انثنى فى مُلِمَّةٍ   عن الفعل أغنى وحدَهُ وهْو قائمُ

فما صَدَرَتْ عن موردِ النفس خِلْتَهَا   بأَغمادها وَهْى العوارى العوارم

ومنها مخاطباً للزاهد :

صحائفُ أعداها الشباب بصبغةٍ   فهل أنت ماحٍ ما تخطُّ المآثم

ومن محاسن ابن قادوس ، فى شعره العلق بالنفوس ، ما استخرجته من ديوانه قوله فى صفة كتاب :

/ مدادُهُ فى الطِّرْسِ لَمَّا بدا   قَبَّلَهُ الصبُّ ومَنْ يزهدُ [١٣٧ و]

كأنما قد حلَّ فيه اللَّمَى   أو ذاب فيه الحجرُ الأَسود

وقوله :

مَنْ عاذرى مِنْ عاذلٍ   يلومُ فى حُبِّ رَشَــا

إذَا نَـكِرْتُ حُبَّــهُ   قال كَفَى بالدمع شــا

أى شاهد .

وقوله فى صبي لم يدرك :

سالمُ الفكر من تَخَالُجِ شَكٍّ   مُصْبِحُ الرأى فى المُلِمِّ البَهِيمِ

يُولِجُ الليلَ فى النهارِ من الخطِّ   بلفظٍ كمشرقاتِ النجومِ

وله من قطعة :

لقد كان جاهى عريضاً بكم   فَلِمْ صار كالخطِّ لا عَرْضَ لهْ

وكم من يدٍ لك مشكورةٍ   ومالِيَ فيهـا ولا أُنْمُلَهْ

وقوله فى ابن العلّانى المعرى :

هذا ابن علّانيكمُ ، شِـــعْرُهُ ينوب فى الصيف عن الخَيْشِ
إنْ لم يكن مثل امرئ القيس فى أشـــعاره فهْو امرؤُ الفَيْشِ

وله فى أقلفٍ :

وقيتَ قفـاك من وقعِ القوافى وألفاظٍ خـــفافٍ كالحِقافِ
متى تُرْجى لنفــعٍ أو لدفعٍ وقلبُكَ مثل ... فى غِلَافِ

/ وله : [١٣٧ ظ]

لام العواذلُ مغرماً فى حبِّ مُلْهِيَةٍ وَقَيْنَهْ
ولو أنهنَّ رأين تأْ ثيرَ الغرام به وَقَيْنَهْ

وله فى مرثية :

يا فجعةً هى فى الجنانِ مَسَرَّةٌ لقـــدومِهِ تختال فى غرُفَاتِها
إنْ كان فى الدنيا عليهِ مأتمٌ فأراه عُرْسُ الحورِ فى جنَّاتِهـا

وله :

يا من يكرُّ على جريــــح اللحظ منه مُجْهِزْ(١)
ديباج خدَّيه بسنـــدُسِ عارضَيْهِ مُفَرْوَزْ(٢)
وبخـدِّهِ خالٌ لدا ئرةِ الملاحةِ مرْكَزْ
قل لى ولحظُكَ صارمٌ فى أىِّ دِرْعٍ أبْرُزْ
أبداً بسلطانِ الجما لِ وبالهوى يتعزَّزْ

(١) مجهز : من أجهز عليه أى قضى . (٢) ثوب مفروز : له تطاريف .

ويقول غِرٌّ بالتجـنى وهو فيه مُبَرِّزُ
ويَسُومنى ما لا يجو زُمن الأذى فأُجوِّزُ
لولا الوزيرُ وعدلُهُ لم يُغْنِ فيه تَحَرُّزُ
عدلٌ يَفيض وهمةٌ تَنهَى العذولَ وتَحْجِزُ

وله :

/ يا أرمداً أرمد العيـنَ من دماء الجراحِ [١٣٨ و]
يقول طرفِى شاكٍ صدقتَ ، شاكى(١) السلاح

وله يهجو شاعراً :

لو كان ينصفُ حين يُنْشِدُ شعرَهُ وَسْطَ المَلا
صفعوه عِدَّةَ كلِّ حرْ فٍ فيه لكنْ جُمَّلا(٢)

وله يهجو :

إذا قال لا يعدو كلامَ ابن فاعلٍ على أنَّ مَحْضَ الجهل حشْوُ دماغهِ
وليس كلاماً ما يقول وإنما يجيب الصَّدا من رأسه من فراغه

وله فى جارية سوداء :

وعاذلٍ محتفلٍ مجتهدٍ فى عَذَلى
يلومُنى فى ظبيةٍ مخلوقةٍ من كَحَل
إنَّ السَّوادَ عِلَّةٌ من نورِ هذى المُقَل
والحَجرُ الأسودُ لم يُخْلَق لغيرِ القُبَلِ
والقارُ مذ كان وعا ء السلسبيلِ السَّلْسَلِ

(١) شاكى السلاح : له شوكة وحد فى سلاحه .
(٢) حساب الجمل : تقدير للحروف الهجائية بأرقام تختلف باختلاف الحروف .

وله :

فإن عدتَ إلى وصلــك فالألطافُ مَرْجُوَّة
وإن لجَّ بك الهجرُ   فلا حولَ ولا قُوَّه

/وله : [١٣٨ ظ]

حوله اليــومَ أُناسٌ   كلُّهمْ يُزْهى برَائِهْ
وهْو مثلُ الماء فيهمْ   لونُهُ لونُ إنائِهْ

وله :

ابنُ فلانٍ رجلٌ صالحٌ   فامتحنوه واَقبلــوا رأيى
ارموهُ فى البحرِ لكى تنظروا   فإنه يمشى على الماء

وله فى ذم السواد :

أَهْوِنْ بلونِ الســواد لوناً   ما فيه من حُجَّةٍ لناسِبْ
لستَ ترى حُمْرَةً لخدٍّ   فيه ولا خُضْرَةً لشارِبْ

وله فى فرس يستعمل فى الماء :

أأرَدْتَها تَبْقَى وقدْ   كلَّفْتَها بالماء قُوتَا
لــكنْ لشدَّةِ ضَعْفِها   ما كان فيها أن تموتا

وله يهجو :

عِرْسُ هذا الفعيل مذ غرس النا   كةُ فيهــا . . . وهْى مُباحَهْ
أثمرَتْ رأســه قروناً طوالاً   إنَّ هذا لمِنْ غريبِ الفِلاَحَهْ

وله :

يقظانُ ملتهبُ النَّدَى فكأنّه مُغْرًى بإتلافِ النُّضَارِ مُسَلَّطُ

ومن شعره(١) :

ذو عارضٍ كالغُـرَابِ لوْناً وشاربٍ مثـل ريشِ بَبْغَا

وله يهجو أنفاً كبيراً :

أنفُ الشريفِ دونه الآنافُ كأنما الدنيـا له غِلَافُ

ومن شعره :

قل لمن قد مَحَضتُهُ خالص الحـبِّ فلم يَجْزِنِي على قدر حُبِّي
قد قَنِعْنَا بمنظـرٍ يُطْفِىء الوجْـدَ ولفظٍ يُلْهِي الفؤاد ويُصْبِي
ما أُحِبُّ الوصالَ إلا لهـذا فبقلبي أحبكم لا ....

وله فى رجل كبير الأنف :

عليك لا لكَ أنفٌ ظلَّ مُشْتَرِفا حتى غدَا بنجوم الأُفْقِ مُلتصِقا
فلا تقلْ خلقةُ الله ازدريْتَ بها فقد يعاذُ به من شرِّ ما خَلَقا

وله فى المعنى :

كأنه السدُّ الذى بيْنَنا وبيْنَ يأجوجٍ ومأْجوجِ

وله فى المعنى أيضاً :

ورُبَّ أنفٍ لصـديقٍ لنا تحـديدُه ليس بمعلومِ
ليس على العرشِ له حاجبٌ كأنه دعوة مظـلوم

(١) هنا فى الأصل خرم ، وقد أكملنا الترجمة من مختصر الخريدة .

٢٣ – الموفق أبو الحجاج يوسف* بن محمد المعروف بابن الخلال

هو ناظر ديوان مصر و إنسان ناظره ، وجامع مفاخره ، وكان إليه الإنشاء ، وله قوة على الترسل يكتب كما شاء ، عاش كثيراً وعطل فى آخر عمره وأضرّ ، ولزم بيته إلى أن تعوض منه القبر ، وتوفى بعد تملك الناصر مصر بثلاث أو أربع سنين . وأنشدنى مرهف بن أسامة بن منقذ ، قال أنشدنى الموفق بن الخلال لنفسه من قصيدة :

عَذُبَتْ ليالٍ بالعُذَيب خَوالى ... وحلَتْ مواقفُ بالوصالِ حَوالى
ومضتْ لذا ذاتٌ تَقَضَّى ذِكْرُها ... تُصْبِى الحليم وتَسْتَهِيمُ السالى
وجَلَتْ موردَّة الخدود فأَوْثَقَتْ ... فى الصَّبْوةِ الخالى بحُسْنِ الخالِ
قالوا سَراةُ بنى هلالٍ أصْلُها ... صَدَقوا كذاكَ البدرُ فرع هِلال

ونقلت من كتاب جنان الجنان ورياض الأذهان من شعر ابن الخلال قوله :

وأغَنَّ سيفُ لحاظِهِ ... يَفرى(١) الحُسامَ بحدِّهِ
فَضَحَ الصوارمَ واللِّدَا ... نَ بقدِّهِ وبقدِّهِ
عجبَ الوَرَى لما حييتُ(٢) ... وقد منيت ببعده(٣)

---

* سقط أول هذه الترجمة فى الخرم المذكور وقد جئنا به من ابن خلكان إذ نقل عبارة العماد بلفظها ، ورجعنا إلى المغرب وقد نقلها هو الآخر كما رجعنا إلى المختصر بحيث رم النقص هنا . وابن الخلال آخر رؤساء ديوان الإنشاء فى العهد الفاطمى ، وتتردد فى صبح الأعشى رسائل له كما يتردد اسمه . ولم يزل فى ديوان الإنشاء إلى أن طعن فى السن وعجز عن الحركة وتسلم مقاليد الأمور أسد الدين شيركوه ، فانقطع فى بيته ، وتولى الديوان القاضى الفاضل ويقال إنه كان يرعى له حق تخريجه ، إذ كان أستاذه وعلى يديه تخرج فى صناعة الرسائل ، فكان يجرى عليه كل ما يحتاج إليه إلى أن توفى سنة ٥٦٦ هـ . انظر ترجمته فى وفيات الأعيان وفى المغرب نسخة الجامعة العربية الورقة ١١٣ وشذرات الذهب ٤ / ٢١٩ وحسن المحاضرة ١ / ٣٢٤

(١) فى ابن خلكان : يغرى (٢) فى المغرب : بقيت
(٣) فى المغرب : بصده

وبقاء جسمى ناحلا يصْلى بوقدة صدّه(١)
/ كبقاء عنبرِ خالهِ في نارِ صَفْحةِ خدّه [١٣٩ و]

وقوله فى شمعة :

وصحيفةٍ بيضاء تَطْلُعُ فى الدجى صبحًا وتشفى الناظرين بدائها
شابتْ ذوائبها أوانَ شبابها واسودَّ مَفْرِقُها أوانَ فنائها
كالعين فى طبقاتها ودموعِها وسوادِها وبياضِها وضيائها

وقوله فى الشمعة أيضاً :

وصَعْدَةٍ لدنةٍ كالتبر تَفْتُقُ(٢) فى جنحِ الظلام إذا ما أبْرَزَتْ فَلَقَا
تدنو فيَخْرِقُ بُرْدَ الليل لَهْذَمُها فإنْ نأتْ رَتَقَ الإظلامُ ما فَتَقَا
وتستهلُّ بماء عند وَقْدَتِها كما تألّقَ برقُ الغيثِ فانْدفَقَا
كالصبِّ لونًا ودَمْعًا(٣) والتظّاوضَنًا وطاعةً وسهادًا دائمًا وشَقَا
والحِبِّ أُنسًا وليناً واُسْتِوًا وشَذًا وبهجةً وطُروقًا واُجْتِلاً وَلِقَا

وقوله :

أما اللسانُ فقد أخْفَى وقد كتما لو أمكن الجفنُ كفَّ الدمع حين همَا
أصبتمُ بسهامِ اللحظِ مُهْجَتَهُ فهل يلامُ إذا أجرى الدموع دمَا
قد صارَ بالسقم من تعذيبكم عَلَمًا ولم يَبُحْ بالذى من جوْرِكم عَلِمَا
فما على صامتٍ أبْدَى لصدِّكُمُ فى كلِّ جارحة منه السقامُ فما

وقوله فى مرثيه بالعظات مثرية(٤) :

/ شِيَمُ الأيّامِ صدٌّ بعد وُدِّ والليالى عهدها أهْوَنُ عَهْدِ [١٣٩ ظ]

(١) إلى هنا ينتهى النقل من ابن خلكان والمقارنة على غيره مما ذكرناه
(٢) فى المغرب : تعبق (٣) هكذا فى المغرب وفى الأصل : ولعا
(٤) فى الأصل : مترثية

إن أعانَتْ عدَلَتْ أوْ خذَلَتْ سَلَبَتْ أوْ وجدت راعت بفَقْدِ
أُفٍّ للدُّنيا فكم تخدعنا من حِباها[1] بمُعارٍ مُسْتَرَدّ
ما وَفتْ أعوامُ قُرْبٍ بالذى جَنَتِ اللوعةُ من ساعةِ بُعْدِ
يا أخا الغِرَّةِ حَسْبُ الدهر من عِظَةِ المغرور ما أصبح يُبْدِى
تؤثِرُ الدنيا فهل نلتَ بها لحظةً تخلصُ من همٍّ وكَدّ

٢٤ — الشيخ أبو الحسن على بن الحسن المؤدب

قرأت فى مجموع له :

وأهيفٍ كالقضيبِ مُعْتَدِلاً باتَ بروضِ الجمال مَغْرُوسَا
أثمر بالشمسِ والظلامِ وهلْ يجتمع الصبحُ والحناديسا
سُمِّىَ باسم المسيح وهْوَ على ضدِّ الذى كانَ فاعلاً عيسى
فذاكَ يُحْيِى وذا يميتُ ضَنًّا صبًّا عليلاً لديه لا يُوسَى
تحَكَّمْ فى النفوسِ يملكها مثل سليمانَ عرشَ بلقيسا
يلتقفُ السحرَ سحرُ ناظره كأنما لحظهُ عصَا موسى

وله فى ذم العذار :

انقَعْ غليلَ الأَسَى بدمعٍ تقْرِحُ أسرابُهُ الجفونا
[١٤٠ و] / محا اسمكَ الشَّعْرُ من خُدودٍ أثبتَّ فى صحنها شُجُونَا
ما دبَّ فى عارضيك حتى بذلتَ من نفسك المصونا
فلا عدمنا اللحى فإنَّا بها نروضُ الفتى الحَرُونا

(١) الحباء : العطاء

٢٥ — الشريف أبو الحسن

على بن محمد الأخفش المغربى الشاعر

كنت أسمع التجار من أهل مصر وغيرهم من أهل الشام يصفونه ويُطْرونه، وعلى من بمصر من الشعراء يقدِّمُونَه، فإذا استنشدهم أحدٌ شعره قالوا ما نحفظه، لكنا لقبوله بمصر بعين الفضل نلحظه، حتى أنشدنى الشريف أحمد(١) ابن حيدرة الزيدى الحسينى شِعْرَه، فوجدت موافقا لَخبَرِه خُبْرَه. أنشدنى له من قصيدة فى المنبوز بالآمر(٢):

سَقَى دِمَنَ السَّفْحين للقطرِ صيِّبُ ... وحَيَّا رُبَى حَىٍّ رَبَا فيه رَبْرَبُ
فهل لى إلى شَهْدِ اللواعسِ مَشْهَدٌ ... وهل لى إلى شِعْب الأَحِبَّةِ مَشْعَب
وما لىَ عن شرع الصبابة مَشْرَعٌ ... وما لىَ إلَّا مذهبَ الحبِّ(٣) مَذْهَبُ
وفى الحىِّ رودٌ فى عِذابِ وُرودِهَا ... عَذابٌ يُذيب العاشقين ويَعْذُبُ
على نحره يَطْفُو على الماء جوهرٌ ... وفى خَدِّهِ تَسْعَى على النار عَقْرَبُ
إذا غربَتْ فى فيه شمسُ مُدَامَةٍ ... فمشرقها من خدِّه حين تغرب
بروضٍ بديع الحسن أمَّا شقيقُهُ ... فخدٌّ وأما الأُقحوانُ فأشْنَبُ(٤)
/سماءٌ كأنَّ للماء فيه مَجَرَّةٌ ... وللوردِ شمسٌ والشقائقِ كوكبُ [١٤٠ ظ]

(١) سيعرف به العماد فيما بعد وهو مدنى الأصل مصرى المولد رحل إلى العراق.
(٢) الآمر: السابع من خلفاء مصر الفاطمية تولى من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥٢٤ هـ
(٣) فى الأصل: الحُد
(٤) الأشنب: الثغر فيه رقة وبرد وعذوبة

كأن غصون الأيك عادت منابرا … بها وكأن الطير فيهن تخطب
وغنت على الأوراق ورق كأنها … قيان بأوتار المعازف تضرب
بليل من البدر المنير مفضض … يناط به شمس من الصبح مذهب
تعسفته لما تنصل بالضحى … عن الصبح فود بالظلام مخضب
وهجرت الرمضاء والآل مائح(١) … كأن على أمواجها العيس مركب
وقد زجلت(٢) جن الفلاة بمهمه … إذا جئت منها سبسبا عن سبسب
إلى ذروة النور العلائي(٣) إنه … إلى ذروة النور الإلهي ينسب

وأنشدنى له من قصيدة أولها :

متى يشتفى المشتاق من لوعة الأسى … ودائى دوائى ، والأسى معدن الأسا

ومنها :

غزال كحيل الطرف أحوى(٤) مفلج … تدرع جلباب الملاحة واكتسى
ويتلو كتاب السحر من لحظاته … كأن لدين السحر فيها مدرسا

ومنها :

ألا فاتخذ تلك الرياض منازها … فإن أمير الغيث فيهن عرسا(٥)
وكن بظباء الإنس صبا متيما … بأشنب معسول الثنيات(٦) ألعسا(٧)
له اسم متى ماشئت كشف غيوبه … كما يكشف الصبح المبلج حندسا

---

(١) الآل : السراب ، ومائح : من ماح الدلو إذا ملأها ماء
(٢) زجلت : غنت (٣) فى الأصل : الفلانى
(٤) أحوى : أسود الشفة (٥) التعريس : النزول ليلا
(٦) الثنيات : جمع ثنية وهى الأسنان فى مقدم الثغر .
(٧) اللعس : لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد .

/ مُدامٌ وحُورٌ ثُمَّ مِسكٌ ودميةٌ فهذا اسم(١) ظبيٍ جلَّ أنْ يتقيَّسا [١٤١ و]

وأنشدنى له فى ولد نقيب العلويين بمصر الملقب بأنس الدولة وكان مقدماً على الشعراء لنسبه ، وشعره نازل :

سَمَتْ بابن أُنْسِ الدَّولة الرتبُ التى تطَاوِلُ قَرْنَ الشمسِ حتى تَطُولَهُ

يحاولُ قولَ الشعر غايةَ جُهْدِهِ وتأبى له أعراقهُ أنْ يَقُولَهُ

وكم قائلٍ لَمَّا ذكرتُ انتسابَه لآل رسول الله هاتِ دليلَهُ

فقلت لهم أقْوَى دليلٍ أقمته عليه بأنَّ الشعر لا ينبغى لهُ

وأنشد أيضا الأمير أسامه بن منقذ هذه الأبيات وقال : كنت فى خدمة ابن عمه وهو ينشد هذه الأبيات ، وأنشدنى له فى العذار بيتين أغرب فى معناهما على الابتكار :

وكأنَّ العذار فى حُمْرَةِ الخـــدِّ على حُسْنِ خَدِّكَ المنعوتِ

صولجانٌ من الزُّمُرُّدِ معطو فٌ على أُكْرَةٍ من الياقوت

ما أحسن هذين البيتين ، لولا أنه ذكر الخد فى البيت الأول مرتين . أقول : الشريف الأخفش ، بسماع شعره مَيِّتُ الحسِّ ينعش ، وخلى القلب يدهش ، فهو كالديباج المنقَّش ، والبستان المعرَّش ، مذهبه فى / التجنيس مُذْهَب ، ونظمه فى سماء الفضل كوكب ، واستثقالى بتكرير الخد فى وصف العذار كما حُكى عن ابن العميد أنه استثقل قول أبى تمام : [١٤١ظ]

جوادٌ متى أمدحْهُ أمْدَحْهُ والوَرَى معى ومَتَى ما لُمْتُهُ لمته وَحدِى

فقال : تكرار أمدحه ثقلُ روح ، وقابل المدح باللوم وكان يجب أن يقابل بالهجاء وهذا نظر دقيق .

(١) يشير إلى أن اسمه محمد .

ونقلت من بعض التعاليق بدمشق من قصيدة للأخفش فى عبد المجيد المنبوز بالحافظ بمصر :

ذَكَرَ الدوحَ بِشاطِى بَرَدَى   وحَباباً فيه يطفو بَرَدَا
والصَّبَا تمرحُ فى أرجائه   فتصوغُ الموجَ منه زَرَدَا
يَتمنَّى القِرْنُ أن يلبسه   بين أبطالِ الوغى لو جمدا
رَكَدَتْ سارحةُ الريح به   فجرتْ خيلاً ومرَّتْ سَرَدا
ينثرُ البدرُ عليه فضةً   وتذيبُ الشمسُ فيه عسجدا
رشأٌ لو لم تكن رِيقتُهُ   قهوةً صافية ما عَرْبَدا
تحجب الكلَّةُ منه قمرًا   ويحوزُ الدرع منه أسدا
قمرٌ إن هزَّ رمحًا فى الوغى   هزَّ من عطفيه غصناً أملدا
ليْتهُمْ إذ منطقوا أعطافَهُ   بالثريا قلَّدُوه الفرقدا
طافَ بالراح التى لم تدَّرِعْ   بحسام المزج إلا زَبَدا
فَعلاَها دُرُّهُ ياقوتةً   ذاب سقمًا جسمها فاطَّرَدَا

[١٤٢ و] / ومنها فى المديح ، وقد أفضى به الغلوّ إلى الكفر الصريح :

صِرْفُ جِرْيالٍ يرى تحريمها   من يرى الحافظَ فَرْدًا صَمَدَا
بَشَرٌ فى العينِ إلا أنَّهُ   من طريقِ العقل نورٌ وهدى
جلَّ أنْ تدركه أعيننا   وتعالى أن تراه جَسَدا
فَهْوَ فى التسبيح زُلْفَى راكعٍ   سَمِعَ اللهُ به من حمدا
تدركُ الأفكارُ فيه نبأً   كادَ من إجلاله أن يُعْبَدا

واقتصرت على هذه أُنموذجًا لشركه ، وأخَّرت الباقى من سلكه ؛ وأنشدت له مطلع قصيدة :

عوجا بمنعرج السفحين أو رُوحَا   فقد قضى مَرْبَعٌ كنتم له روحا

وللشريف الأخفش من قصيدة يمدح فيها الشريف القاضى المفضل إمام ابن حيدرة بن على قاضى بلبيس — كان — وأوّلها :

لنجرانَ ، فالبرقُ الحجازىُّ أبْرَقَا   وعُسْفانَ ، فالمُزْنُ اليمانىُّ أودقَا(١)

ومن جملتها :

شريفٌ يدُ الشرعِ انتقتْ منه قاضيًا   فكان لهذا الدين أفضلَ مُنْتَقى
خلائقهُ فى العدلِ تُرْضَى وتُرْتجَى   وسطوته فى الحقِّ تُخْشَى وتُتقَى
إذا ما تَعَدَّى ماردٌ لسمائه   أعدَّ له نجمًا من القَذْفِ مُحْرِقَا
/ يُثَبِّتُ مَنْ لمْ يَرْقَ فى ذروة العُلاَ   ويَدْحَضُ عن عَرْشِ المعالى مَنِ ارْتَقى [١٤٢ ظ]
وسبّاقُ غاياتٍ بإبطاء وَثْبَةٍ   ولم يُبْطِ بالتثبيت إلا ليسبقا
هو الغيث يَمِّمْهُ إذا كان مُمْطِرًا   وخُذْ حذراً منه إذا كان مُصْعِقا
وما أُصفرَّ لونُ التبرِ عند اجتماعه   بكفيه إلا خيفةً أن يُفرَّقا

وآخر هذه القصيدة :

فلا طَمَحَتْ بى نحو غيركَ عَزْمَةٌ   ولا باتَ بابٌ منك دونِيَ مُغْلَقَا

ومن شعراء بنى رزيك :

٣٦ — الخطيب المفيد أبو القاسم* هبة الله بن بدر المعروف بابن الصياد

وجدت له فى مجموع ألفه الجليس بن الحباب(٢) فى شعراء ابن رزيك والمداح فيه ، من قصيدة أولها(٣) :

(١) فى الأصل : أبرقا ، وأودق المزن : نزل .

* ترجم له ابن سعيد فى المغرب نسخة دار الكتب المجلد الثانى الورقة ١٧١ ولم يزد فى ترجمته عما ذكره العماد .

(٢) فى الأصل : الجنان وهو تحريف .

(٣) قل ابن سعيد نص هذه العبارة فقال : « ذكره صاحب الخريدة وقال : وجدت له فى مجموع ألفه الجليس بن الحباب فى مدائح شعراء ابن رزيك قوله من قصيدة فى ابن رزيك الخ » .

بسمعى عن التَّعذَالِ فيك تَصامُمُ   فَجَهدىَ عِصْيَانِى إذا لامَ لائِمُ

منها يصف عَدُوّه :

ولما رأى الغدَّارُ قُرْبَ حلولِهِ   تيقَّنَ أن الموتَ ما منه عاصمُ

ولو كان ذا حَزْمٍ لما حَامَ قبل أن   يرى الخيلَ بل من قبلِ تبدو الصوارم

أمستخبرٌ هَل من قَدَارٍ(١) لريشةٍ   على هزِّ بحرٍ مَوْجُهُ متلاطم

/ وله فيه من قصيدة : [٦٧ و]

كَأَنَّ اختطافَ الهامِ عندكَ بالظبا ابــتهاجاً به يومَ الوغى ثمرٌ يُجْنَى

غداةَ جعلتَ البيضَ أغمادها الطُّلاَ   وخَيْلَ العِدَا تُقْنَى وسُمْرَ القنا تَقْنَا(٢)

وله من قصيدة يذكر فيها قتله أرناط(٣) مقدم خيل الفرنج :

عنْ سيفِ دينِ الله سلَّ أرناطا   حيثُ المنية كاسُها يُتَعَاطى

والمشرفيَّةُ قد حَكَتْ فى جيشهِ   فى العَلِّ والنَّهَلِ القطَا الفُرَّاطا(٤)

قد شام طيرُ الكفرِ منه مِنسَرًا   أشغَى(٥) وعاينَ مخلباً عطَّاطا(٦)

هومُلْبِسُ جُثَثَ العِدَا فى الحربِ مِنْ   حُلَلِ النجيعِ مجاسداً ورياطا(٧)

فجيادُهُ تشكو مزاحمةَ القنَــا   وتردُّ خِرْصَانَ الرماحِ سياطا

هو فارسُ الإسلامِ يحفظ بالظُّبا   من دينه الأَطرافَ والأوساطا

(١) قدار : قدرة .

(٢) تقنى الأولى من الاقتناء ، والثانية مخففه من تقنأ أى يصبح لونها قانئاً .

(٣) انظر حروب طلائع فى الروضتين ١/١١٥ ، ١/١٢١ .

(٤) الفراط : المتقدم إلى الورد .

(٥) المنسر الأشغى : المنسر لسباع الطير هو المنقار لغيرها ، والأشغى : الذى تختلف أسنانه طولا وقصراً وتسمى العقاب الشغواء .

(٦) عطاطا : حادا يشق شقاً .

(٧) الرياط : الثياب اللينة الرقيقة ، والملاءة ، والمجاسد : الثياب التى تلى الجسد .

كم قد أثارَ من الأَسِــنَّةِ أنجما   لما أثار من العَجَاج غُطَاطا[١]

فتخــــالُهُ مَلَكاً رمى بشهابه   فى الرَّوْعِ شيطانَ الحروب فشَاطا

وله من أخرى :

شرَّدْتَهُمْ حتى لقد قَاسَوْا على   تلك العِقَابِ[٢] أليمَ كلِّ عِقَابِ

سِيمُوا العذابَ وذكَّرَتْهُمْ حالَهَمْ   حِفظَاتُ أيامٍ سَلَفْنَ عِذَاب

هابُوكَ فانذعَروا ومِنْ أعذارهمْ   أن السَّوامَ تهابُ ليثَ الغاب

وله من أخرى :

/لله أنت على أَقَبَّ مُطَهَّمٍ[٣]   نَهْدٍ[٤] بجوزاء السماء مُشَنَّفِ[٥] [٦٧ ظ]

ومنها :

أضْرَمْتَ فى أكبادهمْ من بَعْدِهِ   بالنصــــل نارَ تأسُّفٍ وتلَهُّف

فؤادُ[٦] ذى الجأْشِ الربيطِ مخافةً   يحكى جنــــاحَ الطائرِ المُتَرَفْرِفِ

وله من أخرى :

وشرَّدَهَا إشفاقُها منكَ فاغتدتْ   ترى الأرضَ خوفاً وهْىَ من ضِيقها فِتْرُ

فذلُّوا كأنَّ العِزَّ ما كانَ بَيْنَهُمْ   وصاروا كأنَّ الفقرَ عندهمُ قَبْرُ

وله من أخرى :

أضْحَتْ لواتةُ[٧] شُرَّدًا من بأْسِهِ   فلديهمُ سعةُ الفضاءِ مَضيقُ

---

(١) الغطاط : بقية من سواد الليل والسحر .

(٢) العقاب : جمع عقبة وهى المراقى الصعبة .

(٣) الأقب : من الخيل الضامر ، ومطهم : عظيم الوجنات .

(٤) النهد : الفرس الجسيم الوسيم (٥) مشنف : من الشنف وهو القرط

(٦) فى الأصل : ففؤادى

(٧) لواتة : قبيلة مغربية ، ومعروف أن الجيش الفاطمى كان جزء كبير منه من المغرب .

لم يضربوا طُنُباً(١) لخوفهمُ فهمْ ... مثلُ الوعولِ إذا حواها النِّيقُ(٢)
إن غابَ فيهم وجهُهُ فخيـــالُهُ ... ليلاً كما هو فى النهار طَرُوق
لو هبَّتِ الريحُ اغتدى لسماعها ... قلبُ الشجيع القلبِ وهْوَ خَفُوق
جعلوا الهزيمةَ عنه برًّا إذ لهم ... لسواه فى شَقِّ العِصِيِّ عُقُوق

وسمعت أن هذا ابنَ الصياد كان من شعراء الصالح بن رزيك . وكان سريعَ الخاطر فى النظم لا يقف قلَمُه ، ولا يَتَّضع فيه عَلَمه ، ويغريه الصالح بجلسائه يهجوهم وكانوا يتعرضون به وسمعتُ أن ابن الحباب كان كبير الأنف وكان ابن الصياد [٦٨ و] مولعاً بأنفه قد هجاه بأكثرَ من ألفِ مقطوعةٍ وما كان / يصده شىء عنه حتى انتصر له أبو الفتح بن قادوس فقال فيه :

يا من يعيبُ أنوفنَا الشـــمَّ التى ليست تعـــابُ
الأنفُ خلقةُ ربنـــا ... وقرونك الشمُّ اكتساب

٢٧ — ابن قيصر* من أهل الاسكندرية

كان كثير المنظوم ، قليل الجيد منه .

قرأت فى مجموع : كتب الفقيه الرشيد أبو الحسن على بن قيصر فى جواب كتاب :

وصلَ الـكتابُ فلا عَدِمْتُ يَدًا ... نَثَرَتْ عليه جوَاهِرَ الـكَلِمِ
وعجبتُ كيف ترَى لها أثَرًا ... وبنانُها يَنْهَـلُّ كالدِّيَمِ

---

(١) الطنب : الحبال تشد بها الخيام (٢) النيق : أرفع موضع فى الجبل .

* عرف به السلفى فى معجمه (نسخة دار الكتب المصورة) الورقة ١٩٣ وقال : هو أبو الحسن على بن محمد بن عيسى الأزدى كان من أهل الأدب والفقه ويعرف بابن قيصر وكان كثيراً ما يحضر عندى وعلقت عنه مقطعات كثيرة .

ووجدتُ له فى مجموع شعراء ابن رزيك قصيدة فيه أوّلها :

الصبرُ عن بانِ الحمى وعقيقِهِ   فى حقِّ ساكنِهِ أجلُّ عُقوقِهِ
ظبىٌ ظُبَا ألحاظِهِ فتّاكةٌ   تُغنيه يومَ الروعِ عن إبريقِهِ

لو قال يوم الأنس :

سِيانِ عندى الخمرُ فى إبريقِه   أو ما حواه ثغرُه من ريقِـهِ

أين هذا من قول ابن حَيّوس :

فمــلُ المُدامِ ولونُها ومَذاقُها   فى مُقْلَتيْهِ وَوَجْنَتَيْـهِ وَرِيقِهِ

تمام قصيدة ابن قيصر :

لا فرقَ بين خيالِهِ وَوِصـالِهِ   فى سَرْدِ(١) ماطِلِهِ وفى تحقيقِهِ

/ومنها : [٦٨ ظ]

والله ما للشمس فى إشراقِها   وضياء بهجتها كبعض شروقِه
كالرِّئمِ حالَ نِفارِهِ ، والبدر عنــد كمالِهِ ، والغصنِ عند بُسُوقِهِ
لا تجعلِ الهجرانِ بعضَ عقوبتى   فتكلُّفَ السُّلوانَ غيرَ مطيقِهِ
وأرفقْ فمن دينِ المُروّةِ فى الهوى   وعداته رفق الهوى برفيقــه
والله ما صَدَقَ الملامُ ولا جرى   ذا العذلُ عند ذوى النُّهى بطريقه
كلٌّ الجوارح فى يديه فأيُّها   يُصْغى لزورِ العـذل أو تنميقه
فَذَرِ الملامَ فحبــذاه لذكرِه   فيه ، ملام الصبِّ فى مَعْشوقه(٢)
يا راكبَ المَهْرِىِّ أضحى ظلُّه   فى عُرُضــةِ البَيْداء من مَسْبوقه
بلِّغْ إلى المَلِكِ الهمامِ أمانةً   تبليغُها للحرِّ من توفيقــه

---

(١) سرد : نسج وصوغ .
(٢) الشطر فى الأصل : فيه قلوب الصب من معشوقه

حتامَ حظّى فى الحضيضِ ؟ وإنه فى الفضل عند الناس فى عَيُّوقِهِ
مثلى بمصرَ وأنت مالكُ رِقِّهِ مثلُ العُقـاب مُفَرَّدًا فى نِيقِهِ (١)

ومنها :

والله حَلْفَةَ صادقٍ بَرٍّ بها يُضْطَرُّ سامعُها إلى تصديقه
لو كنتُ أرضَى الشِّعرَ خطّةَ فاضلٍ لجعلتُ عِرضَكَ روضةً لأنيقِهِ

ومنها :

إنّ الحديثَ صلاحُه بصلاحِ مُنْـهِيه كذاكَ فُسُوقُه بفسوقِهِ
[٦٩ و] / والصيرفىُّ يبينُ عند محكِّهِ كم بين خالصِهِ إلى سَتُّوقِهِ (٢)
ولقد أشاعَ الناس أنك فى الورى من ليس يَنْفقُ باطلٌ فى سوقه
أَبْطِلْ بنورِ العقل سلطانَ الهوى وأَعمِلْ بكلٍّ الجهد فى تَطْلِيقه

فأجابه الصالح بن رزيك بقصيدة منها :

نفق التأدُّبُ عندنا فى سُوقِهِ وبدا اليقينُ لنا بلَمْعِ بروقِهِ
أهدى لىَ القاضى الفقيهُ عرائسًا فيها بديعُ الوشى من تنميقه
فأجلتُ طَرْفىَ فى بديعِ رياضِه من ورده وبَهارِهِ وشقيقه
فكأنما اجتمع الأحبّةُ فانبرتْ يدُ عاشقٍ تهْوِى إلى معشوقه
أدبٌ سعى منه إلى غاياتِهِ وأتى فَسَدَّ عليه مَرَّ طريقه
ولقد علمتُ بأن فضلَكَ سابق يُعْتَدُّ مَنْ جاراهُ مِنْ مَسْبوقه
فلذا اقتصرتُ ولم أَرَ الإمعانَ فى شأوِ امرىءٍ أصبحتُ غيرَ مطيقه
وأرى الزمان جرى على عاداته فى جمعه طورًا وفى تفريقه
والشوقُ فى قلبى تضرَّمَ وهْجُهُ فمتى أراه يكفُّ عن تحريقه

(١) النيق : أعلى مكان فى الجبل . (٢) الستوق : الزائف .

والدمعُ من عينى يَسُحُّ فهل يُرَى ... من بحره يومًا نجاةُ غريقه
نَزَّهْتُ فى بستانِ نظمك ناظرى ... فَحَظِيتُ من زَهْرِ الرُّبَى بأنيقه
يا من تَدُلُّ فنونُ ما يأتى به ... من حَلْيِ مَنْطِقِه على توفيقه
أنت امرؤٌ مَن قال فيك مقالةَ ألْغالى[1] فكلُّ الخلقِ فى تصديقه
/وأنا أرى تقديمَ حاجةِ صاحبى ... من دونِ حاجاتى أقلَّ حقوقه [٦٩ظ]
وكذا الكريمُ فمِهلٌ لأموره ... لا مُهمِلٌ أبدًا أمورَ صديقه
هذا النجاحُ ، فكل ما قد رُمْتَهُ ... قد تمَّ[2] فانظرْ منه فى تحقيقه

٢٨ — محمد* بن هانىء

هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مفضل الأزدى الأندلسى موضعه مع شعراء الأندلس واتفق إيراده ها هنا وينسب إلى ابن هانىء المغربى الأندلسى .

كان فى العصر الأقرب ، وهو معروفٌ بالنظم المهذب ، وتوفى فى آخر أيام الصالح بن رزيك قبل سنة ستين ، على ما سمعته من المصريين ، وطالعت ديوانه بمصر فنقلت منه ما انتقدته ، وعقلت ما عقدته ، ونسخت ما نسخ السحر ، ونسجَ الزهر ، وانحلَّتْ العقودُ الصحيحةُ لنسيم شمال أسحاره ، وتمثلت العقول الصاحيةُ لتسنيم[3] شَمُولِ عُقَارِه . ووجدت له على قافية الهمزة من قصيدة :

سَدَلَتْ غدائرَ شعرِها أسماء ... وَسَرَتْ فما شَعَرَتْ بها الرُّقباء
والليلُ تحت سَنَا الصباحِ كأسودٍ ... وَضَحَتْ عليه عِمامةٌ بيضاء

(١) الغالى : المغرق فى مديحه (٢) فى الأصل : عم

* عرض له ابن ظافر فى كتابه بدائع البدائه (طبع بولاق) ص ٢٢٤ وروى أنه هجا الموفق بن الخلال فاضطغن ذلك له وانتهز فرصة إنشاده للحافظ الخليفة الفاطمى ذات مرة ، فلما سأله عنه نوه به ، إلا أنه تأسف لشعر له فى هجاء الحافظ ، ألقه للموفق على البديهة ، فكان ذلك سبباً فى قطع صلته وكاد أن يفرط الحافظ فى عقوبته ولم يحصل له انتعاش من جهته — كما يقول ابن ظافر — طول مدته .

(٣) التسنيم : الامتلاء

[٧٠ و] / زارتْ نُعاماها[١] وزارَ خيالها   فتيمَّمَتْ بكليهما تَيْماء[٢]

ومشتْ تميس يجرُّ فضلَ ذيولها   دِعْصٌ يميل ، وبانةٌ غَنَّاء

هُنَّ المها يحوى كناسُ قلوبنا   منهن ما لا تحتوى السِّيَراء[٣]

يُوحِشْنَ أفئدةً وهنَّ أوانسٌ   ويرُعْنَ آسادًا وهنَّ ظباء

وتحولُ دون قبابها هندية   بيضاء ، أو يَزَنِيَّةٌ سمراء

ومنها فى المخلص :

لأُمزِّقَنَّ حشا الدُّجُنَّةِ نحوها   والليلُ قد دَهِمَتْ به الدهْناء[٤]

فى متن زنجىٍّ الأديمِ كأنما   صَبَغَتْهُ مما خاضَها الظلماء

وكأن محمرَّ البروقِ صوارمٌ   سُفِحَتْ على صفحاتِهِنَّ دماء

أو يَثْنِيَنِّى لا أزورُ خيامَها   ولأَسعدَ القاضى الأشمِّ مضاء

ومنها فى المديح وتقريظه بالقضاء :

قاضٍ له دِينٌ وصدقُ شهادةٍ   ذو الجاه فيها والضعيفُ سواء

وعدالة حُفِظَتْ بعقلٍ راسخٍ   لا تستميلُ جنابَهُ الأهواء

وله من أُخرى أوَّلها :

لمن الآنساتُ وهْىَ ظِباء   واليعافير[٥] حُجْبُها السِّيَراء

والشموسُ التى لوينَ غصوناً   لَمْ تُرَنِّحْ خصورَها صَهْباء

فاختفَى فى القُدودِ أرْىٌ[٦] وراحٌ   وبدا فى الخدود نارٌ وماء

---

(١) النعامى : ريح الجنوب   (٢) تيماء : مدينة فى شمال الحجاز .

(٣) السيراء : نوع من البرود فيه خطوط صفر أو يخالطه حرير .

(٤) الدهناء : الفلاة ، ودهمت : أسودت من الدهمة وهى السواد .

(٥) اليعافير : جمع يعفور وهو الظبى الأورق أو الرمادى   (٦) الأرى : العسل

/ تثنى قامةً وتجرحُ طرْفاً فهْىَ للسَّمْهرِيَّةِ(١) السَّمْراء [٧٠ ظ]
طرَقَتْ والكِباء(٢) والمندل(٣) الرطـبُ عليها وحَلْيها رُقباء

ومنها :

ودُوَيْنَ الفتاةِ أبيضُ رقرا قُ الحواشى ولأْمَةٌ خضْراء
وفتى لاحَ فوق أدهمَ نهدٍ قمراً فى عنانه ظلماء
وكماةٌ تجلو الأسنَّةَ شُهْباً ودُجاها العجاجةُ الشَّهْباء
تصدُرُ المرهفاتُ عن مورد الها مِ كما ضرَّجَ الخدودَ حياء
يا لحى اللهُ ريبَ دهرٍ خؤونٍ سادَ فيه كرامَهُ اللؤماء !
وزماناً نحبُّه ! فكأنا حين يَسْطُو بنا — له أعداء

ومنها فى المخلص :

بالعلا يُعْرَفُ الكرام ولكنْ عُرِفَتْ بالمُوَفَّقِ العلياء
ماجدٌ لو عرَا اللّيالى داءٌ كان فى رأيه لهنَّ شفاء
راحةٌ لا تُراحُ من هَدْمِ جُودٍ ببنانٍ لها المعالى بناء

هدم الجود ليس بتقريظ ، وإنما المدح لو قال من هدم المال بالجود .

فهو والدهرُ حِنْدِسىٌّ بهيمٌ غُرَّةٌ فى جبينه زهْراء
ولو أن الصَّبا لها منه عزْمٌ نَهَضَتْ بالجبال وهْىَ رُخاء
طَوْدُ حِلْمٍ رَسَتْ به الأرضُ لمَّا شمخت منه ذِرْوَةٌ شمّاء

/ ومنها : [٧١ و]

ذِكرُكَ الراحُ والمُذَكِّرُ ساقٍ وكأنَّ المسامعَ النُّدماء

(١) السمهرية : الرماح الصلبة (٢) الكباء : عود البخور
(٣) المندل : عود الطيب .

فإذا ما أُديرَ حمدُك صِرْفاً … هزَّ أعطافنا عليك الثناء

وله فى جارية رقاصة :

ولطيفةٍ فى الرقص يُعْطَفُ قدُّها … كتعطُّفِ الزِّنبيَّـةِ السمراء
تختصُّ بالحركات منها سرعةٌ … كتخصُّصِ الأرواح بالأعضاء
خَفَّتْ فلو رقصت بأعلى لُجَّةٍ … ما بلَّ أخمصَها حبابُ الماء

[الباء] وله :

وأغْيَدَ خدُّه يَنْدَى فيجرى … على وَرْدِيِّهِ الدرُّ المذابُ
صفا ماءُ الشباب بوَجْنَتَيْهِ … فلاحَ عليه من عَرَقٍ حَبَابُ

وله فى الأوصاف :

نديمى أفقٌ فالفجرُ قد لاح ضوءهُ … كما سالَ نَهْرٌ أو كما سُلَّ مِقْضَبُ
وذا فلكٌ ساقٍ يديرُ كؤوسَهُ … نجوماً إذا وافَتْ فمَ الغرْبِ تُشْرَبُ
وقد شاخَ زنجىُّ الدُّجى والذى بدا … به من هلالٍ حاجبٌ لاحَ أشْيَبُ

وله من قصيدة :

أوْدَعُوا الزُّهْرَ(١) حُدوجاً وقبابا … وسَرَوا فى شَعَرِ الليلِ فشابا
ولوى الطرفُ سناهُمْ فانبرى … يحسب الجُرْدَ اليعابيبَ(٢) الرِّكابا
[٧١ ظ] / صيَّرُوا الجنح سَنَا الصبح وما … سَفَرُوا عن غُرَرِ الغيدِ نِقَابا
إذ توارى الفجرُ بالليلِ كما … وَلَجَ السيفُ اليمانىُّ القِرَابا
وَحَنى قوسَ هلالٍ رُبَّما … طَرَدَتْ سهماً رأيناه شهابا

(١) فى الأصل : الزمر .
(٢) اليعبوب : الجواد السريع ، والأجرد : ذو الشعر القصير .

إنّما ودّعَ قلبي جَـــلَدِى ‏ ‏ يوم ودّعْتُ سُـــلَيمى والرَّبابا

ومنها :

حُجِبَتْ فى نورها وَجْنَتُهـــا ‏ ‏ فرأيتُ الشمسَ للشمس حِجَابا

وَجْنَةٌ حمـــراء تَنْدَى عرقاً ‏ ‏ مثلما رَقْرَقَتِ الراحُ الحبَابَا

نفختْ ريحُ الصــبا جَمْرتَها ‏ ‏ فانبرتْ تُظْهِر فى الماء التهابا

وجرى الصُّدْغُ على أَوَّلِهـــا ‏ ‏ مثلما طرَّزْتَ بالسَّطْرِ الكتابا

وله فى العذار :

وأسمرَ ذَنْبى للعواذلِ حُبُّـــهُ ‏ ‏ وذلك ذنبٌ لستُ(١) منه بتائبِ

عُذِلْتُ على حُبِّى له حينَ ذَبَّلَتْ ‏ ‏ له الشفةُ اللمياء خُضْرَةَ شارب

وقد كنتُ أهوى الحاجبين اللَّذَىْ(٢) لَهُ ‏ ‏ فكيف وقد صارتْ ثلاثَ حواجب

وله :

ألا كلُّ شيء للأنام مُحَبَّبٌ ‏ ‏ إلىَّ بغيضٌ ، والحبيبُ حَبيبُ

أما عجباً أن هام فيـــه رقيبُهُ ‏ ‏ وأنى على ذاك الرقيبِ رقيب

ومما برى جسمِى وأرَّق ناظرى ‏ ‏ وعلَّمَ قلبى فيه كيف يذوب

/ حبيبٌ أراه سائغا(٣) ، كلَّ ساعةٍ ‏ ‏ ينال سوايَ وصلَهُ وأخيب [٧٢ و]

فوا أســفا لى إننى ليثُ غابةٍ ‏ ‏ ويظفَرُ دونى بالفريسةِ ذيبُ

وله من قصيدة فى أثنائها :

أغارُ على ذيلها بالصَّــبَا ‏ ‏ إذا شمَّرَتْ منــه ما سحبَا

وأخشى على جَمْرَتَىْ خدِّهَا ‏ ‏ بمرِّ النــواسمِ أن تلْهَبَا

(١) فى الأصل : ليس (٢) فى الأصل : الذى
(٣) فى الأصل : سائغاً

تَعالَى النقابُ سنا وجهها … فخِلْتُ النقـاب به نُقِّبا
وما احمرَّ من صبغةٍ لونُهُ … ولـكن بوجنتهـا خُضِّبا
مشى وهْو فى خدِّها عقرباً … فمُثِّـلَ فى وردةٍ عقربا
سقى اللهُ ليلتنا بالعُذَيْبِ … غمائمَ من أَمْنِـه عُذِّبا
فكم بتُّ بين مِراحِ الظباء … تجاذِبُنى ، وصفاحِ الظُّبا
وقد لاح لى بدرُها مَشْرَعًا … لَمَحْتُ على مائه[١] طُحْلُبا
إلى أنْ جرَى صُبْحُها أشقراً … فطاردَ من فجره أشهبا
ولاعبَ فضِّىَّ بَرْدِ الغما … م برقٌ فصيَّره مُذْهَبا

ومنها :

ويمنعُ شمسَهمُ أنْ تلوحَ … عجاجُ الوغى ودُخان الـكَبا

وله من قصيدة :

زارَ العقيق[٢] بخدٍّ غيرِ مُنْتَقِبٍ … قانى الغلالةِ كالهندىِّ مُخْتَضِبِ
/ بدرٌ تمزَّقَ عنه الليلُ حين سرى … كذلك البدرُ يَسْرى غيرَ محتجب [٧٢ ظ]
ذو غُرَّةٍ نُمِّقَتْ بالحسن من قمرٍ … ولَبَّـةٍ قُلِّدتْ بالحلْى من شُهُب
خـدٌّ ألَمَّ لريعانِ الشبابِ به … سحرٌ تدرَّعَ فيه الماء باللهب

ومنها فى المخلص :

لا تُصْغِرَنِّى لـكونِ الجسم مُغترِباً … فإنَّ فى الجسم عقلاً غيرَ مُغْتَرِب
يَغْنَى اللبيبُ بعقلٍ منه عن فِطَنٍ … حيث استقرَّ وعن أُمٍّ له وأب
وهل أخافُ من الأيام نائبـةً … وللسديد يدٌ تَسْطُو على النُّوَبِ

---

(١) فى الأصل : ما به
(٢) العقيق : موضع بالمدينة

ومنها فى المدح :

لو كنتَ إذْ تُوزَنَ الأعمالُ سائِلَهُ ما حازَ من صالح الأعمالِ لم يُجِبِ
يا مُبْغِضَ الذَّهَبِ المحبوب راحته حتى كأنَّ ذهابَ الحَمْدِ فى الذهب

وله فى العذار من قطعة :

ولما أشاعَ الحبُّ فى الناس مِلَّةً وقادَ قلوباً كيف شاء وألبابا
جلا الحُسْنُ للعشاق وَجْهكَ قِبْلَةً وصورَّ فيه من عِذارَيْكَ مِحْرابا

وله من قصيدة : [التاء]

تلكَ البـــدورُ العامِرِيَّاتُ لها من الأنْصُـــلِ هَامَاتُ
بدورُ أسدافٍ تَثَنَّى بهـــا فى السَّـــيْرِ قُضْبٌ بَشَرِيَّاتُ
/ تشكو نواهُنَّ قـــلوبٌ وما لها سواهُنَّ سمـــاوات [٧٣ و]
كِدْنَ يَكِدْنَ القضْبَ لو بُدِّلَتْ أوْراقُهُنَّ الذهبيَّـــاتُ
كلُّ عقيقيَّـــةِ خَدٍّ لها فروعُ فَرْقٍ سَبَجِيَّـــات(١)

ومنها :

ويُرْعَشُ الرِّدْفُ كأنَّ الذى لاعَبَـــهُ منهنَّ حَيَّاتُ
يا شَرَكاً صيدَ بها طائرُ الْـــقَلْبِ أما منكنَّ إفلات
كمْ فتكتْ بى يومَ جِزْعِ اللِّوَى بيضٌ وأنْتُنَّ الحمـــالات(٢)
أسْنَى من الصبح على ناظرى لو أنَّـــكُنَّ الحَلَكِيَّاتُ

ومنها :

حَمَلْتِ جسمًا خلتهُ سائلاً إذْ مَوَّجَتْ عِطْفَيْـــهِ لَبَّاتُ

(١) سبجيات : سوداء (٢) الحمالات : علائق السيف

رفَّ به العَصْبُ(١) اليمانى كما رَفَّتْ على الماء خميلات
كأنما أنمله — طُوِّقَتْ — أسِنَّةُ الطعن خضيباتُ
هل تخبرينا والهوى صارمٌ لنا به عندكِ ثارات
بأىِّ ذنبٍ خُضِّبَتْ من دمى تلك البَنانُ العَنَمِيَّاتُ(٢)
كيفَ ترومينَ دمًا لم تزَلْ تَعْجِزُ عنه اليزنيات

ومنها فى الافتخار :

يرمى بها المَعْرَكَ منى فتى تَرْهَبُ ذكراه المَنِيَّات
/ يُقْدِمُ فى الموتِ كما أقدَمَتْ على النَّدَى منه سَجِيَّاتُ [٧٣ ظ]
إنْ لم تكنْ ذى الأريحيات لى لِمَنْ تكون الأريحياتُ ؟
لو أنَّ لى فى الدهر من قوةٍ دَرَتْ عُفَاةٌ ما المُرُوَّاتُ
والدهرُ إنْ أذهَبَ قُوتِى فَلِى من جُود إسماعيلَ(٣) أقواتُ

[الجيم] وله من قصيدة مطلعها :

لنا بين بطنِ الواديين مُعَرَّجُ بحيثُ الغَضَا رَيَّانُ والظلُّ سَجْسَجُ(٤)
وفى ملتقى ظلَّ الأراكِ ومائِهِ نسيمٌ بأنفاس الرُّبَى يتأرَّجُ
وتصفيقُ أمواهٍ لرقصِ أمالدٍ عليهن أصواتُ الحمائم تَهْزِجُ
وقد نَسَجَ النُّوَّارُ بالغيم أبْرُدًا ولم أحْسَبِ الأبرادَ بالغيم تُنْسَجُ

---

(١) فى الأصل : العضب ، والعصب اليمانى : ضروب من البرود ناصعة البياض يصبغونها بمختلف الألوان .

(٢) العنميات : نسبة إلى العنم وهو شجر لين الأغصان تشبه به بنان الجوارى .

(٣) هو الظافر إسماعيل بن الحافظ الذى ولى الخلافة الفاطمية من سنة ٥٤٤ إلى سنة ٥٤٩ هـ .

(٤) سجسج : لا حار ولا بارد

وَدارٌ على الأغصانِ زَهْرٌ كأنها قدودٌ عليهن المُـلاءُ المُدبَّجُ
خليليَّ من قحطانَ هاجَ لِيَ الأسى حمامٌ بأفنانِ الغصونِ مُهيِّجُ

ومنها :

أَحِنُّ إلى البرقِ اليمانيْ لأنَّه كقلبيَ خفّاقُ الجناحِ مُوهَّجُ
وقد ضرَّجَ الدمعَ الذى كان ناصعاً بعينيَّ ، خدٌّ بالحياءِ مُضرَّجُ
بدا فى بياضٍ للشبابِ وحُمْرةٍ كأنَّ عليه النارَ بالماءِ تُمزَجُ
فأما سوادُ القلبِ منى فحازَهُ من الغادةِ الحسناءِ وسْنانُ أدْعجُ

ومنها : [٧٤ و]

وليلٍ تركتُ البرقَ خَلْفِيَ عاثِرًا وتحتَ غُبارِى راشحُ العِطفِ دَيْزَجُ(١)
ولا ناصرٌ إلا قناةٌ وصارمٌ ولا صاحبٌ إلا فتاةٌ وهَوْدَجُ
وقد لمعَتْ زُرْقُ الأسنّةِ أنجماً وما إنْ لها غيرُ القنا اللَّدْنِ أبْرُجُ
فأيقظَ جفنَ الحيِّ منِّيَ صاهلٌ ورَوَّعَهُ شَخْتُ(٢) الصفيحين أبلجُ
وقالت هِزَبْرُ الغابِ زارَ خيامَها وما زارها إلا كَمِيٌّ مُدجَّجُ
وأسمرُ ميّادٌ وعَضْبٌ كأنَّما يلوحُ عليه الزِّئْبقُ المترجرِجُ

ومنها فى المخلص :

أتأْنَفُ أن نَسْرِى إليها بصافنٍ إلى جودِ إسماعيلَ يَسْرِى ويُدْلجُ

وله :

وَمُزَنَّرٍ(٣) كالصبحِ يحمل لِمَّةً سحماءَ مظلمـةً كليلٍ داجِ

(١) فى القاموس : الديزج من الخيل معرب ديزه .
(٢) الشخت : الضامر البطن
(٣) مزنر : يلبس الزنار وهو حزام كان يشده النصارى .

يجلو الظلامَ بكأســـه فكأنما   يَسْعَى على نُدَمائِهِ بِسِرَاجِ

[الحاء] وله :

ومهفهفٍ لما رآنِىَ ناظراً   منه إلى وجهٍ كضوءِ صباحِ
أهْوَى لمبسمه البنانَ مُسَلِّمًا   فكأنما أوْمَى لقطفِ أقاحِ

وله من قصيدة فى الأوصاف والتشبيه :

قلْ لنسيمٍ زار عندَ الصباحْ   من حَلَكِيَّاتِ الرُّبَى والبِطاحْ
[٧٤ ظ] / عرِّجْ على جسمٍ كأن الضَّنَا[1]   عِقْدٌ عليه وهْو فيــــه نِصَاحْ[2]
أما ترى النجمَ تُجُنِّبَنــــا وقد   كان قُبَيْلَ الصبحِ تِبْرًا صُرَاحْ
والفجرُ قد مــدَّ خليجًا فلو   تكسرُ الظلماءُ عنــه لساحْ
كأنَّما شمَّــرَ عن مِعْصَمٍ   مُخَضَّبٍ راحتَــــهُ بالصَّباحْ
كأنما الروضُ بإشراقِهِ   وجهُ كريمٍ فوقَهُ البشرُ لاحْ
كأنما نرجِسُـــــهُ مُحْجِرٌ   ضاعَ عليـــهِ نومُهُ حين طاحْ
كأنما جاذَبْنَ من دَوْحِهَـــا   ذوائبَ الأغصانِ أيدى الرياحْ
كأنَّ أعطافَ أماليـــدها   رنَّحهـــا الغيمُ بكاساتِ راحْ

ومنها :

كأنما الآسُ على وردِهِ   سُمْرُ العوالى وخدودُ المِلاحْ
كأنما الجدولُ نشوانُ لا   ينفكُّ من نشوته غيرَ صاحْ

منها :

كأنما السُّحْبُ رعالٌ[3] بها   للخيلِ فى كل مَغَارٍ جِماحْ

---

(١) فى الأصل : الصبا   (٢) النصاح : السلك والخيط .
(٣) الرعال : جمع رعلة وهى القطعة من الخيل .

كأنَّ أطرافَ بروقٍ هَفَتْ ... راياتُ صُفْرٍ ومواضٍ صِفاحْ
كأنما الرعد كَمِيٌّ سَطَا ... على كَمِيٍّ حين ولّى فصاح
كأنّما الديمةُ[1] مُنْهَلّةً ... يمينُ إسماعيلَ يومَ السماح

وله من أخرى :

/أشاقَكَ باللِّوى بَرْقٌ ألاحا ... فجُنَّ به جَنانُكَ حين لاحا [٦٠ و]
هفا هفوَ اللواءِ الوَرْدِ أرْخَى ... ذوائبَهُ فلاعَبْنَ الرياحا
كأنَّ البرقَ فى الظلماءِ سِرٌّ ... تَضَمَّنَ غيرَ كاتِمِهِ فباحا
وقاسمنى صَدُوحُ البانِ شَجْوِى ... فأجريتُ الدموعَ لهُ وناحا

ومنها فى الخروج إلى المدح :

وكم تعبٍ بزورةِ ذى نوالٍ ... ولوزارَ المُوَفَّقَ لاستراحا

ومنها فى المدح :

وبين بَنَانه والفَيْضِ خُلْفٌ ... وما نرجو لِخُلفِهِمَا اصطلاحا

وله فى الخمر :

قم فاسْقِنِى والغربُ يطوى ليلَهُ ... والشرقُ ينشرُ رايةَ الإصباح
شَفَقاً عَلاه من المِزاجِ كواكبٌ ... لكنه شَفَقٌ دَعَوْهُ براحِ
حلَّ المِزاجُ بها فَشَعْشَعَ نورها ... فعلَ السَّليطِ[2] بشُعْلَةِ المصباحِ

وله فى ذم صاحب :

يا ربِّ أنت مَلأْتَ عَقْدَ[3] مصاحبى ... سَقَماً فهل سَبَبٌ إلى تصحيحهِ
فبما جعلتَ الطَّوْدَ يُشْبِه ثِقْلَه ... فى رُوحه بل رأسَه فى ريحه
فاجعل ثقالةَ روحهِ فى عقلِهِ السخاوى وخفَّةَ عقلِهِ فى روحهِ

(١) فى الأصل : الدمنة
(٢) السليط : الزيت
(٣) العقد : العزيمة والنية .

وله فى مليح :

[٦٠ ظ] لئن أذْلَلْتَ خدَّكَ وهْو ليلٌ   فلِمْ أعززتَ وجهك وهْو صبحُ
وكانت مسْحَةٌ للحسن فيه   فصار من العِذار عليه مَسْحُ(١)

[الدال] وله من قصيدة مطلعها :

نسيمٌ سرى والفجرُ يَنْضُو مُهنَّدًا   فَقلَّدَ جيدَ الغصن من جَوْهرِ النَّدَى

ومنها :

وخِلْنَا الصَّبا حاكَتْ من النَّهر لأْمَةً   وهزَّتْهُ هنديًّا وصاغَتْهُ مِبْرَدَا
فلله نشوانٌ بغيرِ مُدامةٍ   قويمٌ فلولا النطقُ خِلْناهُ أمْلَدا
سقاه براحِ الحسن راحُ شبابِهِ   فعربدَ من أجفانه وتأوَّدَا

ومنها :

وشبَّ بماء الراح نارَ مُدامةٍ   فذوَّبَ فى الطَّاسِ اللجينَ عَسْجَدا
جلاها عروسًا عاطلاً فتخفَّرَتْ   فقلَّدها بالمَزْجِ مما تقلَّدا

ومنها فى الأوصاف والتشبيهات :

وليلٍ دجوجىٍّ الجناح كأنما   أُمِدَّ بموجِ البحر أو صار سَرْمَدَا
كأنَّ الثريا فيه للبدرِ عاشقٌ   يَمُدُّ إلى توديع محبوبِهِ يَدَا
مَرَقْتُ(٢) به(٣) فى مَتْن أدهمَ صاهلٍ   أغَرَّ إذا أبْرَقْتُ بالسيف أرْعَدا
كأن الذى فى وجهه وإهابه   ظلامُ ضلالٍ فيه ضوءٌ من الهدى

وله من قصيدة خَبَبِيَّة :

[٦١ و] / ما البرقُ يلوحُ توقُّدُهُ   ترتاعُ فليلُكَ سَرْمَدُهُ

(١) المسح : ثوب من الشعر غليظ   (٢) مرق السهم من الرمية : خرج .
(٣) فى الأصل : له

يهفو فى متْن غمامته كالجحفلِ تخفُق أبنُدُهُ
والغيهبُ كالزنجىِّ سطَا وبياضُ الصبحِ مُهنَّده

ومنها :

أرْدَى بالصارمِ أحْوَرَهُ وسطا بالضيغمِ أغْيَدُهُ

ومنها :

أبصفحةِ خدِّك طلَّ دمِى فتعصفرَ منه مُسَوَّدُهُ
أم لحظُك أُدْرِج فى كبدى فسوادُ جَنانى إثْمِدُهُ

ومنها فى المخلص :

ما بالُ زمانى يُجْهِدنى وأذُمُّ(١) عُلاى فأحْمَدُهُ
وإذا لم يُغْضِ أخو جَلَدٍ للجود فأين تجلُّده
أيجورُ الدهرُ على بَشَرٍ وندى ابنِ(٢) سلامةَ يَعْضُدُهُ
ويلين الحقُّ على أحدٍ وبإسماعيلَ تَشَدُّدُه
يختالُ الدين لئن رُتِقَتْ(٣) بمعالى المخلصِ أبْرُدُه

ومنها :

لو أنَّ الدهرَ له كَلِمٌ لتكلَّمَ أنَّك أوْحَدُه

وله من قصيدة :

/ أدِرْها كما مجَّ النَّدَى وَرَقُ الوَرْدِ وأشْرَقَ جيدُ الجُود فى لُؤْلُؤِ العِقْدِ [٦١ ظ]
حبابٌ على صهباء راحٍ كأنَّهُ فُتاتٌ من الكافور فى العَنْبرِ الوَرْد
تَخَيَّلتُها مصروعةً فى مِزاجها بما مَلأَتْ فاها من الزَّبَدِ الجَعْد

(١) هكذا فى الأصل ولعلها محرفة عن : ويذم .
(٢) ستأتى ترجمته وكان كاتباً فى الديوان الفاطمى (٣) فى الأصل : رمقت .

كَواها سِنانُ الماءِ طعنًا فَدُرِّعَتْ مخافةَ عَوْدِ الطَّعْنِ بالحَبَبِ السَّرْدِ
نَجِيعيّةٌ حمراءُ ضُمَّ زجاجُها عليها كما ضُمَّ النقابُ على الخدِّ
إذا قرعَ الإبريقُ جامًا تطايَرَتْ كما طارَ بالقَدْحِ الشَّرارُ من الزَّنْدِ
لها لَمعانُ البَرْقِ والكأسُ دونها غمامٌ وللإبريقِ قَعْقَعَةُ الرَّعْدِ

ومنها :

وغِمْدِ زُجاجٍ من بَنانى نِجادُهُ لسيفِ مدامٍ لا يَمانٍ ولا هِنْدِى
تُجَرِّدَ منه كلَّ ماضٍ مُخَضَّبٍ وما سُفِحَتْ منه دماءٌ على حِقْدِ
إذا جالَ فيه جوهرٌ من حَبابهِ وسُلَّ كما سُلَّ النِّجارُ من الوَغْدِ
نقلناهُ للأجسامِ منّا كأنما تضايقَ فى غِمْدٍ فَرُدَّ إلى غمد
يشق جيوبَ الليل عنّا اتِّقادُهُ كما شقَّ ذو الثُّكْلِ الحدادَ على الفَقْدِ

ومنها :

غزالٌ لوَرْدِ الكأس فى نُدمائِهِ إذا ما سقاها بطشةُ الأَسَدِ الوَرْدِ
تثنتْ به راحُ الصَّبا تحتَ بُرْده وَهزَّ فخلنا نشوةَ الراح بالبُرْد
وأبْدَى من الجمْرِ المُضرَّمِ وَجْنَةً وقام من الماءِ الزُّلالِ على قَدِّ
/ وأبقى عبيرَ الخدِّ مسكُ عِذارِهِ كما احمرَّ بُرْدٌ شُقَّ عن نحْرِ مُسْوَدِّ [٦٢ و]
وحار سوادُ القلبِ فى نارِ حُبِّهِ فكان الذى أُخفيه مثلَ الذى أُبْدِى
وظلَّ يُسَقِّى كلَّ ذى صَفْوَةٍ أخٍ بأصْفَى وأحلى من لَماهُ ومن وُدِّى

ومنها فى المديح :

ولا يمنعُ المعروفَ عن مُسْتَحِقِّهِ كمن يَحْجُبُ الحيْرانَ عن طُرُقِ الرشد

ومنها :

إذا خانتِ الأيدى حبالٌ تمسّكُوا بحبلٍ إلى السرِّ الإلهِىِّ مُمْتَدِّ

ومنها فى وصف كتابته و براعته :

عَجِبتُ لِطِرْسٍ منك لم يَغْدُ مُحْرِقاً وقد حَلَّ مما شَبَّ فِكْرُكَ من وَقْدِ

ومن أَلْسُنٍ إن قلتَ كَلَّتْ كأنما جَمَدْنَ بما فى نظمهنَّ من البَرْدِ

ومنها فى وصف صداقته :

ونِعمَ خليلُ المرء مثلى يرى الذى صفا من وداد الخلِّ أغنى من الرِّفْدِ

إذا لم أجِدْ عند الصديقِ تجلُّداً على حَمْلِ ثِقْلى كان واجِدَهُ عندى

وله فى وصف مغنيين :

ومُغَنِّيَيْنِ يُقَرِّبَان لذى الهوى ما شئتَ من مَغْنَى الهَوَى المتباعِدِ

نَطَقَا لنـــــا بلطافةٍ وتوافُقٍ فكأنما نطقا بصوتٍ واحد

وله من قصيدة فى القاضى يحيى (١) بن قادوس :

/ أَمِنَ الأَهِلَّةِ والشموسِ خدودُ ومن الذوابل والغصونِ قُدُودُ [٦٢ ظ]

وعلى معاطفِ كلِّ أَهْيَفَ ناعمٍ ـــ من مثل ما نَسَجَ الربيعُ ـــ بُرُود

أغصانُ بانٍ ما تميدُ بها الصَّبَا وتمرُّ أنفاسى بها فتميـــــد

ومنها :

مُقَلٌ يُضِئْنَ بن الجفون كأنها بيضُ الصوارِمِ والجفونُ غُمودُ

أحداقُهنَّ الزُّرْقُ زُرْقٌ لُمَّعٌ يومَ الكفاح ، وسودُهُنَّ أُسُود

لولا دماء العاشـــقين سَفَحْنَهَا ما احمرَّ فى وَجَناتِها التَّوْرِيد

لم أَدْرِ قبلَ شفاهها وثغورِها أنَّ الشقائقَ حَشْوُهُنَّ عقود

---

(١) فى القصيدة ما يدل على أن اسم الممدوح محمود وإذن فهو أبو الفتح محمود بن قادوس الذى تقدمت ترجمته ، ولعل الخطأ من الناسخ .

ومنها :

وارْفَضَّ من عرَق الحياء جُمانُه فتقلَّدَ الدُّرَّيْنِ منها الجِيدُ
رقَّتْ معاقدُ أُزْرِه فكأنَّما تلكَ المعاطفُ ما بها تَجْسِيد
نشوانُ تجرحُ مقلتاه قلوبَنا فهو النزيفُ وَلَحْظُهُ العِرْبِيد

ومنها فى المخلص :

إنْ كان مذمومَ الأَذِمَّةِ فى العُلا زمنٌ فمحمودُ العُلا محمودُ

وله من قصيدة :

أما وقوامِ الأَمْلَدِ المتأوِّدِ يجاذبُ من أعطافِهِ دِعْصُهُ النَّدِى
لقد رَقَصَ البانُ المُرَنَّحُ بالصَّبا فغنَّتْ له الأطيارُ ألحانَ مَعْبَدِ

[٦٣ و] / ومنها فى وصف فرس :

وكائنْ أخوضُ الليل من مِثْلِ شعرها إليها على رَخْوِ العنانين أجْرَدِ
كأن عقيقاً جسْمُهُ وكأنما سنابكُهُ مخلوقَةٌ من زبرجد
كأن خدودَ الغانيات أعرْنَهُ من الحسن ما فى كل لونٍ مُوَرَّدِ
حَمَلْتُ بها سمراء خَطٍّ لو أنَّها رأتْها قدودُ البان لم تتأوَّدِ
وعَضْبًا صقيلا مازجَ النارَ ماؤُه عليه فلم تَخْمَدْ ، ولم تتوَقَّدِ
مضاربُهُ تُسْدِى وتُرْدِى كأنَّما أُنْ تَعَرْنَ خلالاً من سجايا مُحَمَّدِ

[الكامل] وله :

ياأُمَيْسَ الأغصان من أوراقهِ بُرْدُ الحرير مُحَبَّرٌ واللاذُ
مَهْلاً على دَنِفٍ تُقَدُّ بصارم اللَّحَظَات منه لقلبهِ أفلاذُ
أفنى مدامِعَه عليكَ تأسفاً مذ بِنْتَ دَمْعٌ وابلٌ ورَذَاذُ

وألانَ حُبُّكَ منــه قلباً قاسياً   كالنارِ لانَ لحرِّها الفولاذُ

وقال من قصيدة مطلعها : [الراء]

سَفَرْنَ ووجهُ الصبح يلتاحُ(١) مُسْفِرا   فكنَّ من الإصباح أسْنَى وأنْوَرا

ومِسْنَ كأغصانِ الخمائلِ بُدِّلَتْ   من الزَّهَرِ الفَيْنانِ وَشْياً مُحبَّرَا

أبحْنَ لعشّاقٍ خـدوداً دَوَامِيًا   ولـكنْ حماها كلٌّ وَسْنانَ أحْوَرَا

/ وَجرَّدْنَ حُمْرَ اللَّثْمِ عنها وإنما   شَقَقْنَ عن الورد الشقيقَ المعصفرا [٦٣ ظ]

ومنها :

وكم نمَّ عنها في الدُّجى نَفَسُ الصَّبَا   فبتنا نخالُ الليلَ مِسْكاً وَعنْبَرَا

وكم أرهفتْ عِطْفاً فلو خـيزرانةٌ   تميـــل بعطفٍ مَيْلَها لتكسَّرَا

ترى خَصْرَها يَعْيَا بحمل وشاحها   ويحملُ من كُثْبانِ يَبْرِينَ(٢) أعْفَرَا

ومنها :

وليلٍ ركبنا منــه أدهَمَ حالـكاً   فصارَ بنور الفجرِ أبلَجَ أشْـقَرَا

إلى أنْ أطَلَّ الفجرُ فيه كأنه   حسامٌ تلالا أو خليجٌ تفجَّرا

وفضَّضَ نورُ الصبح تبرَ نجومه   فَدَرْهَمَ للظلمـــاء مِرْطًا مُدَنَّرا(٣)

وللمزنةِ الوطفـــاء دمعٌ كأنما   يَمُدُّ على البطحاء بالنور أعْفرا(٤)

وخلنا لشخصِ الريح راحًا وأنْمُلاً   تحوكُ على زرق المياه السَّنَوَّرا(٥)

ومنها في المخلص :

أسافحةً منا النجيـعَ مُحَجَّرًا   متى أصبحَ السيفُ اليمانيُّ مَحْجِرًا

---

(١) يلتاح : يبدو .

(٢) يبرين : موضع بإزاء الإحساء في البحرين   (٣) مدنرا : متلألئا .

(٤) الأعفر : السحاب المستمر مطره   (٥) السنور : ثوب كالدرع .

ألا فاغمدى صمصامَ لحظٍ سَلَلْتِه　　كما سَلَّ رضوانُ(١) الحسامَ المظفَّرا

مليكٌ له عَضْبٌ إذا شامَ بَرْقه　　رأيتَ المنايا بين غَرْبَيْه جَوْهرا

عَلَتْ ماءَهُ نارٌ فلولا التهابُها　　لســالَ ولولا ماؤُهُ لتسعَّرا

وأرْهَفَهُ حُبُّ الطُّلا فهْو ناحلٌ　　ولولا وصالٌ دائمٌ دقَّ أن يُرى

/ وكان يقودُ الخيلَ يَعْثُرْنَ بالظُّبا　　فينفُضُها فى مُقْلةِ الشمس عِثْيَرا [٢٠ و]

ولولا النجيعُ المُنْهمِى فى مجالها　　صَبَغْنَ سوادَ الليل بالنَّقْع أغْبَرا

ومنها :

يضمُّ كريمًا منهمُ كلُّ سابغٍ　　فتلمحُ غــدرانًا تَضَمَّنُ أبْحُرَا

ومنها :

فقلْ لملوكِ الرومِ أين فِرارُها　　إذا مَلِكُ الإسلامِ فى الله شمَّرَا

وكيف تنال البعضَ من غُمْضِها وقدْ　　سَرَى رُعْبُها فيها سنينَ وأشهُرَا

ومنها فى صفة القلم والرمح :

سَطَوْتَ بعسَّالَيْنِ فى كلِّ مُشْكِل　　أرَتْنا صفاءَ العيش لما تكدَّرا

يراعانِ هذا يملأُ الطرسَ حكمةً　　وذاكَ يُذيقُ الحتف ليثًا غضنفرا

وإنْ ظَمِئَا أضْـــناهما يَرِدَا على　　نفوسِ العِدَا — من غير إذنٍ — ويَصْدُرَا

فيشربُ هذا أسوَدَ الليلِ حالكا　　ويشرب هــذا قانِئَ الدَّمِ أحْمَرا

وله من أخرى :

لعلَّ نسيمَ الروضِ من خَلَلِ الزَّهرِ　　يصــافِحُنِي بين الخميلة والنَّهرِ

(١) هو رضوان بن ولخشى وزير الحافظ وسبق التعريف به .

فقد شابَ زنجيُّ الدجى حين أشرقَتْ … على عَنْبرِ الظلماء كافورةُ الفَجْرِ
وسال نَدَى مُزْنٍ على أُقْحُوانةٍ … كما جال رِيقٌ من حَبيبٍ على ثَغْرِ
وما لاحَ دُرٌّ فوق وَشْيٍ وإنما … ترقرقَ دمعُ الطلِّ فى مُقَلِ الزهرِ
/ وفوق احمرارِ الوردِ رَشْحٌ كأنما … متونُ الخدودِ الحمرِ طُرِّزْنَ بالعُذْرِ(١) [٢٠ ظ]
فلله روضٌ لَفَّ أطرافَ دوْحِه … مُلاءةُ نُورٍ حاكها راقمُ القطرِ
وسندسُ نبتٍ تحت زهرٍ كأنه … جناحُ ظلامِ الليلِ كُلِّلَ بالزهرِ
وأوراقُ آسٍ زعزعَتْ من غصونها … قدودُ حسانٍ مِسْنَ فى حُلَلٍ خُضْرِ
شَمواليَّةُ الأمواهِ معلولةُ الصبا … غُلاميّةُ الأعطاف مِسْكيةُ النَّشْرِ
مذانبها زُرْقُ النطافِ كأنما … معاطِفُهُنَّ الرُّعْشُ يُهْزَزْنَ من سكرِ
يجولُ شعاعُ الشمس فوق صِقالِها … كما جالَ إفرندُ اليمانيّةِ البُتْرِ
ولما مَرَرْنا بالرسومِ التى بَدَتْ … كما سالَ ماءٌ فى سِجِلٍّ على سَطْرِ
تنَسَّمْتُ رَيَّا زهرةٍ فوق نُضْرةٍ … فقلت خَلُوقٌ فى حُلِيٍّ على نَحْرِ
ولاحت ذُكاءٌ فى جناحَىْ غمامةٍ … فقلت سليمى ضُمِّنَتْ كِلَّتَى(٢) خِدْرِ
وَدارَ بغُصْنٍ نرجسٌ فكأنه … لجينٌ وتبرٌ فى نطاقٍ على خَصْرِ

ومنها :

وأعلنتُ أشواقى وناحتْ حمامةٌ … فلم أدرِ حقًّا أيُّنا العاشقُ العُذْرى

ومنها :

لأَدَّرِعَنَّ الليلَ نحو خيامها … على ظهرِ خوّارِ(٣) العنانين مُزْوَرِّ
بوهْنٍ كأنَّ البدر تحتَ جَناحِه … مُحَيًّا فتاةٍ لاحَ فى غَسَقِ الشَّعْرِ

---

(١) العذر : بتحريك الذال جمع عذار وسكن الذال للشعر
(٢) الكلة : الستارة (٣) خوار : ضعيف ، ورقيق .

[٢١ و] / ومل‌ءُ يمينى بحرُ سيفٍ تموّجتْ   مياهُ المنايا بين غَرْبيه والأَثْرْ [1]
سرى رَوْعُهُ فى السلم والحرب مثلما   سرى ذِكرُ إسماعيلَ فى البرّ والبحر

وله من قصيدة :

يا وردَ خدٍّ خالُهُ عنبرُ   وغِمْدَ جَفْنٍ سيفُهُ أحْوَرُ
ما خالُكَ النَّدُّ وماذا الذى   ضُرِّجَ من وجنتِهِ مُجْمَرُ
لكنه أسودُ عينى وقد   فاض من الدمع دمٌ أحْمَرُ
ما تبعثُ الموتَ يمانيّةٌ   وإنما يبعثُهُ المَحْجِرُ

ومنها :

ناشدتك الله قضيبَ النَّقا   أَمَا بوصلى أبدًا تُثْمِرُ
هِجرانُكَ الليلُ ، وما ينجلى   ووَصْلُكَ الصبحُ ، وما يُسْفِر
خُلِقْتَ ماءً وأحالَ [2] الهوى   جسمى نارًا فلذا تَهْجُر
لو لم يكن ثغرُكَ فى ساكنٍ   عذبٍ لقلنا إنه جَوْهَر
زعزعتَ موجَ الردف فى مِئْزرٍ   يكادُ فيه يَغْرَقُ المِئْزر

وله :

لائمى فى قمرٍ بتُّ له   ساجدًا إذ لاح فى ليل الشَّعَرْ
لك دينٌ ولناسٍ غيرُهُ   ولبعضِ الناسِ أديانٌ أُخَرْ
وكما للشمس قومٌ سجدُوا   فكذا يسجدُ قومٌ للقمرْ

[٢١ ظ] / وله من أخرى :

عطفَ القضيبَ على الكثيبِ الأعفرِ [3]   وجلا الظلام على الصَّباح المُسْفِر

(١) الغرب : حد السيف ، والأثر : فرنده   (٢) فى الأصل : وأجال .
(٣) الأعفر : الأحمر

ومنها :

أَيميسُ قامتُهُ ويعبثُ طَرْفُهُ … بِدَمِى كعاداتِ الوَشيجِ[١] الأَسْمَرِ

ومنها :

أجرى لنا عصرُ الصِّبَا فى جسمِهِ … ماءَ الشبيبة صافياً لم يُعْصَرِ
وأراكَ منه الوَشْىَ فى حُلَلِ القَبَا … طىَّ الجميلةِ فى عَرِينِ القَسْوَرِ
وبدا لمــاءِ الورد فى أبرادهِ … ما للحدائق فى الغمامِ الممطرِ
وألاحَ تحت مراشفٍ بمباسمٍ … درّاً مَصُوناً فى عقيقٍ أحمــرِ
فعلمتُ لمَّا خضتُ فى بحرِ الهوى … أنَّ المراشفَ من بحارِ الجوهرِ

ومنها فى المدح :

ما زلتَ تبلغُ فى العُداة خَطَابةً … والطَّرْفُ[٢] منتصبٌ مكانَ المنبرِ
أَشْمَمْتَهُمْ عَرْفَ الحِمام بمِجْمَرٍ … كانتْ رماحُك عودَ ذاكَ المُجْمَرِ
وبسطتَ من كفَّيك عشرَ أسنةٍ … فى الحرب ، بل فى السلم عَشرةَ أبحرِ

وله من أخرى :

مَشَتْ فحكتْ مِشيةَ الجؤذرِ[٣] … وأشْبهتِ الصبحَ فى المَنْظَرِ
وماسَتْ وقد جاذبتهــا الصَّبَا … ذيولاً من السندس الأخضرِ
/ فقلتُ قضيبُ النَّقَــا يانعٌ … يميسُ على حِقْفِهِ الأَغْفَــرِ [٢٢ و]

ومنها :

لقــد فَضَلَتْ كلَّ ممشوقةٍ … تتيهُ على القمــرِ المُقْمِرِ

---

(١) الوشيج : شجر الرماح

(٢) الطرف : الكريم من الخيل

(٣) الجؤذر : ولد البقرة الوحشية .

كما فضلَ النـاسَ فى مجدهمْ … أبو جعفـرِ بنِ أبى جعفرِ
فَتًى إن دَجَا حادثٌ حالكٌ … فمرآه كالفَلَقِ المُسْـفِرِ

وله :

لله درُّ عَشِـيَّةٍ نَادَمْتُهَا … والعَيْشُ من [(١)] مُقَلِ الشبيبة ينظرُ
غرَّاء ضُعِّفَ نورُها فكأنَّما … أمسى يُشَعْشِعُها صباحٌ أنْوَرُ
خطَّ البهارُ بها بمقلة وَسْمِه [(٢)] … خدَّ الغمام فبات وهْو مُعَصْفَرُ
ما كان أحسنها بصُفَّةِ [(٣)] برْكَةٍ … باتت بخَفَقِ الريح وهْىَ سَنَوَّرُ
بيضاء جال بها الربيعُ كأنه … ذَوْبُ اللُّجَيْنِ جرى عليه الجوهر
طاف الربيعُ بمائها فكأنه … خـدٌّ أطافَ به عِذارٌ أخضر

[السين] وقال من قصيدة مطلعها :

يا حادىَ العيسِ من نجدٍ قِفِ العِيسَا … وأجعلْ لنا بمغانى الأيكِ تعْرِيسا

ومنها :

فاجنحْ بهنَّ إلى حيثُ الربيعُ كسَا … مناكبَ الأرضِ من نَوْرٍ طياليسا
والهُضْبُ تحت ذيولِ المُعْصِراتِ [(٤)] كما … عايَنْتَ فى الحَلَقِ البُرْدَ الكرابيسا [(٥)]
[٢٢ ظ] / والسَّرْحُ تحت مُوَشَّى النَّوْرِ تحسبُها … إذا نظَرْتَ إليهنَّ الطواويسا
وفى بروجِ القبابِ الحمرِ شُهْبُ مهًا … صَيَّرْنَ أفلاكَها البُزْلَ القناعيسا [(٦)]

---

(١) فى الأصل : فى (٢) فى الأصل : سمه بدون واو .
(٣) الصفة : الموضع المظلل ، ومنه أهل الصفة لأنهم كانوا يبيتون فى موضع مظلل من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٤) المعصرات : السحب
(٥) الكرابيس : جمع كرباس بالكسر وهو ثوب من القطن الأبيض ، فارسى معرب .
(٦) البزل القناعيس : الإبل الكبيرة الضخمة .

وله :

ومهفهفٍ أبدى الشباب بخدِّهِ   صُدْغاً فرقْرَقَ وَرْدَه فى آسهِ
تتلهَّبُ الصهباءُ فى وَجَناتهِ   فتسيرُ من عينيه فى جُلَّاسه
حتى إذا ملأ الزجاجةَ خدُّهُ   نُورًا وفاحَ الخمرُ من أنفاسهِ
خالَ الزجاجةَ أُفْعِمتْ بمدامةٍ   فدنا ليشرب نُورَهُ من كاسه

وله ، وأحسن ، وأتى بتشبيه فى تشبيه ، يعجز عن مثله كل ذى رويّةٍ وبديه .

ومُعَذَّرٍ أجفـــانُهُ وعذارُهُ   يتعاضدان على فناء الناسِ
سفكَ الدماءَ بصارمٍ من نرجسٍ   كانت حمائلُ غِمْدِهِ من آس

[الصاد]

وله فى ذم الصبح حين فرق بينه و بين محبوبه :

عَشِقْتُ الظلامَ وعِفْتُ الصباحَ[1]   إذا كان أفْلَتَ منِّى قَنَصْ
كأنَّ الدُّجَى وجهُ زنجيَّـــةٍ   مليحٌ بدا الصبحُ فيه برَصْ

[الضاد]

وله :

يا من يريدُ على الإساءة وُدَّنا   طَرْفُ الوداد عن المسىء غَضِيضُ
/ ليس الودادُ عن الإساءةِ ظاهراً   كالماءِ ليس عن الضِّرام يفيض   [٢٣ و]
أنت الحبيبُ لنا بكونك محسناً   فإذا أسأتَ لنا فأنت بغيض

[الطاء]

وله من قصيدة :

ومحجوبةٍ لو أُبْرِزَتْ دون مِرْطها   رأيتَ عليها من سَنَا نورها مِرْطَا
تخالُ هلالَ الأُفْقِ نصفَ سوارها   إذا لاح والجوزاء فى نَحْرِها سِمْطا
وتحملُ بدرَ التِّمِّ وجهاً وشِـــنْفَهَا   سِماكاً وشُهْبَان[2] الثريا لها قرطا

(١) فى الأصل : الصلاح .   (٢) فى الأصل : سهبان

ويضحى بماء الوَرْدِ وردىٌّ خدِّها   لِمَا مَزَجَ الساقى لندْمانه أسْفِنْطَا(١)
فينثرُ منـــــه لؤلؤاً عُدَّ جامداً   بصولجِ لامٍ لاحَ بالصُّدْغ مُخْتطًا

[العين] وله من قصيدة :

خليلىَّ عوجا باللِّوَى ، ها هُوَ الجَزْعُ   نَشِمْ بارِقاً بالرقمَتين له لَمْعُ

ومنها :

أشارَ علينـــا بالسلامِ فكلُّنَا   له بَصَرٌ يدنو فيحسدهُ سَمْـــعُ
وأسهرنى لما سَرَى البرقُ مَوْهِنًا   حمـــامٌ بأفنانِ الغصونِ له سَجْعُ
وما شـــاقنى إلا تأوُّدُ بانةٍ   ومرُّ نسيمٍ لا طُـــلولٌ ولا رَبْعُ
وطيفُ خيالٍ حين كاد يزورنى   بَدَا لعمودِ الفجرِ فى ليله صَـدْعُ
فما للهوى بل ما لدرِّ مــدامعى   تحوّلَ مرجاناً وعهدى به دَمْعُ ؟
وما للمطايا الراسماتِ(٢) كأنما   لوصلِ السهوبِ الفيحِ(٣) مِن وجدها قَطْعُ
[٢٣ ظ] / ظعنَّ بمن عندى وإن نزَحَتْ لها   هَوًى بين أحْنَاء الضلوع له لَذْعُ

ومنها :

غلاميّةٌ مال الشبابُ بعِطفهـــا   فلم يكُ للصهباء فى مثـــله صُنْعُ
تفوح بلا طيبٍ كما أنَّ جيــدها   تحلَّى بلا حَلْىٍ ، وفعـــلاهُمَا طَبْعُ
وتـكسرُ أحياناً محاجِرَ نَرْجِسٍ   كأن الذى مابين أهدابها(٤) الجَزْعُ

ومنها فى المخلص :

يضاهين من رضوانَ سيفاً مؤيَّداً   يُرَى فوقَ أعناقِ الأعادى له وَقْعُ

---

(١) الإسفنط : الخمر .
(٢) رسمت الناقة رسيما : أثرت فى الأرض أثناء سيرها .
(٣) الفيح : الواسعة .
(٤) الجزع . الخرز اليمانى فيه سواد وبياض ، وتشبه به العيون .

ومنها فى وصف السيف :

وللنصرِ مَثْوًى فوقَ حـدِّ حُسَامِهِ   إذا حانَ من هامِ الكماةِ به فَرْعُ
وليس الذى يبـدو عليهِ فِرِنْدُهُ   ولكنّها الأرواحُ فيـهِ لها جمع

وله :

وقائلةٍ مالى أرى الحظَّ وافراً   بكلِّ دَنِىٍّ فى الرجال وضيعِ
فقلتُ لها : لايُتْحِفُ الدهرِ ماجداً   أنافتْ بهِ علياؤه بصَـنيع
يضيقُ بماء النيل مُنْخَفِضُ الثرى   ويُحْرَمُ منه الرىَّ كلُّ رفيع

وله من قصيدة فى الفراق :

لولا الفراقُ لما بكيتُ نجيعاً   ولما حَرَمْتُ المقلتين هجوعا
ولما حنيتُ على ضِرامِ تشوُّقٍ   يأبَى الخمودَ ، جوانحا وضلوعا
/ أمّا العزاء لأَجْلِ مَنْ فارقتُهُ   فقـد استحال مع الفؤاد دموعا [٦٤ و]
ولكم شكوتُ ، فما شكوت لراحمٍ   ولكم دعوتُ ، فما دعوت سميعا
أَسْتَوْدِعُ الرحمنَ مَنْ ودَّعْتُ يو   مَ وداعه قلباً به مفجوعا

وله : [الغبن]

لو أنّ يوماً قتيلَ الحبِّ طالبَهُ   بالثّأْرِ منهُ طَلَبْتُ اللّحظَ والصُّدُغا
هما استعانا على قَتْلى فصار لذا   قدُّ الفؤادِ ، وهـذا صِلُّهُ لَدَغا
لم تبلغِ البيضُ والسمر النحافُ على   أيدى الفوارسِ منّى ماهما بَلَغا
يا حاملَ اللحظ والأصداغ أسلحةً   مات الكمىُّ فلا تُحْدِثْ عليهِ وَغى
ويا مُرِيقَ دمى ظلماً وجاحِـدَهُ   هل لونُ خدِّكَ إلا من دمى صُبِغا

قد يعلمُ اللهُ أنى غـيرُ مُنْفَجِمٍ فما لعودىَ مُـذ فارقْتَنى مُضِغا(١)
ويعلمُ الليلُ أن الشوقَ هيَّجنى حتى غرقتُ بماءِ الدمع حين طغى
سعى إليك بىَ الواشى فأبعـدنى يا ليت شيطانَ ذاك السَّفْىِ ما نزَغا
وفاز منك بما قد كنت أحْرُسُهُ من أين ذا الذئبُ فى أمواهنا وَلَغا
أَلقاكَ ذا لثَغٍ فى القول من دَهَشٍ وما عرفتُ لسانى يعرف اللَّثَغا
أنتَ الذى لو رآه الغصْنُ ما انعطفتْ أعطافُه ، وجبينُ الشمس ما بزغا
لم يبدُ غيرَكَ شخصٌ فى الورى حسنٌ كأن فيك جميعَ الحسن قد فُرِغا

[٦٤ ظ] / وله من قصيدة :

[الفاء] ماستْ بدعصٍ نقًا يجاذبُ أهْيَفَا ولوتْ عليـه الخيزرانةَ مِعْطفا
خودٌ حوَتْ مُقَلَ المهاة وجيدَها وحَوَى الوشاحُ له هضيمًا مُخْطَفَا
بيضاءِ ترفُلُ بالـكثيب مُهَيَّلاً والبـدرِ أنْوَرَ والقضيبِ مهفهفا
أبدى الوداعُ لنا برَخْصِ بنانها عَنَمًا ببعضِ دمِ القلوبِ مُطرَّفا(٢)

منها فى المخلص :

ما للتى طَعَنَتْ وتتّخِـذُ القنا والبيضَ سَجْفًا بالكماةِ مسجَّفا
مَرَّتْ على صدِّ الوفاء ببَيْنِها كمرورِ إسماعيلَ فى طرُقِ الوفا

وله من قصيدة :

أما وحُمَيّا الكأسِ هزَّتْ لنا عِطْفا وبدرِ تمامِ الحسنِ يسعى بها صِرْفا
وساقٍ يكادُ السكرُ يُسْقِطُ نِصْفَهُ مزاحًا ويُبْقى فى مآزره النصْفا
ومخضـوبةٍ قبّلْتُها ولثمْتُه فأتبعتُ ثغرَ الراحِ من ثغرهِ رَشْفا
وخَلْقٍ له مثـل الحميّا وَوَفْرةٍ تمـازجُ أرواحُ النّدامى بهِ لُطفا

(١) فى الأصل هكذا : نصغا.

(٢) مطرفا : مخضبا .

وَغُصْن قوامٍ يحملُ الحِقْفَ ناعمًا ... ولم أرَ غصـنًا قبلها يحملُ الحقفا
وخصرٍ كأن الظِّمْأَ يهْوَى فكلما ... جرتْ فيه أمواهُ الشباب سَقَى الردفا
وخدٍّ إذا ما حُطَّ عنـه لثامُهُ ... كسوناه من ديباجة الخَجَلِ الطَّرْفا
وشعلةِ راحٍ كلما شاب تِبْرَها ... لُجينيّةٌ من عَبْرة المُزن لا تُطْفا
/وميدانِ لهوٍ راهنَتْنى كُماتُهُ ... فلم نُجْرِ إلاَّ من أباريقنا طِرْفا [٦٥ و]
وشادٍ يروق السمعَ حملُ رنينه ... كما زان أُذْنَ الخود أن تحمل الشَّنْفا
لقد بَسِمَ الإصباحُ عن ثغرِ أغيدٍ ... وفاحَ نسيمُ الرَّوح من فوره عَرْفا
ورنَّ حمامُ البانِ حتى كأنما ... تَلَتْ خطباءٌ فى منابرها صُحُفَا
كأنَّ عليلَ الريح فى الغُصْنِ عاشقٌ ... يجـاذبه فرعًا ويثنى له عِطْفا
كأن الدجى يخشى رقيبًا فجسمُهُ ... يكادُ إذا لم يُسْفِرِ الصبحُ أن يخفى

ومنها :

كأنَّ الحديقاتِ المُنَوَّقَ(١) نَوْرُها ... دَرَانِكُ(٢) باتَ الدوحُ فيهنَّ ملتفًا
كأن قُنُوءَ(٣) الوردِ فوق غصـونِهِ ... أديمُ خـدودٍ عن نجيعاتها شُفَّا
كأن عيونَ النرجس الغضِّ قُلِّبَتْ ... من الوردِ فى خدَّىْ تسهُّدِها طَرْفا
كأن بها تفتيرَ أجفانِ وامقٍ ... رَعَى النجمَ حتى كاد يُغْفِي وما كُفّا
كأن الذى من سَوْسَنِ النَّوْرِ بينه ... قيانُ دُمًى حاوَلْنَ من زَهْرِه قَطْفا
كأنَّ شذَا الخِيرِىِّ ، مرَّ ، محدِّثٌ ... تخوَّف أن تَسْعَى له الشمسُ فاستخفى
كأنَّ ثغورَ العـامريَّاتِ كلما ... تبسَّمْنَ نَوْرُ الأقحوان الذى رَفَّا
كأن شقيقًا ، يحملُ الطلَّ ، أعينٌ ... رَمِدْنَ وزاد الدمعُ حُمْرَتَها ضِعْفا
كأن غصونَ الآس تحت اخضرارها ... قدودُ مَهًى يَحْمِلْنَ من سندسٍ لُحْفا

(١) المنوق : المصفف (٢) الدرانك : جمع درنوك وهو ضرب من البسط والثياب .
(٣) قنو : احمرار

كأن اليراعَ(١) النَّضرَ أوراقُه قَنًا ... له العَذَبُ(٢) الخفّاق يستأنفُ الرَّجْفا

[٦٥ ظ] / كأنَّ خليجَ الماء أوجسَ طَعْنةً ... فدرَّعَ أجنادًا وجدَّلها صَفّا

كأن اعتناقَ القُضْبِ والغيمُ دالجٌ ... وَداعُ خليطٍ ذَرّ من دمعه وَكْفَا

كأن اخضرارَ الدوح، والنهرُ ضاحكٌ ... غياهبُ شقَّ الفجرُ من جُنْحها سَجْفا

كأن رياضَ النهر مَذْحِيَ باسطٌ ... له الحَسَنُ الوَهّابُ يومَ النَّدى كَفّا

وله :

كلُّ من أَعْرِفُهُ يَظْلِمُنى ... وسوى ذاكَ فعَنِّى يُنْصِفُ

فعـدوِّى كلُّ من أعرفهُ ... وصديقى كل من لا أعرف

[القاف] له من قصيدة مطلعها :

ليتها إذ قاسمَتْكَ العِناقا ... علَّمَتْكَ الصبرَ لا الاشتياقا

ومنها :

لِتُسائلْ مِعْصَمَيْنا فإنَّا ... ما نطقنا مذ عرفنا الفراقا

كم على جيدٍ وخصرٍ أُدِيرَا ... مَرّةً عِقْـدًا وأُخرى نِطاقا

ومنها :

وكأنَّ الحُسْنَ آلاتُ خَرْطٍ ... أبرَزَتْ فى الصَّدْرِ منها حِقَاقا

سَفَرَتْ عن بدرِ تِمٍّ فلما ... نُقِّبَتْ كان النِّقابُ المِحَاقا

ومنها :

[٦٦ و] / وجرت فى قمرِ الخدِّ منها ... عبرةٌ كانت عليه انشقاقا

ومنها فى الممدوح وهو قاض :

حاكمٌ أظهرَ للعَدْل فينا ... كلَّ ما لاقَ بعقلٍ وراقا

---

(١) اليراع : القصب (٢) العذب : شجر .

حكمةٌ لو عاقنا الدهرُ عنها   كان عن حكمةِ لقمانَ عاقا
نثَر التأويلَ دُرًّا ولكن   غاصَ من علمٍ بحارًا دقاقا

ومنها :

يَدُهُ للمال إلفٌ غَضُوبٌ   كلما واصَلَ شاء افتراقا
تأبِقُ الأموالُ عن راحتيهِ   بندًى علَّمَهُنَّ الإباقا

وله من قصيدة مطلعها :

سَرَى وقد عنَّ لعينىَ الأَرَقْ   وأشمطَ[1] بالفجر قَذَالُ للغَسَقْ
مزنٌ يهزُّ البرقُ فى أرجائهِ   مثلَ اليمانيّاتِ فى أيدى الأُفُقْ
بكى فللنُّوّارِ منهُ ضَحِكٌ   كهُزْءِ معشوقٍ [بمحبٍّ[2] قد] عشقْ
والزُّهْرُ[3] مثل الزَّهْر فى أغصانهِ   أو كالغوانى تحت أبراد السَّرَق[4]

وله من قصيدة :

لك اللهُ من برقٍ بنَعْمانَ أَبْرَقَا   وصافحَ رِئْمًا بالكثيبين والنَّقا
أَلاحَ وعمرُ الفجرِ فى أُخْرَياتهِ   فغادرَ للظلماء جَيْبًا مُشَقَّقا
سرى ، وظلامُ الليل يجلو صباحَهُ   فلاحَ إلينا أدهمُ الليلِ أَبلَقا
/ وما هاجنى إلا رنينُ مطوّقٍ   أقامَ على الأغصانِ يدعو مُطوَّقًا [٦٦ ظ]
ولله نَشْوَى جاذب الدعصُ خَصْرَها   هضيمًا بما دونَ السِّوارِ مُمَنْطقا

ومنها فى المدح :

ويُخْشَى لديه اليأْسُ من حيثُ يُرتجى   ويُرْجَى لديه الجودُ من حيثُ يُتَّقى
مُحَيًّا يريكَ الشمسَ نورُ جبينهِ   فكلُّ مكان حَلَّهُ كانَ مَشْرِقا

---

(١) اشمط الشعر : اختلط أبيضه بأسوده
(٢) ساقطة من الأصل وزدنا الكلمة ملائمة للسياق
(٣) الزهر : النجوم   (٤) السرق : الحرير .

ومنها :

وإنك لو أومأت دون مجسه ... إلى الحجر القاسى بيمناك أورقا
إذا ماملكت المال ملكته الورى ... كأنك لم ترزقه إلا ليرزقا

ومنها فى القلم :

تهز يراعا كالرديني ذابلا ... يفل سنانا حين يسطو ومخفقا[1]
ترى العلق القانى مدادا لخطه ... وجانحة القرن المدجج مهرقا
صحائفه تفرى الصفائح كلما ... نشرن ، وتحكى الروض فيها منمقا
فلولا حظت عين ابن[2] أوس متونها ... رأى أيها كتبا من السيف أصدقا

يعنى ابن أوس حيث يقول : السيف أصدق إنباء من الكتب

وله من قصيدة مطلعها :

عز المنام فجفنى جائل الرمق ... وبات قلبى لايشكو سوى الحدق

ومنها[3] :

كالخيزرانة مالاحت لها ورق ... إلا من الوشى بين التبر والورق
فالغصن ماماس ريعان الشباب به ... سكرا وغير مدام الحسن لم يذق

ومن قصيدة :

ينثر الطل كما ينثر من ... وجنة المعشوق رشح العرق

ومنها :

ذو وقار مازج البشر كما ... مازج الصبح عبوس الغسق

---

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائى

(٢) المخفق : السيف العريض .

(٣) هنا خرم وقد نقلنا بقية ترجمة ابن هانئ وعنوان ترجمة ابن جوشن من مختصر الخريدة وأصلحنا النص فى مواضع كثيرة .

ومن شعره :

يا من أراهُ الخير يكتمُ ضِدَّهُ(1) خَدٌّ عليهِ من حياء رَوْنَقُ
احذرْ مكايد وَجْنَةٍ محمَّرةٍ فالجمر محمرُّ الغِلالة مُحْرِقُ

[الكاف]

ومن شعره :

يحكى الغمامَ جودُهُ ولربما قَصرتْ عن المَحْكى فعالُ الحاكِى
ما بالُهُ يَهَبُ النَّدى مُتبسِّماً والمُعْصِراتُ(2) كأنهن بواكى

[اللام]

ومن شعره :

إيهًا لصائلِ حَلْيها ولِثامها هذا يُعانقها وذاكَ يُقبِّلُ

ومنها :

ولقد يُجيشُ الشَّوقُ راكد عَبْرَتى فكأنه لَهَبٌ وجَفْنى مِرجَلُ
نَجْدِيةٌ وَافاكَ من لحظاتها نظرٌ بسفحِ دم القلوبِ موكَّلُ

ومن شعره :

ومهنَّدٍ سَبَحَ الفرندُ بصفحِهِ وطَمَا فيُحسَب مُغْمَدًا مسلولا

وله فى الخال :

يا ناظرًا فى خدِّ أغْيَدَ مائس خالاً يَرِقُّ نضارةً وجَمالا
سكن الفؤادَ وحلَّ بعض سوادِهِ فى وَرْدِ جنتهِ فسُمِّىَ خالا

وله فى صفة الروض والنهر :

وناصعِ ماء كان كالبدر مائلا ولثَّمه ظلٌّ فلاحَ هلاله

وله فى ذم الخمر :

فأيسرُ مافيها لذى العقلِ أنها إذا وَلَجتْ فى رأسه خرَجَ العقلُ

---

(1) يريد أن خيرا يحمل شراً وسيفسره . (2) المعصرات : السحب

[الميم] ومن شعره :

قُمْ فاسقِنِي بالكأس إنْ أمكنَتْ ... كأسٌ وإلا فاسقِنِي بالفَمِ
أما تَرَى النجم الذى كان كالـدِّينارِ ... قد أصبحَ كالدرهمِ
والفجرُ فى رَوْض الدُّجَى جدولٌ ... سارَ ليَسْقِى زَهَـرَ الأَنْجُمِ

ومن شعره :

قضيبُ لُجَيْنٍ نَوَّرَ الوَرْدُ فوقَهُ ... ولكنَّهُ ماشَقَّ عنـهُ كِمَامَهُ
أرى الحِبَّ دِينًا والمحبِّين أُمَّةً ... وصُدْغَيْـهِ مِحْرابًا وقلبى إمَامَهُ
لدى وَجْنَةٍ قد خُطَّ للشَّعْر فوقها ... مِجَنٌّ على نونٍ يعانقُ لَامَهُ

ومن شعره :

قد غارتِ[(١)] الصهباء منك بوجنةٍ ... خجـلا فعادت للبنان من الفَمِ

ومنها فى المدح :

إنا لنطلبُ من سـواهُ سَماحةً ... كالشَّهْدِ يُطْلَبُ فى مُجَاجِ العَلْقَمِ
وإذا رجوتَ من البخيل يَدًا فقد ... طالَبْتَـهُ بلزومِ مالم يلزَمِ

ومن شعره :

ياكعبـةَ لِى خالها[(٢)] ... حَجَرٌ لو أَنِّى أَسْتَلِمْ

ومن شعره :

رَشَأٌ تعلَّق[(٣)] خَصْرُهُ من رِدْفِهِ ... فَهُوَ الظلومُ وخَصْرُهُ المَظْلومُ

ومنها :

لاتستبينُ كأنَّما أَرواحهـا ... خُلِقَتْ وما خُلِقَتْ لهنَّ جسومُ

---

(١) غارت : من الغيرة .
(٢) فى الأصل : يا كعبة حسن خالك لى ، وهو تحريف . (٣) فى الأصل : بقلوب .

[النون]

ومن شعره فى وصف الفرس :

هل يُدْنيَنِّى من جَقَاب خيامها … بَرْقٌ تقلَّد جيـــدُه بعنانِ

ومنها فى صفة السيف :

ومهنَّـــدٍ متموّجٍ متضرّمٍ … من صفحتيه بغمدِه فَجْرانِ
عَضْبٌ ترقرقَ ماؤه فى نارِهِ … فعجبتُ كيف تألَّفَ الضِّدّانِ
يَنْدَى ويَدْمَى تارةً فـكأنما … لَمَستْ مضاربَهُ يدا رِضْوانِ

ومنها :

وتَسُلُّ أيدى الدارعين قَوَاضِبًا … مثل الجداول سِلْنَ من غُدْرانِ

ومن شعره :

وأحسَنُ من قُنُوٍّ خضابِ خودٍ … دَمٌ يَحْمَرُّ فى زُرْقِ السِّنَانِ

ومن شعره :

فإن كان بعضُ الناس مشتبهاً بهِ … فذا ملكٌ هادٍ وذلك شَيْطَانُ

وله فى كبير الأنف :

أَعجِبْ بمن إن حلَّ فى بيتٍ له … فلأنفِهِ فى الدار بَيْتٌ ثانِ
وتكادُ تُخْفِيهِ ضخامةُ أنفـــهِ … فـكأنّه أنفٌ بلا إنســـانِ

[الياء]

ومن شعره :

أقولُ والـــبرق لَمَّاعٌ يمانىٌّ … أجدولٌ أم صفيحٌ هنـــدوانىٌّ
والفجر يسعى على آثار غَيْهبِهِ … مثل الغُدَاف(١) سعى يتلوه بازىٌّ
والشمسُ فى المزنة الحمراء تحسبها … خَـــدًّا حواهُ قناعٌ أُرْجُوَانىٌّ

---

(١) الغداف : غراب كبير .

ومنها :

أهوى ببغدادَ من بالخَيْفِ منزلهُ   فالحب منى حجازيٌّ عراقيُّ

ومنها :

تَحْوِى المعالى ويحويك الزمانُ بها   كالقلب يَحْوِى المعانى وهْوَ مَحْوِىُّ

ووجدت فى ديوانه قصيدة لكنها فى ديوان ابن خفاجة الأندلسى فمنها :

ومشَى النسيم يجرُّ فَضْلَ ردائهِ   بين الحدائق مِشْيَةَ الخُيلاَء

نشوانَ يعبثُ بالغصون وَيَنْثَنِى   مَرَحاً فيعثُر فى غـــديرِ الماء

ومنها :

قمرٌ يمدُّ من الثريَّا راحــةً   ضُمَّتْ على قدَحٍ كنجم سَماء

يَسْقِى فأســقيه فيشربُ حُسْنُهُ   عَقْلِى ويشربُ راحُه أعضائى

ومنها فى العذار :

كأسٌ لها حَبَبٌ يدور بها كما   دارَ السِّوَارُ بمعصمِ الحسناء

صفراء نَمَّ بها الزجاجُ كأنها   شَمْسٌ مُحجَّبَةٌ بجسمِ هَــوَاء

ومنها :

سَمْحٌ يوكِّل بالخطوب سماحُهُ   إن الدواء موكَّلٌ بالداء

ومنها :

وتراه أصدقَ من رأيتَ مواعداً   والصدقُ بعضُ مواهبِ الكرماء

تندَى أناملهُ ويُشرق وجهُهُ   فيجـــود بالآلاء واللألاء

٢٩ — ابن جوشن

من شعره(١) :

/ لعلّ الذى أثنى بما هو أهلُهُ ... وتوّجنى من كلّ فخرٍ بتاجِهِ [٥١ و]
سيقبلُ عُذرى فى الجواب لأننى ... غدوتُ كمن ضاهى اللُّجَيْن بعاجه
رآنى وأياهُ كثمدٍ قرارةٍ ... وموجِ خضمٍّ يرتمى بارتجاجِهِ
لقد زارنى منه كلامٌ كأنّما ... تمثّل فيه الروض عند ابتهاجه
ومعنًى تجلّى تحت مصقول لفظِهِ ... كما لاحَ صِرْفُ الراحِ تحت زجاجه
وإنىَ بالبرّ اليسير مُواجِهٌ ... وإنك بالفضل الكثير مواجهى

٣٠ — الشريف أبو محمد الحسن بن الشريف الجليس

وجدت فى ديوان أبى عبد الله بن هانئ مكتوباً قطعة كتبها إليه ابن الشريف الجليس فى جواب شعر له :

أهديتَ لى منك شعراً ... كما تجلّتْ عقودُ
فلستُ أدرى بماذا ... أجزيك عما تجود
لأنَّ رفدِى إذا ما ... أجْزَأْتَ شىءٌ يَبِيدُ
وإنَّ شكركَ فضلٌ ... مع الزمانِ خُلُود
علىَّ كلُّ مزيدٍ ... وما عليك مزيد

تمّ شعره .

(١) إلى هنا ينتهى الخرم والنقل عن المختصر .

[٥١ ظ] ٣١ — / أبو التقى صالح بن الخال

وجدت له فى ديوان أبى عبد الله بن هانئ قصيدة كتبها إليه وهو مَوْعُوكٌ يقتضى زيارته ، منها :

يا ناقضاً فى قوافيه عُرَى النَّقْضِ   يُنير مُسْوَدَّها منه بمُبْيَضِّ
قل لابن هانئ عن ابن الخال محتسباً   مما يؤدِّيه نَقْلُ القول للفَرْض
أمسيتَ بدرَ نجومِ الشعرِ أجمعَ مُذْ   أصبحتَ لى نَيِّرَ الآدابِ فى الأرض
فاجنحْ لزورةِ شِلْوٍ مُشْحَنٍ وصِبًا   ألهى انتظارُكَ بعضاً منه عن بعض
لا ترجُ لى فى تلافى مهجةٍ سبباً   فإنه إنْ تراخى خفتُ أن أقْضِى

ومنها :

أُخَىَّ لا تقاضانى مكافأةً   على يدٍ عُضِلَتْ عن مُنْتَهى النَّهْض

ومنها :

إن القطوعَ إذا استولتْ على أحدٍ   رمتْه فى سائر الأحوال بالبُغْضِ
سل كاسراتِ صروف الدهر هل سَلِمتْ   جُنُوبُها حين عضَّتْنى من العضِّ
إن النوائبَ لما آثرت عرَضى   مدا مَحْتُهُنَّ به بُقْيَا على عِرْضى
لا تأمَنَنِّى وإن دارت دوائرُها   علىَّ بالجور أن أمْضِى كما تمضى
[٥٢ و] /أقسمْتُ لو يَمَّمتْ حُمَّاىَ منكَ حِمًى   ماخاضَ إنسانُ عينى جَدْوَلَ الغُمْض
لا يُخرِجنَّك تحريكى لمأْثُرةٍ   نسيمُ برقٍ عُلاها صادقُ الوَمْض
فالعَضْبُ للهزِّ قبل الضرْب مُفْتَقِرٌ   والسهم يحتاجُ قبل الرمى للنَّبْضِ

إذا أنبساطى لم يُحْدِثْ مُجاذَبةً   للقبضِ منك وهبتُ البسطَ للقبضِ

هب ذنبَ عَتْبِيكَ للحمّى فإنّ لها   وساوسًا لدواعى المسّ قد تُفِضى

فأجابه أبو عبد الله بن هانىء عنها بقصيدة منها :

لبيك لبيك من داعٍ إلى فَرْضٍ   يدعو فأقضى وفرضُ الحجّ ما أقضى

إن كان جفنُ ودادى عنك غمّضَه   ما قد زعمتَ ، نَبَا جفنى عن الغُمْضِ

لـكن أصابك أمرٌ لو علمتُ به   مضتْ تَعُودُكَ روحى قبل أن أمضى

فكيف أصبحتَ من عظٍّ(١) الزمان فقد   أصبحتُ بين نيوب الهم فى عضٍّ

ومنها :

الله يعـلم أنى مذ علمتُ بما   حُمِّلْتَ أَبْكى(٢) بقلبٍ فيك مُرْفَضٍّ(٣)

كأنما الأرضُ ضاقتْ بى مذاهبها   وهْىَ الرحيبةُ بين الطول والعرض

أُمْسِى وأُضحى ولا أنفكُّ مضطربًا   كأنّ جسمى عِرقٌ خافق النبْضِ

قد فُضَّ جَمْعُ غرامى فيك عن كبدى   فما لجمعِ همومى غـيرُ مُنْفَضٍّ

إن تستفقْ فظلامى أبيضٌ يَقَقٌ   أوْلا فثغرُ صباحى غيرُ مبيضٍّ

ومنها :

/وكيف ماخافتِ الحُمّى ؟ أماخَشِيَتْ   من مِقْوَلٍ كذباب(٤) السيف إذ يمضى ؟ [٥٢ ظ]

ومنها :

أو صادفتْ فيكَ نار الهمّ فانجذبَتْ   والجنسُ بالجنس مُسْتَدْنٍ ومُسْتَقْضٍ

والخطبُ طِرْفٌ جموحٌ لا لجامَ لهُ   يأتى الـكريمَ بلا سَوْطٍ ولا رَكْضٍ

(١) عظ : عض .

(٢) فى الأصل هكذا : إتاك قلب .

(٣) مرفض : متحطم .

(٤) ذباب السيف : حده .

فلا يروِّعْكَ ما تلقاهُ من أَلَمٍ ... فكلُّ مُسْهِدٍ إلى طيبِ الكَرَى يُفضى

وذكر أنه أرسلها إليه ، وتوفى ابن الخال بعد أيام يسيرة .

٣٢ — أبو الغمر* الإسناوى

له فى مرثية أبى التقى ابن الخال :

سقى اللهُ قبرًا جاورَ المزنَ من أمَّى ... على من حَوَاهُ دمعُ كلِّ أديبِ

فأوفتْ له حزنًا كرامُ معاشرٍ ... بشقِّ قلوبٍ لا بشقِّ جُيُوبِ

وقَلَّ على ماضى الضريبة ، نُزِّهَتْ ... له شِيَمٌ ، من مُشْبِهٍ وضَرِيبِ

٣٣ — ابن الضيف*

[٥٣ و] / هو حيدرة بن عبد الظاهر بن الحسن بن على الربعى الضيف .

كان من دعاة الأدعياء ، الغلاةِ لهم فى الولاء ، وكان فى حدود سنة خمسمائة ، فى عهد آمرهم ، وله فيه مدائح كثيرة ، لدواعى المنائح مثيرة . وقع إلىّ ديوانه بخطه ، وكنت عازمًا لفرط غلوه على حطِّه ، لأنه أساء شرعًا وإن أحسن شعرًا ، بل أظهر فيه كُفْرًا ، فلم يستحق لأساءته كَفْرًا ولا غُفرًا . لكننى لم أر أن أترك كتابى منه صِفرًا ، لأن البحر الزاخر ، يركبه المؤمن والكافر ، ويقصده البرُّ والفاجر ، يحمل الغُثاء كما يحمل الدرّ ، والمركب فيه يجمع العبد والحر . وقد أوردت من مستحسناته كلَّ ما يعفِّى على سيئاته ، ويغضى به على هفواته . فمما عنيت بإثباته ، من قصائده ومقطوعاته ، قوله [من] قصيدة يعارض بها ابن هانئ المغربى :

(*) ترجم له صاحب الطالع السعيد ص ٣١٥ وقال : إنه توفى سنة ٥٤٤ هـ وانظر حسن المحاضرة ٣٢٤/١ .

(*) ترجم له ابن سعيد فى الجزء الثانى من المغرب نسخة دار الكتب المصرية الورقة ١٧٢ وقال : إنه كثير المعارضة لطريقة ابن هانئ الأندلسى فى الغلو وصقل الألفاظ وقعقعتها .

طَلَعَتْ صباحًا مشرقًا يتهلَّلُ … ووراءها بالوَحْفِ(١) ليلٌ أَلْيَلُ

ودنَتْ بها شمسُ الظهيرةِ تَعْتَلى … نورًا وما للشمس طَرْفٌ أَكْحَلُ

وثنتْ قضيبَ الخيزرانةِ تحتَـــهُ … حِقْفٌ يكاد تسرُّعًا يَتَهَيَّلُ

/ ومنها : [٥٣ ظ]

فالخدُّ ضمَّخَهُ حريقٌ مُشْعَلٌ … والثَّغْرُ عطَّرَه رحيقٌ سَلْسَلُ

وقوله من أخرى :

هَزَّتْ كثيبا بالقوامِ مَهِيلَا … وثنتْ قضيبًا فوقَهُ مجدولا

ورنتْ بمقلةِ جُؤْذَرٍ هاروتُها … بالسحر ينفثُ بكرةً وأصيلا

ورمتْ بأسهمها فؤادًا مُدْنَفًا … منّى ، وقلبًا لايزالُ عليلا

ومضتْ مودِّعةً فعطَّرتِ الرُّبَى … أرجًا تَجُرُّ بِهِ الرياحُ ذُيولا

تُهدِى الصَّبا منها لطيمةَ عنبرٍ … ونسيمُ أنفاس الشمال شَمولا

من ذمَّ أيام الفراق فإنَّ لى … صبرًا على يومِ الفراق جميلا

إن ودَّعَتْ فلَثَمْتُ ثغرًا أشْنَبًا … ورشفتُ ريقًا باردًا معسولا

وقوله من أخرى فى الشيب :

لبـــاسُ المشيبِ لخلعِ الشبابِ … وقربُ القتيرِ بعيـــدُ الذهابِ

ونَشْرُ الزمان بأحـــداثِهِ … لسطورِها(٢) طىٌّ هـذا الـكتاب

وجـــدَّةُ أثوابه أخْلَقَتْ … بأثوابِ عُمْـــرٍ بطىءِ الإياب

مناسِرُهُ اختطفتْ مهجـــتى … وأظفــاره أنْشَبَتْ فى إهابى

أرقِّعُ منـــه قميصَ البياضِ … وأســـترُهُ بسوادِ الخضاب

فإنْ قيلَ هذا سُخَامُ المشيبِ … فقلتُ : على فقدِ عصرِ الشباب

---

(١) الوحف : الشعر الطويل الأسود .

(٢) فى الأصل : ذا بدلا من ها .

[٥٤ و] /ومنها :

حنانيكَ من زائرٍ ليتهُ يبدِّلُنى وَصْــلَهُ باجتنابِ
حِبالةُ إعراضِـه صَيَّرَتْ سكونَ الحياة إلى الاضطراب

وقوله من أخرى :

فتأمَّلْ ربمَّا إذا ما خـلا أهــلوهُ فالوجدُ منه ليس بخالِ
ذاك(١) مَغْنًى يُغْنيك مَرْأًى عن السمــع بتجديده الهوى وهْو بالِ
طالما أمكَنَتْ به فُرَصٌ جا ذَبْتُ فيهـا مغازلاتِ الغزال
بين وردٍ كوردِ خَدَّيه فى الحســن وروضٍ كوجهه فى الجمال
ونَدًى كالدموع فى مُقَلِ النر جس أو فيضِ عَـبْرَةٍ فى دلال
يا لقومى من سحر تفتير طَرْفٍ وقعُـهُ فى القلوب وقعُ النبال

ومنها :

كلما بَلْبَلَتْهُما راحةُ التَّجـميشِ هاجَتْ سوا كنَ البَلْبَالِ
تحت ريحانِ طُرَّةٍ جَمَعَتْ ما بين شمسِ الضحى وبدر الليالى
فلهذا بالخال نقطةُ ذالٍ ولذاك الحُلِىِّ صـورةُ دال

ومنها :

لهف نفسى على قضيبِ نُضَارٍ يستميلُ القضيبَ بالإعْتـدال
[٥٤ ظ] / يتجلَّى أعلاهُ عن بَدْرِ تِمٍّ ويبارى ردفاهُ دِعْصَ رِمال
وعليـه مجاسدٌ ألبسته ألْــحسنَ من فَرْقِهِ إلى الخلخـال
فإذا لاح فى الســواد رأينا شمسَ دَجْنٍ أو هالةً فى هلال

(١) فى الأصل : ذا بدون الكاف .

ومنها :

ذابَ قلبي بنارهِ فجرى في الدَّمعِ كالنارِ في سليطِ الذُّبالِ
وتِلافُ الكريمِ في ذلةِ اللوعةِ عزٌّ وراحةٌ في كَلالِ
مثلما يُتْلِفُ الأجلُّ جمالُ المُلكِ أموالَه بحفظ المعالي
ذو اعتزامٍ لو أنّه في فرندِ السيفِ طبعًا أضاء قبل الصِّقال
رَجلٌ يستُرُ الأيادي فتبديها سِماتٌ على وجوهِ الرجال
وله أسهمٌ حدادٌ إذا طِشْنَ يُحرِّكْنَ راسياتِ الجبال

وقوله من أخرى :

لله أجراعُ[1] اللِّوى ما أعجبا ولقاء أبناء الهوى ما أعذبا

ومنها :

وأوانسٌ غيدٌ كأسرابِ المَها وفوارسٌ صِيدٌ كأسهابِ الدَّبا[2]
جعلوا حشاياهمْ متونَ جيادِهمْ قد ذلَّلوها فاستلانوا المركبا
لمعتْ بروقُ جيادِهمْ بطِرادهم حتى كأنّ على العيون بها هَبا[3]
واستمطروا دِيَمَ الدماء حوافلاً بأسنّةٍ رَوَّتْ[4] بهنّ الأكعُبا
/ تلك المنازلُ لو هتفْتُ بها يُرى بعليلها نفَسُ الرياحِ مُطيَّبا [٥٥ و]
فيها تُهزُّ قنًا بأشباه النَّقا[5] وبها تُسلُّ ظُبًا بأجفان الظِّبا
وبها كواعبُ لو تبسَّمن[6] الرُّبى طلعتْ لنا الأقمار من تلك الرُّبى

(١) أجراع : كثبان (٢) الدبا : النمل ويريد بأسهاب : جموع .
(٣) هبا : هباء وهو الغبار (٤) في الأصل : ردت .
(٥) هكذا في المغرب وفي الأصل : القنا .
(٦) في المغرب تبسمت .

ومنها :

بتنا بهـــا نجلو عروسَ زجاجةٍ   قد أُلبِسَتْ ثوبَ الرحيقِ المُذْهَبا
نَثَرَتْ عليـــــه بالمزاجِ لآلئاً   عامتْ فعادتْ كالبُرِين(١) تَسرُّبا
فصفاؤُه يفترُّ عنـــــه ترقرقاً   وبرودُه يزدادُ منـــــه تلهبا
ومغرِّدٍ ، لى من فتورِ جفونهِ   سُكْرٌ، وسكرٌ إن شدا وتطرَّبا
نَبَّهْتُهُ ويدُ النعيـــمِ تؤُودُهُ   ليناً وتكسو وجنتيهِ تخضُّـــبا
لأَرُوضَ روضاً بالتدانى مُمْرِعاً   وأزورَ مَغْنًى بالغوانى مُعْشِبا
وأَشُمَّ ريحانَ الشعورِ مُطَيَّباً   وأُعلَّ خمـــراً بالثغور مُشَنَّباً
وأَمُصَّ رمَّانَ الصدورِ مُشَزَّباً(٢)   وأَعضَّ تفّاحَ الخدودِ مُكَتَّبا(٣)

وقوله من قصيدة :

قد أطيلتْ قوادمُ الّكُنِ للجا   هل لكنْ جناحىَ المحصوص(٤)

ومنها :

كيف طيَّرْتموه فى سعةِ الآ   فاقِ وهْو المُدلَّهُ المقصُـــوصُ

ومنها :

[٥٥ ظ] / أو ليس العقودُ تجمع أسبا(٥)   جًا ودُرًّا واسمُ الجميعِ فصوصُ

ومنها يصف الشعر :

فتأملْ بظاهرِ العـــدلِ والرأ   فةِ مدحاً ما شأنُهُ التنغيصُ
لفظه الشهدُ والقـــريحةُ نارٌ   والمعانى دُهْنٌ فنعمَ الخبيصُ

(١) البرين : جمع برة وهو الخلخال وحلقة توضع فى أنف البعير .
(٢) المشزب : الضامر .
(٣) المكتب : الممتلىء .
(٤) المحصوص : المقصوص .
(٥) الأسباج : الخرز.

ومن مراثيه قوله من قصيدة يرثى بها والده .

عادَ جفنى من الدموعِ كَليلاً ‏ قَبْلَ أن أشتفى وأَشْفِى عليلا

ومنها :

وعظيمُ المصاب يشتفُّ ماءَ الـ ‏ ـقلب حتى يعودَ يَبْسًا محيلا
طاحَ صبرى مع الرقاد فعُوِّضْـ ‏ ـتُ غرامًا مع السُّهاد طويلا
لفقيدٍ قد كان قُرَّةَ عينِ الـ ‏ ـدَّهْرِ فضلاً ورِيقةَ المعسولا
إنَّ خطبًا أصابنا فى أبى الفتـ ‏ ـح لخطبٌ أفادَ حُزْنًا طويلا
وكذا عادةُ الزمانِ إذا عا ‏ دى أصابَ الجليلُ منه الجليلا
صاحِ لا تغترِرْ بعيشك فى الدنيـ ‏ ـا ونكِّبْ عنها بزهدٍ سبيلا
فَهْىَ أمٌّ تُذِلُّ كلَّ عزيزٍ ‏ من بَنِيها كما تُعِزُّ ذليلا

وقوله من قصيدة :

غيومُ غمومٍ لا يَرِمْنَ عن الجفنِ ‏ ومُزْنُ دموعٍ هنَّ أسخى من المُزْنِ

ومنها : [٥٦ و]

ومن عجبٍ إرسالُ عينٍ سخينةٍ ‏ على لوعةٍ هل يُطْفَأُ السُّخْنُ بالسُّخْنِ؟
وأعجبُ منها أنْ تفيض شئونُها ‏ على ظمإٍ منها بمنبجسٍ هَتْنِ

وقوله من أخرى :

أرى الشوقَ مُسْوَدًّا كقلبى من الأسَى ‏ وإنْ كانَ محمرًّا فمن أدْمُعِى الحُمْرِ
وقد حالَ دمعى بين نَوْمِى وناظرى ‏ وحال غرامى بين قلبىَ والبِشْرِ
كأنكَ حُلْمٌ كنتَ فاستيقظتْ له ‏ جفونُ الردى واستأثرتْ منك بالعُمْرِ

وقوله من أخرى :

كدأبِكَ فى الصبرِ يا ابنَ النُّهَى … فكلُّ الأمورِ إلى مُنْتَهَى
وكل امرئٍ مُسْلِمٍ نَفْسَهُ … إلى الموتِ إن شاءه أَوْ أَبَى
نُعِدُّ ، لتسبقَهُ ، العادياتِ … فيدركنا بيسيرِ الْخُطَى
ونأملُ عمرانَ أعمارنا … فيهدمُ آمالنا والرَّجا
وما العيشُ إلا كحُلْمٍ مضى … وبرقٍ سرى ، أو كظلٍّ أَرَى
حياةُ الفتى مركبٌ للحِمام … وجثمانُهُ هدفٌ للبِلَى
نروحُ ونغدو به ضاحكين … وضِحْكُ القضاء علينا بُكَا
وإنَّ مُنَى المرء طولُ الحيا … ة فى نِعْمَةٍ كانَ أو فى شَقَا
[٥٦ ظ] / ألا إنَّما الدهرُ يُملى لنا … ومن يأمنُ الدهرَ أنَّى سَطا ؟

ومن مقطوعاته فى معانٍ شتى قوله فى طول الليل :

يا ليلةً عُمْرُ الزما … نِ بطولها مِثْلُ القُلَامَهْ
يُثْنِى علىَّ ظَلَامُهَا … وغرامها يثْنِى الغَمَامَهْ
حتى كأنَّ نهارها … يبدو به فجرُ القيامَهْ

وقوله فى المعنى :

أَرَّقَ عينى شادنٌ دَنِفُ … بهجره فالرقادُ مُخْتَطَفُ
والليلُ من طوله كدائرةٍ … لا آخِرٌ عنده ولا طَرَفُ

وقوله أيضاً فى طول النهار وقصر الليل :

طال النهار على المحب كأنَّهُ … يومُ الحساب بآخرِ الدهرِ
وكأن ليلته وقد طلعت … عُقِدَ العِشاء بها مع الفجرِ

وقوله فى أمرد التحى :

كنتَ حيًّا فى المُرْدِ حتى إذا عَـــذَرْتَ جاء المماتُ والتعذيرُ
مثلُ سطرِ العنوانِ يبدو وتُطْوَى منه فى باطنِ الـكتابِ سطور

[٥٧ و] / وقوله فى عوّاد، وزعم أنه عمله فى المنام :

ومسمِعٍ مبـدِعٍ بصَنْعَتِهِ يريكَ من فضلِ حُسْنِهِ عَجَبَا
حَرّكَ عوداً كالرعد مُقْتَرِناً بالبرق من كفِّه إذا ضَرَبا
تَسرى قواه فى نفسِ سامعِهِ فيكتسى كلُّ مَفْصِلٍ طَرَبا

وقوله :

أَكْرِمْ بنفسكَ إن أَرَدْ تَ العزَّ عن ذلِّ السُّؤالْ
واُستغنِ عن عِدَةِ البخيـــلِ أَتَتْ بعذرٍ واُعتلال
فالطبعُ أَغلبُ للفتى والبخلُ من لؤمِ الرجال
كم بين مختلفِ المقا لِ وبين متَّفقِ الفعال
ومباعِدٍ طُرُقَ النَّدى ومقرِّبٍ طُرُقَ النوال
هذا يسـابقُ بالعطا ءِ وذا يُعَلِّلُ بالمِطال
حازَ الغِنى من لا يجو دُ وجاد ذاك بغيرِ مال

وقوله يصف عَدْوَ الفرس فى الميدان :

كم سابحٍ أعددتُهُ فوجـدتُهُ عند الكريهةِ وهْوَ نسرٌ طائرُ
لم يَرْمِ قطُّ بطرفِهِ فى غايةٍ إلاَّ وسابَقَهُ إليها الحافر

[٥٧ ظ] / وقوله فى المعنى :

كم جوادٍ يسبقُ الوَهْمَ فما يقتفيـهِ الوهمُ إلاّ تَبَعــا

راهنتْ أوظافهُ(١) الحافظَهْ ثم جاءا غايةَ السَّبْقِ معا

وقوله :

قمرٌ لاثَ عليــــهِ مُطْرَفًا لا زَوَرْديًا رقيقَ الحاشيهْ
وعليه صبغةٌ من حســنه فَهْيَ فى كلِّ فؤادٍ ساريهْ
يضحكُ القلب إذا عاينَهُ(٢) ولَكمْ عينٍ عليـهِ باكيهْ
طَرْفهُ جنَّـةُ عَدْنٍ أُزْلِفتْ وبخـدَّيْهِ جحيمٌ صـاليهْ
نَمْنَمَ الصُّـدْغان فيها طُرَرًا كُتِبَتْ من ذهبٍ فى غاليَـهْ
شَبهَتْه العينُ لما أنْ بدا روضـةٌ ذاتَ قطوفٍ دانيـه
أو قضيبًا فوقه سَوْسَـــنَةٌ أو هـلالا فى سماء صاحيَـه

وقوله :

آذَنَ قلبى بالهوى شادنٌ أيقَظَهُ من طرفهِ النـاعسِ
ألبَسْتُهُ الحُسْنَ رداءً له نفسى فداءُ القمـرِ اللابسِ
غرَسْتُ فى وجنتـهِ وردةً من نظرة المُسْتَرِقِ الخالسِ
فخافَ أن أقطفها خِفْيَـةً بقُبلةٍ والغـرسُ للغارسِ
فمرَّ فى ميـدانهِ مسرعًا يا ليتنى فارسُ ذا الفـارسِ

---

(١) أوظاف : جمع وظيف وهو مستدق الساق من الخيل .
(٢) فى الأصل : عاينته .

تصحيحات

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣٠	١٢	مسلّطا	مسلّطا
٣٥	٢١	حلى	حلّ
٤٧	٩	ذَكائه	ذُكائه
٤٨	١٦	الكرام	لكرام
٥١	٢	المتحترش	للمتحرش
٥٢	٣	يوسيفية	يوسفية
٥٨	٤	اصفراراً	اصفرارُ
٦٢	١١	عدا	غدا
٦٧	١٦	وتعزز	وتغزز
٧١	١٧	أربى	أربى
٧٣	١٠	فبعدكَ	فبعدكِ
٧٧	١٤	مُزز	مُزّر
٧٨	٣	العقلُ	العقلَ
٨٠	١٦	تعيبنها	تعينها
٨٤	١٥	قفل	فقل
٨٧	١٠	راق	لاق
٩١	٥	فرس	فرض
٩١	٥	الوانى	الوانى
٩٦	٧	حَدّها	خَدّها
١٤٥	١٣	وتوفى	وفى
١٦٠	٢	يُمْن	يُمْن
١٦٥	٣	حبٌّ	حبٌّ
١٦٨	١٥	بولاق	مصر
١٦٩	٥	قصيدتين	قصيدة
١٧٢	١٠	أبدا	أبدا
١٧٢	١٥	تصفّحوا	تصفّحوا
١٧٧	٧	(٥)	(١)
١٨٦	١	العقلى	العقيلى
١٨٨	٧	الإنحناء	الانحناء
١٩٠	٧	زياد	ذياد
١٩٢	٩	أسرته	أُسرته
٢١٢	١٠	فطنته	فطنته
٢١٤	١٣	الأربَعِ	الأربُعِ
٢١٤	١٣	بها	به
٢٢٤	١٢	أصُدِّق	أصَدِّق
٢٢٩	١١	وأمّلا	وأمَّ لا
٢٣٧	١	خذلت	أجزلت
٢٣٧	١	وجدت	أوجدت
٢٤٣	٥	لريبةً	لريشةٍ
٢٦٠	١٣	لئن	لأنْ
٢٦١	٧	نجرِّدَ	نجرِّدُ
٢٦٨	١٦	الأغْفَر	الأعْفَر
٢٧١	٤	باللّوى	باللّوى
٢٧٣	٣	السعْىَ	السعْىِ
٢٧٦	٨	الأرقْ	الأرقْ
٢٧٧	٢٠	(٢)	(١)
٢٧٨	٣	مَحْرق	مُحْرِق

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م